سياسة الحزم في اجتهاد عمر للحفاظ على الدعوة الإسلامية في نفوس المسلمين

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٣

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
مركز بحوث المكتبات
المكتبة المركزية
قسم الإعارات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الباب الاول

الفصل السابع

سياسة الحزم في اجتهاد عمر للحفاظ على الدعوة الاسلامية

وهو يشتمل على الاتي :-

١) شدته وحزمه في سياسة الماليـــة

٢) شدته وحزمه مع العابثين بقيم الاسلام •

٣) مقارنة هذا بما كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه لبيان أن سياسة عمر كانت ملائمة لمقتضيات عصره •

اتسعت الدولة الاسلامية في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ودخل في حوزتها بلاد كثيرة غنية بعضها بطريق القوة والاخرى بطريق الصلح من شروط وبالتالي خضع لحكم الاسلام شعوب واجناس مختلفة الاشكال والالوان والعادات والتقاليد والاعراف ولهم ظروف تخالف ظروف الفاتحين الجدد ، مما كان لابد من وجود مشاكل مستحدثة وأمور جديدة تستدعي البحث والتأمل فهل يا ترى سار الفاروق رضي الله عنه على منهج الماضيين أم كان له تفكير جديد ؟

واذا كان له اجتهاد فهل يتفق مع روح التشريع أو يخالفها ان عمر لم يخرج عن هذا بحال من الاحوال والا وجد من الصحابة الانكار سيما وأن العصر كان فيه القوة الايمانية التي لا يقاس بها عصر من العصور التاليه لها .

وهذا الاجتهاد على حد تعبير احد الباحثين هو الذي عصم الحياة الاجتماعية في عهده من التدهور وهو الذي حفظ للروح الاسلامي سموه على نفوس المسلمين حينما كانوا وهذا فضل عظيم لعمر[1] .

وسنضرب الامثلة على ذلك بنماذج من اجتهاده رضي الله عنه في هذا المضمار وسيتبين لنا منها طابع الحزم والصرامة .

---

١) الفاروق عمر (الدكتور محمد حسين هيكل) جـ ٢ صـ ٢٥٧ .

(الغنيمة والفيء ورأى عمر)

يتجه أهل اللغة والمفسرون فى تعريفهما الى التفرقة بينهما ما عدا بعض الآراء التى تطلق كلا منهما على الاخر .

يقول الازهرى من علماء اللغة وأساتذة اللسان فى تعريفهما .

الغنيمة : ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من أموال المشركين ويجب الخمس لم قسم الله ويقسم اربعة اخماسها بين الموجفين .

وأما الفيء : فهو ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب ولا ايجاف عليه مثل جزية الرؤس وما صولحوا عليه فيجب فيه الخمس أيضا لم قسمه الله والباقى يصرف فيما يسد به الثغور[1] .

ويبدو واضحا أن هذا الفرق بينهما اخذ من سياق أية الفيء فلا يحتاج الى كثير نظر :

يقول رب العزة عن الفيء (ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على ما يشاء)[2] .

فكل منهما مقابل للاخر من مفهوم القرآن نفسه .

ويجب أن يكون هذا فاصلا وحدا بينهما حتى لا يكون خلط فيوجد اشكال موجود ويترتب على هذا اختلاف فى الاراء ما كان اغنانا عن ذلك ويوجد من العلماء من يطلق الفيء على الغنيمة ونرى أن هذا تجوز منهم .

---

١) لسان العرب المجلدة الثانية لابن منظور ص ٤٤٦ تفسير ابن كثير ج ٤ / ٣٣٥ تفسير القرطبى جـ ٣١ ص ٢٨٤١ الام للشافعى ج ٤ ص ٦٤ احكام القرآن (الجصاص) مخطوط ج ٣ ورقة ٤٥٤ .

٢) الحشر آية ٦ .

يقول الرازى فى مختار الصحاح بنفس النص :

والفيء : الخـــراج والغنيمة[1] .

وابن اسحاق من علماء السير يطلق الفيء على الغنيمة يقول : عن أمـــــوال بني قريظة والمعروف ان بني قريظة فتحت بطريق القوة وايجاف الخيل والركاب وكان أول فيء وقعت فيه السهمان واخرج منها الخمس[2] ويوضح ابن تيمية معنى الفيء وكيف ان معنـــاه الرجوع مع أنه لم يؤخذ من أيدى المسلمين فيقول : وسمى فيئا لان الله تعالى افاءه على المسلمين أى رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته فالكافرون به اباح انفسهم التى لم يعبدوه بهـــا وأموالهم التى لم يستعينوا بها على عبادته ء لعباده المؤمنين الذين يعبدونه وافـــاء عليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه وأن لم يكن قبضه قبل ذلك[3] .

وننظر بعد ذلك الى سياسة الرسول صلوات الله عليه ازاء اموال الغنيمة والفـــيء المنقولات والعقارات لذا سنرى الى أى مدى كان عمر فى سياسته المالية متطور الفكر لان الدعوة نفسها ملائمة لكل زمن وصالحة له وهى أبعد ما تكون عن الجمود فى اطـــار الحرفيات فماذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم ازاء البلاد المفتوحة ؟

(أموالـــ بـــنى النضـــير)

اتفق بنو النضير عندما ذهب النبى صلى الله عليه وسلم اليهم يستعينهم فى ديـــة القتيلين من بنى عامر وكانت بينهم وبين بنى عامر عقد وحلف وأظهروا له أنهم على استعداد للمساهمة فى تلك الدية ولكنهم فى نفس الوقت قرروا فيما بينهم مؤامرة واختاروا لها من ينفذها

---

١) مختار الصحاح للامام الرازى ترتيب (محمود خاطر) ص ٥١٦ .
٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٧٢٤ .
٣) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية (ابن تيمية) ص ٥٣/٥٤ .

وتلك المؤامرة هي قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الانسان بشاعة الجريمة التي ارادوا أن تخرج الى حيز الوجود وتوفر فيها شروط الجريمة من سبق الاصرار والعمدية ولكن الله تعالى يقول (والله يعصمك من الناس)[1] .

ثانيا : نرى فيها الخسه والجبن وكلاهما طبيعة لهم فلو كانوا شرفاء أتقياء فكان ميدان المواجهة موجود بدلا من الغدر ، ازاء هذا كله لا يمكن أن يتركهم النبي صلى الله عليه وسلم ينعمون في بلادهم لانهم مصدر خطر على الدعوة الاسلامية واتباعها

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم وسار المسلمون وحاصروهم واجهدهم بالحصار فسلموا بلادهم على شرط أن لهم ما حملت الابل من أموالهم فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء[2] فتصرف فيها النبي صلى الله عليه وسلم بما رأه أنه هو الصالح للمسلمين فقسمها على المهاجرين دون الانصار[3] :

وبنو قريظة لم يقلوا عن سابقيهم في الغدر والخيانه ونقض العهد وعدم احترام المواثيق وكان كعب بن أسد القرظي قد عقد مع الرسول صلى الله عليه وسلم عقدا واتفاقا نيابة عن قومه على الموادعة وعاقده على ذلك وعاهده[4] ولكنهم لم يكونوا صادقين بل وادعوه لما رأوا من قوته وقوة اتباعه ولهذا حين سنحت الفرصة قاموا يلعبون

---

١) المائدة آية ٦٧ .
٢) البخاري بشرح الكرماني جـ ١٢ صـ ١٦٧ .
٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ صـ ٦٨٣ / ٤٨٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد القسم الاول جـ٢ صـ ٤١ .
٤) سيرة ابن هشام جـ ٣ صـ ٧٠٥ .

دورهم على سر الخيانة في أحرج الظروف مرت بالرسول وأصحابه وقت حصارهم في المدينة عبر القرآن الكريم عن نفسية المسلمين وما لاقوه في تلك المحنة يقول الله عز وجل (هنالك ابتلى المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديدا)[1]

ماذا يفعل الرسول صلوات الله عليه ازاء مجرمي الحرب من يهود بني قريظة ؟

أمر الرسول صلوات الله عليه وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة أن يتحرك المسلمون الى بني قريظة وأعلمهم بأن هذا الامر لا يحتاج الى التأني بل يجب أن ينفذ في أسرع وقت ممكن حتى ولو حضر وقت الصلاة (صلاة العصر) فتؤخر حتى يصلوا اليهم وحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليله حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم سعد بن معاذ الذى هو حكم الله من فوق سبع سموات فقتل مقاتلهم وأبقى على الضعفاء (نساء وأطفال) فقسم النبي صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأخرج منها الخمس فقسم للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم[2] .

فتبين لنا من هذا أمور :

أ ـ أنها فتحت عنوة فقسمت كما في آية الغنيمة .

ب ـ أنها قسمت العقار منها والمنقول لان كلمة المال مطلقا تشمل الاثنين .

جـ ـ انسانية الدعوة في الحفاظ على من ليس لهم دخل في المعارك فلم يؤخذوا بجريرة المقاتلين .

---

١) الاحزاب آية ١٠ ، ١١ .

٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٧١٥ و ٧١٦ ، ٧٢٤ ، الطبري حـ ٢ ص ٥٩١ الطبقات الكبرى جـ ٢ القسم الاول ص ٥٤ ابن سعد .

كيف فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر •

ليس من مجال بحثنا أن نلقي الاضواء التي أدت برسول الله صلى الله عليه وسلم الى فتح خيبر ولكن يهمنا أن نعلم كيف فتحت وكيف تصرف فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال[1]. خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ونزل من أهل بها على الجلاء فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أن شئتم دفعت اليكم هذه الاموال على أن تغلسوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم الله فقبلوا ولكن صاحب خلاصة تاريخ العرب يقول أن أهل خيبر وفدك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يقاسمهم بنصف الثمار[2] وايما كان الامر سواء هم الذين سألوا أو طلب منهم الرسول صلوات الله عليه وسلم العمل • فانهم استعطوا على الارض وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحه فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص[3]

فنأخذ منها :

أ ـ أنها فتحت عنوة ، قسمت كما قسمها الله الخمس للرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة اخماس للمحاربين •

ب ـ ان التقسيم شمل العقار والمنقول وسيأتي لماذا ابقاهم الرسول صلوات الله عليه يفلحون الارض؟

---

١) الطبقات الكبرى ابن سعد جـ١ القسم الاول ص ٨٣ ، الخراج (يحيى بن آدم ص ٢٠

٢) خلاصة تاريخ العرب (سيديو) ص ٥٣ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٣٤ •

٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٨١٦ •

" كيف فتحت مكة وكيف فعل الرسول صلوات الله عليه فيها "

فكل شروط الغنيمة توفر في فتح مكة حيث أوجف المسلمون عليها بالخيل والركاب ثم دوران المعركة بين أهل مكه وبين المسلمين مما تسبب عنه اراقة الدماء وان كان ذلك لم يتم من جميع زواياها ومداخلها • ويرجع سبب ذلك كما روى :

عن عكرمة أن خزاعة نادوا النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا في حلف صحيح النبي صلى الله عليه وسلم وكان وقتها يغتسل فقال لهيكم •

وقال الواقدى تسلح قوم من قريش يوم الفتح وقالوا لا يدخلها محمد الا عنوة فقاتلهم خالد بن الوليد فقتل أربعة وعشرين رجلا من قريش وأربعة نفر من هزيل[1] والعجيب بعد ذلك أن يختلف المسلمون في فتح مكة هل فتحت صلحا أو عنوة •

ويبدو لنا أن سبب هذا الخلاف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغنم منها مالا ولم يسب فيها ذرية مما جعل الفقهاء يختلفون في ذلك ••

فذهب الشافعي رضي الله عنه الى أنه دخلها صلحا واعتمد في استدلاله على أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد معاهدة صلح بينه وبين أبي سفيان كما جاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن تعلق بأستار الكعبه فهو آمن)[2] •

وفي تصوري أن استدلال الشافعي ليس قويا في ذلك : حيث أن أبا سفيان ومن خرج معه •

---

١) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٥٣ •

٢) الاحكام السلطانية (الماوردى) ص ١٦٤ ، شرح فتح القدير (ابن الهمام) جـ٤ ص ٣٠٥ ، سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٨٦٢ تحقيق الشيخ محيى الدين ولكن مع تغيير في بعض الالفاظ مع بقاء المعنى ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ٤ ص ٤١٨ ولكن مع ورود قوله صلى الله عليه وسلم ومن القى السلاح فهو آمن بدلا من اللفظ الذى ورد في تلك الرواية •

خرجوا يتحسسون خبر النيران التي أوقدت حول مكة ما مصدرها ومن الذي أوقدها ؟ فواضح اذا أن أبا سفيان لم يخرج ليعقد معاهده صلح وليس عند الشافعي ما يدل على هذا التفويض من قريش لابي سفيان •

ثانيا : ان أبا سفيان أسلم وأصبح في تعداد المسلمين بعد أخذ ورد مع النبي صلى الله عليه وسلم وقريش مازالت على كفرها فهل تقبل قريش الكافرة أن تفوض منها رجلا مسلما ؟ اللهم لا •

ويزيد صاحب فتح القدير بأن الامر لو كان كذلك لما كان الامر في حاجة الى تحديد هذه الاماكن الثلاث لتعقن دمائهم لامنهم كلهم[1] •

فالذي منع الرسول صلوات الله عليه من تقسيمها كما تقسم أموال الغنيمة لما تمتاز به مكة عما سواها من بقية البلاد ، فانها دار النسك ومتعبد الحق وحرم الرب فكأنه وقف من الله تعالى ولهذا ذهب بعض العلماء الى منع بيع أراضي ودور مكة المكرمة[2]

ومن الادلة على امتياز مكة عما سواها من البلدان قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بين سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة أئذن لي أيها الامير أحدثك قولا قام به رسول الله عليه وسلم الغد يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم •

---

١) شرح فتح القدير جـ ٤ صـ ٣٠٥ (ابن الهمام)
٢) فقه السيرة (محمد سعيد رمضان البوطي) صـ ٤٤٨

فيها فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وانما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب[1] .

وعلى هذا الاساس لا يصح الحجية بها لكونها مختلف في فتحها هل عنوة أو صلحا مع ترجيحنا أنها فتحت عنوة لايجاد شبه على الاقل في كونها فتحت صلحا فهذه سياسة الرسول صلوات الله عليه إزاء أموال الفيء والغنيمة ثم أنها ملاحظة لعصر الرسول صلوات الله عليه .

فلما جاء عصر الفاروق رضي الله عنه وكثرت الفتوح عنوة في بلاد الشام والعراق لم يتصرف القواد الا بعد ان استشاروا سيدنا عمر رضي الله عنه في هذا الصدد . فكان من رأى بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ومنهم الزبير بن العوام وبلال بن رباح أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا [2] ويؤيدون رأيهم بما يرونه حجة لهم ويستدلون بآية الغنيمة وهي صريحة في هذا . يقول الله عز وجل واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[3]

واستدلوا أيضا على تقسيم الرسول صلوات عليه خيبر . ولكنه شتان بين توزيع خيبر وهي قريه يهودية صغيرة في شبه جزيرة العرب وبين تقسيم أراضي العراق والشام على بضع نفر من العرب[4]

---

١) صحيح البخاري بشرح الكرماني جـ ١٦ صـ ١٣٩
٢) المجلدة الاولى من تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) صـ ٥٧٦ ، الخراج (ابو يوسف) صـ ١٥
٣) الانفال آية ٤١
٤) الاسلام ورسوله بلغة العصر (احمد حسين) صـ ٢٦٢ .

أما سيدنا عمر رضى الله عنه فكان رأيه ينبعث من روح الدعوة حيث أنها لصالح الناس جميعا فى كل زمان ومكان ولو كان سيدنا عمر رضى الله عنه عنده دليل من عمل الرسول صلوات الله عليه الذى تقدم عرضه لاسرع به كما أسرعوا هم بدليلهم فكان استدلاله على عدم قسمه الارضين قوله فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض معلوجها قد اقتسمت وورثت من الاباء وحيزت .

فناقشه سيدنا عبد الرحمن بن عوف فقال له : وما الارض والعلوج الا ما أفاء الله عليهم فقال عمر ما هو الا كما تقول ولست أرى ذلك فيظهر عمر وجها آخر من الاستدلال فيقول : فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيرها من أهل الشام والعراق[1] .

وظل الامر على ذلك ثلاث وكل منهما معه على رأيه حتى عثر عمر على دليل يؤيد رأيه وهو قول الله عز وجل (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دوله بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب[2] .

فهذه الاية فى الفيء فكيف استدل بها عمر رضى الله عنه على ما هو بصدده من قسمة أراضى الغنيمة .

---

(١) الخراج (أبو يوسف) ص ١٥ ، المجلده الاولى من تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) ص ٥٧٥ .

(٢) الحشر آية ٧

لا شك أن عمر في فقه العظيم يعلم أن هذه آية نص في الفيء ولكن لسعة فكرة رضي الله عنه وبعد نظره في فهم الدعوة الاسلامية جعل عمر على ما يبدو لنا أنه ذكرها لوجود العله التي تؤيد وجهة نظره وهي عدم التقسيم في قول الله عز وجل (لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أي لكي لا يكون المال محصورا بين طبقة الاغنياء منكم فقط وهي طبقة المحاربين ورثتهم •

وأيده في هذا الفهم الصحابه رضي الله عنهم فلم يقل لأحد منهم وهم الذين عاينوا التنزيل وفهموا الشريعة ان هذه آية تتحدث عن الفيء والتعليل بهذه الغاية يؤذن بأن سياسة الشريعة الاسلامية في شئون المال قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ وأن كل ما تفيض به كتب الشريعة الاسلامية من الاحكام المتعلقة بشئون الاقتصاد والمال يبتغي من ورائه اقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويقضي على أسباب الثغرات التي قد تظهر فيما بينها والتي قد تؤثر على سير العداله وتطبيقها[1] ولما وجد الاجماع من الصحابه على رأيه بعد ما اقتنعوا أرسل الى سعد بن أبي وقاص حين فتح السواد[2] ردا على خطابه الذي ارسله الى سيدنا عمر يستشيره في السواد ولان الناس سألوه التقسيم وكان الرد عليه

---

١) فقه السيرة (محمد سعيد رمضان) ص ٢٩٦

٢) يشار به الى سواد كسرى الذي فتحه المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض العراق — وسمي سوادا لسواده بالزرع والاشجار ، لانه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا اذا خرجوا من أرضهم اليه ظهرت لهم خضرة الزرع والاشجار وهم يجمعون بين الخضرة والسودا في الاسامي الاحكام السلطانية والولايات الدينية (الماوردي) ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٩٤ •

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم ما أفاد الله عليهم فاذا أتاك كتابي فانظر ما أجلب أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس واترك الاراضين والانهار لعمالها ، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فانك أن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن يقي بعدهم شيء(١) فظاهر من هذا الرد أن هذا هو ما تم الاتفاق عليه مع الصحابة رضوان الله عليهم فلم توقف الا بعد الاستشارة وأن سعد بن أبي وقاص لم يكن ليتصرف الا بعد أخذ الرأي .

وهذا يرد على الظاهر من مذهب الشافعي أن السواد فتح عنوة واقتسمه الغانمون لمكا ثم استنزلهم عمر رضى الله عنه فنزلو الا طائفة استطاب نفوسهم بمال عاوضهم به عن حقوقهم منه فلما غلص للمسلمين ضرب عمر رضى الله عنه عليه خراجا (٢)

ويبرز لنا من نقاش سيدنا عمر مع المخالفين لوجهة نظره أمور نستنتجها منه في سياسته المالية مستوحاه من روح الدعوة الاسلامية وبعد فهم لغاياتها وأهدافها .

١ــ منع الملكية الكبيرة أن تكون بين أيدى فئة قليله متداولة بينهم وبذلك يكون احتكار للاراضي الزراعية وبذلك أيضا تزيد الهوة بين الطبقات .

٢ــ ثم ان الدولة في مرحلة بناء ولها مرافق كثيرة متعددة تحتاج الى المال فمن أين يسد عمر هذه المتطلبات اذا لم يكون عنده رصيد لهذه الوجوه .

٣ــ ان الدولة أى دولة كانت لا تخلوا من وجود أصحاب الحاجيات مثل كبار السن واليتامى والارامل والمساكين فلا بد وأن يكون أمثال هؤلاء في رعاية الدولة التي

---

١) فتحوا البلدان (البلاذرى) ص ٢٧١

٢) الاحكام السلطانية والولايات الدينية (البصري البغداد) ص ١٧٤

يعيشون فيها ينتمون اليها ولا سيما اذا كانت الدولة تدين بالاسلام عقيدة وعملا نظرية وتطبيقا •

٤ـ اذا قسمت هذه الاراضي بين الغانمين فأنها تحتاج الى الايدى العاملة للانتاج والاستثمار وهم بعد لم تكن الزراعة حرفه لهم فيقل الانتاج لانهم لم يحسنوا القيام عليها وعلى فرض أنهم يحسنون الانتاج فانهم لو باشروا الاستثمار فانهم سيتعودون على حياة الدعة والاستقرار وهم بعد الرجال الذين يعتمد عليهم عمر في فتوحاته فاذا دعاهم الى الجهاد فلا يجد منهم النشاط والقوة التي وجدها فيهم قبل ذلك والدوافع التي كانت موجودة فيهم •

٥ـ ثم اذا قسمت الاراضي في تلك الامكنه الواسعة ثم أسلم أهلها بعد ذلك وصاروا من اتباع الدولة الاسلامية وهم بعد حرفتهم الزراعة والارض بأيدى غيرهم وقد يحرمون من الانتفاع بها بعد الاسلام وقد يكونوا من بينهم ضعفاء ويتامى وأرامل ومساكين • فماذا تفعل فيهم الدولة الاسلامية ؟ وهي مسئولة عن رعايتهم والسهر على مصالحهم فاذا لم توجد عملا لاصحاب الحرفة الزراعية فسيكونون عبئا كبيرا على الدولة لانهم لا يحسنون غيرها • وأمام كل هذه الامور كان عمر يضع في اعتباره كل هذه المسائل العملية وملاحظة مقاصد الدعوة الاسلامية وهذه مرونه في الدين لا يلحظها الا من يعرف حقيقة الدعوة الاسلامية وأنها دعوة اصلاح وتجديد تنافي الجمود والتقليد •

ويعلن القاضي أبو يوسف على هذا التصرف من سيدنا عمر رضى الله عنه حيث جعل الارض وقفا على المسلمين وجعل عليها الخراج • فيقول :

والذى رآى عمر رضى الله عنه من الامتناع عن قسمة الارضين بين من افتتحها توفيق من الله فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعهم ، لان هذا لو لم يكن موقوفا على النساس فى الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ، ولم تقو الجيوش على السير فى الجهاد[1] .

وكان هذا الاتجاه العمرى له تأثير كبير على بعض أئمة المذاهب الفقهية التى نشأت فيما بعد .

ولذا يقول مالك عن الارض التى فتحت عنوة تصير وقفا على المسلمين ولا يجوز قسمها بين المسلمين الغانمين ، وقال الامام أبو حنيفة الامام فيها بالخيار بين قسمتها بين الغانمين فتكون أرضا عشرية أو يحيدها الى أيدى المشركين بخراج يضربه عليها فتكون أرض خراج ويكون المشركون أهل ذمة أو يقفها على كافة المسلمين وتصير هذه الارض دار اسلام[2] .

فعمر رضى الله عنه أول من اتجه الى هذا الاتجاه فتأثر به كلا الامامين المظمين

ونجد بعض علماء المذهب الحنفى يصرحون بهذا التأثير الذى أثره تصرف سيدنا عمر ازاء الاراضى المفتوحه فيقولون : (واذا فتح الامام بلدة عنوة) أى قهرا فهو بالخيار ان شاء قسمه بين المسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن شاء أقر أهله عليه ووضع عليهم الجزية وعلى أراضيهم الخراج كما فعل عمر رضى الله عنه بسواد العراق بموافقة الصحابة ولم يوجد من خالفه . وفى كل من ذلك قدوة فيتخير وقيل الاول هو الاولى عند حاجة الغانمين والثانى عند عدم الحاجة ليكون عدة فى الزمان .

---

١) الخراج (أبو يوسف) ص ٢٦ .
٢) الاحكام السلطانية (الماوردى) ص ١٣٢ .

ثم يقول مبينا رأيه هو بعد بيان عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل الفاروق رضى الله عنه مبينا أنه يميل الى رأى الفاروق مراعاة الظروف وما جد من الامور •

ولذا يقول : وكل أرض فتحت عنوة فأقر أهلها عليها فهى أرض خراج وكذا صالحهم لان الحاجة الى ابتداء التوظيف على الكافر والخراج اليق به ومكة مخصوصة من هذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحها عنوة ، وتركها لاهلها ولم يوظف الخراج (١) ، فاذا نظرنا الى المسلك والسياسة التى انتهجها عمر فى فرض الضرائب على تلك الاراضى المستولى عليها ثم مراعاة الارض التى فرض عليها الخارج لادركنا بأن عمر كان يرمى أيضا من وراء ذلك كله الى بيان أهداف الدعوة بين أتباعها ومخالفيها

فلقد لاحظ سيدنا عمر رضى الله عنه اثناء وضع الخراج طبيعة الارض من ناحية الضعف والقوة وكان تقديره الخراج على الارض الجيدة يخالف الارض الضعيفة فحين وضع الخراج على سواد العراق ضرب فى بعض نواحيه على كل جريب قفيزا ودرهما وضرب عمر رضى الله عنه على ناحية أخرى غير هذا القدر فمسح على كل جريب من الكرم والنخل الملتف عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم ومن الرطبة ستة دراهم ومن البر أربعة دراهم ومن الشعير درهمين وكان ذلك بناء على تقدير صحابيين وهما اللذان شاهدا وعاينا طبيعة الارض والمحصول •

وعمل فى الشام غير هذا فعلم أنه راعى فى كل أرض ما تحتمله •

وكان عمر رضى الله عنه يسأل الرجال الذين أرسلهم لهذا الغرض هل هذا التقدير فى طاقة الارض أم أن هذا خارج عن الطاقة ؟ فاذا كانت الاجابة لا بل حملناها ما تطيق ولو زدنا لاطاقت (٢)

---

(١) شرح فتح القدير (ابن الهمام الحنفى) جـ ٤ صـ ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣

(٢) الاحكام السلطانية (الماوردى البصرى) صـ ١٤٨ ، المبسوط (السرخسى) جـ ٩ صـ ٧٧/٧٦ الخراج (يحيى بن آدم القرشى) صـ •

كتب الى عمرو بن العاص يستعجله في ارساله الخراج من مصر ولومه على التباطؤ في وقت يعلم فيه حاجة المسلمين بالحجاز الى الزاد والمال فرد عليه عمرو : بأن أهل مصر استنظروه حتى تنضج غلاتهم ولو أنه اعجلهم لاضطرهم الى بيع ما لا يستغنون عنه فقبل عذره وأقره[1] .

وجاء بعض العمال الى عمر بمال كثير فقال : انى لاظنكم اهلكتم الناس قالوا : لا والله ما أخذنا الا عفوا صفوا قال : بلا سوط ؟ قالوا : نعم قال : الحمد لله الذى لم يجعل ذلك على يدى ولا فى سلطانى " وهذا الخراج كان مفروضا فى السنة مرة واحدة حتى ولو كانت الارض تثمر مرتين واذا تعرض الثمر لافة كان يسقط عنها الخراج بخلاف ماذا زاد الثمر فلا يزاد عليهم واذا بار جزء من الارض أعفوا من خراجه[2].

وهذا وحده كاف فى سماحة الدعوة واتباعها لانها شهادة كاملة من عدلين من الصحابه رضى الله عنهم ارتضاهما سيدنا عمر فى هذه المهمة هذا من جهة ومن جهة اخرى لو نظرنا الى اصحاب الارض الذين استعطفهم عمر وكيف وأنهم جميعا ارتضوا هذا ولم يضج واحد منهم بالشكوى ولو أنهم أرادوها لكان من السهل الاتصال بعمر نفسه ورفع شكواهم اليه وخصوصا وأن اخباره على عدله لم يكن يخفى على احد حتى صار مثلا ونستنتج من هذا أمور :

---

١) فتوح مصر واخبارها (ابن عبد الكم) ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .
٢) المبسوط (السرخسى) ج ٩ ص ٧٩ ، وسماحة الاسلام (احمد الحوفى) ص ٢٢٣ .

١ـ العدالة في فرض الخراج ، لم يفرض المسلمون الخراج على الذميين اعناتا لهم أو تضييقا عليهم أن يكلفوهم مالم يكلفوا المسلمين مثله ، انما فرضوه على الذميين في مقابل انتفاعهم بالارض وفي مقابل ما تنفقه الدولة عليها ، مثله في ذلك مثل العشر ونصف العشر المفروض على المسلمين ، وغاية ما بين الخراج والعشر أن العشر زكاة تصرف في مصارف الزكاة ، أما الخراج فيعتبر من الفيء فيصرف في مصارفه العامة للدولة التي ينتفع بها المسلمون وغيرهم[1]

٢ـ ملاحظة الوسع والطاقة حيث أنه لم يجعل الارض والزرع سواء في فرض الضريبة ولكنه فرق بين هذا وذاك وهذا بخلاف ما يفعله المستعمرون في البلاد التي يتغلبون عليها حتى يضج أهلها بالشكوى يحكي التاريخ حالة مصر تحت حكم البيزنطيين بأنه لم يكن خيرا من الحكم الروماني لان البيزنطيين لم يراعوا في فرض الخراج على مصر التفرقة بين الارض الخصبة والارض البور فشكا المصريون ، فاستجابت الحكومة لشكواهم مدة قصيرة ثم عادت الى نظام أقسى من سابقة اذ فرضت الخراج على الخصب والبور وعلى الارض التي لا يملكها احد بدعوى أن الشعب كله متضامن في دفع الخراج للدولة . وكان هذا مبعثا على الضيق والذمر والهجرة من الارض الى أماكن أخرى للخلاص من فداحة الخراج ، ففرضت الحكومة على الباقين من الاهلين أن يقوموا بسداد الخراج على الارض التي فر منها أصحابها[2] .

---

١) سماحة الاسلام (الدكتور احمد الحوفي) صـ ١٠٩ .
٢) المرجع السابق صـ ١٠٧ .

٣ـ ان سياسة عمر في مسلكه هذا يخدم الدعوة الى أبعد مدى لانه يدور في فلكها في جميع الميادين ، فهو يعطي صورة حية تطبيقية عن الدعوة وأصحابها بأن فتحهم تلك البلاد لم يكن الغرض منه اذلال الشعوب وأكل أقواتها واستغلال ثرواتها وانما محاولة منهم لبيان مبادئ الدعوة التي تنطوي عليها والتي ضمنها الرحمة بالانسانية حتى ولو مع المخالفين في العقائد يقول رب العزة (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين)[1] وهذا المبدأ وحده كاف للتأثير على النفوس فان النفس البشرية تتأثر بالمعاملة ، الامر الذي يجعلهم يفكرون في هذه الدعوة وفي اعتناقها خصوصا ولانهم أحسوا بها عن قرب وليس عن سماع فقط .

---

[1] سورة الممتحنة ٨

موقف عثمان من هذه السياسة العمرية في شئون المال

ان سياسة عثمان المالية في خلافته هي سياسة عمر رضي الله عنه ويدل على هذا :

ان عمر رضي الله عنه كان يستشير في قضايا المال فلم يبرم أمرا هو مقتنع به الا بعد اقتناع الغير من الصحابه برأيه ففي مسألة وقف الارض وعدم قسمتها كما مر برز من المخالفين في بدء الامر بعض كبار الصحابه مثل عبد الرحمن بن عوف والزبير بين العوام وبلال بن رباح وكان من المؤيدين لرأيه من كبار الصحابة علي بن أبي طالب ولم نسمع صوتا لعثمان مع أنه من كبار الصحابة مع المخالفين ، ثم سكوته بعد اقتناع المعارضين دليل على رضاه لتلك السياسة العمرية والا فما الذي يضعه أن يجهر برأيه .

فالمعروف أن عمر لم يكبح الافواه وانما يسمع لاصحاب الرأى وخصوصا مثل عثمان ثم وأنه من الذين رشحهم للخلافة بعده .

ثانيا : راسلة لعمال الخراج نتبين منها السياسة التي انتهجها وهي بلا شك سياسة عمرية حيث أنها لم يكن فيها تقدير جديد منه في جمع الخراج مما يدل على أن الحال كما هو عليه في زمن عمر رضي الله عنه كما سقنا ذلك في مراسلاته في فصل الحكومة والادارة في عصر عثمان[1] .

---

١) راجع تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) ج ٤ ص ٢٤٥ ، ٢٢٢

حد شارب الخمر

نلقي الاضواء في هذا الصدد على النصوص الثابته في القرآن والسنة النبوية الشريفة لنعلم منها هل حدد الله عز وجل والرسول عليه الصلاة والسلام حدا معينا في شارب الخمر أم لم يحدد في ذلك حدا ؟ واذا كان الله ورسوله جعلا في ذلك حدا معينا فهل من السائغ أن يخالفهما عمر رضي الله عنه مخالفة صريحة واذا كانا لم يحددا في ذلك حدا فما هي وجهة نظر عمر ازاء هذه كله ؟

يقول الله عز وجل (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)(١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر(٢) .

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال ما ترون في جلد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف أرى أن تجعلها كأخف الحدود " قال فجلد عمر ثمانين (٣) .

عن عقبة بن الحارث قال جيء بالنعمان أو ابن النعمان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان في البيت أن يضربوه فكنت فيمن ضربه ، فضربناه بالنعال والجريد(٤) .

---

١) المائدة آية ٩٠
٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٨٩ تحقيق (عبد الله احمد أبو زينه) ، ونيل الاوطار للشوكاني ج ٧ ص ٤٩ .
٣) شرح فتح القدير ج ٤ ص ١٨٥ (ابن الهمام) ، نيل الاوطار (للشوكاني) ج ٧ ص ٤٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٩ .
٤) نيل الاوطار (الشوكاني) ، صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ .

وعن السائب بن يزيد قال كنا نؤتى بالشارب فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وفى امرة أبى بكر وصدرا من أمرة عمر فنقوم اليه نضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان صدرا من أمرة عمر فجلد فيها أربعين حتى اذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين(١) .

عن أبى هريرة قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر ، فقال اضربوه فقال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله ، والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله قال لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان(٢) .

فالاية الشريفة لا تدل على أكثر من التحريم والعلة التى من أجلها حرم الله سبحانه الخمر وغيره ولم تتعرض الاية الشريفة للحد وقد ترك الله سبحانه ذلك لتوضح النبى صلى الله عليه وسلم لها بالقول والفعل فيما يتعلق بها .

فهل حدد الرسول صلى الله عليه وسلم لها حدا معينا أم ذلك متروك الى رأى الامام ؟

نتبين من هذه الادلة :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد مقدارا معينا من شارب الخمر يقول أنس فى الحديث فجلده بجريدتين نحو أربعين يدل على أن المسألة تقريبية ثانيا قوله لما أتى بالنعمان (اضربوه) فلم يحدد لهم عدد الضربات بل اطلقها وهذا الامر وارد أيضا فى حديث أبى هريرة .

ثم أن الوسيلة التى يحد بها شارب الخمر مختلف فيها فتارة بالجريد والعصى وتارة بالنعال والاردية والايدى مما يدل كل هذا على أنه متروك لرأى الامام

---

١) المرجعان السابقان صـ ٤٩ ، ١١٤

٢) صحيح البخارى جـ ٣ صـ ١١٤ ، المسند (الامام احمد بن حنبل) جـ ١٥ صـ ١٤٩ ، ١٤٣ تحقيق (احمد شاكر) .

فيما يراه الاصلح لرد المنحرف عن انحرافه :

ويؤيدنا في هذا ما أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه عن علي رضي الله عنه أنه قال : " ما كنت أقيم أحد حدا فيموت فيه فأجد في نفسي منه الا صاحب الخمر فانه ان مات وديته لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه " المراد لم يسن فيه عددا معينا[1] ، وجلد أبو بكر رضي الله عنه أربعين وقرر هذا عن طريق النظر[2] ، ولكن عمر رضي الله عنه رأى أن المسلمين يتساحون في الارض ويضربون في الفتوح وأشفق أن يغريهم بعدهم عن مركز الخلافة بالتهاون في رعاية ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه .

ورأى المال يكثر في المدينة والرزق يتسع فأشفق أن يستجيب الناس لغرائزهم وطباعهم وأن يعود بعضهم الى ما كانوا فيه قبل الاسلام من شرب الخمر والادمان عليها[3] ولاجل هذا نجد أن عمر رضي الله عنه يشاور كبار الصحابة في هذا الامر حتى يتخذ للشيء عدته وحتى اذا وقع انسان في هذا المحظور يكون عمر قد اتخذ فيه مثله قرار .

فكان رأي عبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وكلاهما من السابقين في الاسلام ومن أصحاب الشورى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصديق وحياة الفاروق عمر . أرى أن يجعله كأخف الحدود في العقوبة وهو حد القذف بالزنا وهو ثمانون . ووافقه علي بن أبي طالب في هذا التحديد وأخذ يبين العلة في هذا التقدير وهي أن شارب الخمر يؤديه شربه الى الاسكار الذي من نتائجه الهذيان الذي

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٤ صـ ٢٩٤ ، صحيح البخاري جـ ٣ صـ ١١٤ ، سنن ابن ماجه جـ ٢ صـ ٨٥٨ شرح فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٤ صـ ١٨٥

٢) الاعتصام (الشاطبي) جـ ٢ صـ ١١٨ .

٣) الشيخان (طه حسين) صـ ٢٠٢ .

يجعله يتصرف تصرفا غير معقول ولا مقبول مما يجعله ينخرط في سلك المفترين والمفترى عليه ثمانون[1] ، ولم نر انكارا من الصحابة رضي الله عنهم على هذا التحديد فصار هذا اجماعا منهم رضي الله عنهم وعمل الائمة بعد ذلك على ما تفقوا عليه في عصر عمر رضي الله عنه .

أما ما روى بأنه تغير الامر بعد ذلك في هذا التحديد فسريعا ماينهار أمام النقد ، عن معاوية بن حصين بن المذر الرقاشي قال شهدت عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد أتي بالوليد بن عقبه فشهد عليه حمران ورجل آخر فشهد أنه رآه يشربها وشهد الآخر انه يتقيؤها فقال عثمان انه لم يتقيأها حتى شربها فقال لعلي أقم عليه الحد فقال علي للحسن أقم عليه الحد فقال ول حارها من تولى قارها فقال علي لعبد الله بن جعفر أقم عليه الحد فأخذ السوط وجلده وعلي يعد الى أن بلغ أربعين قال حسبك جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب الي[2] .

فهذه الرواية مرفوضة : وذلك أن الشهد الآخر الذي تحبر عنه الرواية (وشاهد آخر) فهذا الشاهد الآخر المجهول اذا جوزنا صدقه فيجوز أن يكون أيضا كاذبا بالعدم معرفتنا بصفاته هل تتوفر فيه صفات الشاهد من العدالة وغيرها : وكونه رآه يتقيؤها (لا يكون سببا في اقامة الحد) فربما شربها عن جهالة وربما يكون شربها ناسيا أو مكرها وفي هذه الحالات لا يعاقبه الاسلام بحد أو غيره . أخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[3] .

---

١) شرح فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٤ صـ ١٨٥ .
٢) شرح فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٤ صـ ١٨٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٤ صـ ٢٩٠ .
٣) سنن ابن ماجه جـ ١ صـ ٦٥٩ .

ويبين العلة في ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم فيقول :

ان الناس والمخطىء انما عفي عنهما بمعنى رفع الاثم عنهما لان الاثم مرتب على المقاصد والنيات ، والناس والمخطىء لا قصد لهما فلا اثم عليهما وأن الذي يكره على شرب الخمر يباح له ذلك واستدل على ذلك بما عليه جمهور العلماء كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) وذلك لقول الله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم (٢) .

وامتناع الحسن عن تنفيذ رأي أبيه مما أستبعده على الرجل الذي لم يصل الى درجة الحسن في ايمانه وعلمه يخفى على الحسن كل وصايا القرآن والسنة والزامهما طاعة الابوين . وكيف أفتى عندما استشاره عمر رضي الله عنه بثمانين ثم بعد ذلك في حياة عثمان يقول ان الاربعين أحب الي : فلماذا لم يفت بالمحبوب لديه في حياة عمر مع أن عمر يطلب منه مشاركة فيما يحن له من قضايا . فهذا بعيد كل البعد عن منهج علي ابن ابي طالب . فثبت بطلان تلك الرواية .

ونستنتج من موقف عمر هذا :

١ـ أنه لم يثبت نص يعتمد عليه في تقدير الحد ولذا وضع الامر على بساط البحث وأعمال الفكر ولو ثبت مثل هذا لم يكن للرأي مجال ولعارضه الصحابة بالثابت من النصوص .

٢ـ أنه كان يراقب تحركات المسلمين ويلاحظ الاثر البيئي والمادي عليهم ولذا كان يدرس ما قد ينتج عن ذلك مما يدل على صحة فكره واحاطته بميول ورغبة الناس والمؤثرات عليهم وحرصه على صلاحهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم .

---

١) جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلي) صـ ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
٢) النور آية ٣٣ .

٣ـ ان نصوص الدعوى وإن كانت لا تصعفه في الظروف المتغيرة ولكن صلاحيتهـــا لكل زمان ومكان الى أن يرث الله الارض وما عليها ، وفيها مطالبتها الضـــرب على أيدى المفسدين والعابثين والمنحرفين ، جعلت عمر يفكر فيما يلائم ويتفـق مع تلك الجريمة وأيده في ذلك الصحابه رضوان الله عنهم والامة لا تجتمع على ضلالـة

٤ـ كان لهذا الرأى الصحى أثره فيما بعد على جمهور الفقهاء اذ انهم قالوا أن الحـد ثمانين يحتجون في ذلك بعمر وموافقة الصحابة له على ذلك[1] .

وذكر ابن تيميه رأى الشافعى واحمد بن حنبل وكلاهما يرجع في النهايـــة لرأى عمر رضى الله عنه .

يقولان الواجب ضرب أربعين والزيادة يفعلها الامام عند الحاجة اذا أذمـــن الناس الخمر ، أو كان الشارب ممن لا يرتدع بدونها فأما مع قلة الشاربين وقرب أمـــر الشارب فتكفى الاربعون[2] فقلة ضرب عمر ثمانين انما نهاونهم وضعف الوازع الديـــنى في نفوسهم فيكون الامام الشافعى والامام أحمد كلاهما تأثرا برأى عمر رضى الله عنه .

رأى عثمان رضى الله عنه في هذه القضيـة

ان عثمان رضى الله عنه كان من الموافقين لعمر رضى الله عنه وصار العمل على ذلك في خلافته يدل على هذا أنه لما انتهى الامر الى عثمان فتتابع الناس فجمع الصحابة رضـى الله عنهم فاستشارهـــم فقال له على رضى الله عنـــه من سكـــرى هذى ومن هـــذى

---

١) بداية المجتهد ونهاية المقصد (ابن رشد) جـ ٢ صـ ٤٣٥
السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية (ابن تيمية) صـ ١٢٤ ، ١٢٥

افترى ، فأرى عليه حد المفترى[1] وهذه الرواية التي رويت عن علي رضي الله عنه تكررت كما رأينا مع عمر رضي الله عنه ، فاذا كان عثمان ممن سار على نهج عمر في تلك القضية فلم جاء يستشير بعد هذا ؟

في تصوري : أن عثمان رضي الله عنه أراد أن يستأنس في عمله بقول الصحابة رضي الله عنهم وخصوصا بقول علي رضي الله عنه وليثبت أمام المسلمين أن يضع الامور على بساط الشورى حتى لا يعترض عليه معترض بعد ذلك .

ثانيا : ما يدلنا على أن رأي عثمان رضي الله عنه كان هو رأي عمر رضي الله عنه أنه في حياة الفاروق لم يثبت أنه تكلم في تلك القضية بالمخالف له فهل يا ترى كان عثمان بعيدا عن تلك القضية فلم يسمع بها .

الثابت أن عثمان كان من كبار مستشاري عمر رضي الله عنه ثم أن الدعوة كفلت لكل انسان مسلم أن يجهر بما يراه الصواب للامة والا كان ممن يكتم النصيحة التي أمر الله باسدائها وتعاقبه على تركها .

عن ابي رقيه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدين النصيحه) (ثلاثا) قلنا لمن (يا رسول الله) ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ولائمة المسلمين وعامتهم[1] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلي) الطبعة الثالثة ص ٦٧
صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٢٤٧ .

(الطلاق الثلاث)

ورأى سيدنا عمر رضى الله عنه

وكان له رأى فى الطلاق الثلاث مخالفا لما كان عليه الرسول والصديق رضى الله عنه والنتيجة أتت من اختلاف الظروف وتغير طبائع الناس وسلوكهم مما كان لابد من اتخاذ الاسلوب الذى رآه عمر موافقا لهم والا فتح الباب على مصرعيه للتلاعب وشيوع المنكر وبث الرذيلة بين الناس ولكن أما وابن الخطاب حى فلا .

الطلاق فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه .

عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم(١) .
وروى هذا الحديث بسندين آخرين كلاهما عن أبى الصهباء (٢) .

عن ابن عباس قال (طلق ركانه بن عبد يزيد أخو بنى المطلب امرأته ثلاثا فى مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا ، قال فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف طلقتها ؟ قال طلقتها ثلاثا فقال فى مجلس واحد ؟ قال نعم قال فانما تلك واحدة فارجعها ان شئت قال فراجعها(٣)

ان ابن عمر طلق امرأته ثلاثا وأنه عليه الصلاة والسلام أمره بمراجعتها فاحتسبت واحدة(٤) .

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ صـ ٦١٨ ، نيل الاوطار (الشوكانى) جـ ٦ صـ ١٥٣ اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزية) جـ ٣ صـ ٣٠ .
(٢) صحيح المسلم جـ ٣ صـ ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ونيل الاوطار (الشوكانى) جـ ٦ ص ١٥٣ اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزيه) جـ ٣ صـ ٣٠ .
(٣) اعلا الموقعين (ابن قيم الجوزية) جـ ٣ صـ ٣١ ، المسند (ابن جنبل) جـ ٤ صـ ١٢٣ .

عن ابن أبي طيكه أن أبا الجوزاء اتى ابن عباس فقال : اتعلم أن الثلاث كـــــن يردون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى واحدة ؟ قال نعم[1] قالـــ فهذه أدلة الذين يقولون أن الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقع واحدة بنقض الطحاوى هذه الروايات .

ينقض رواية طاوس عن ابن عباس من ناحيتين :

أولاهما : فيقول رواية طاوس وهم وغلط ويقول لم يصح عليها احد من فقهاء الامصـــار بالحجاز والشام والعراق والمشرق والمغرب ، ويقول بأن أبا الصهباء من رواة هـــــذا الحديث رجل لم يعرف في موالي بني العباس .

ثانيهما : فتوى ابن عباس بما يخالف روايته التي رواها عنه جبير ومجاهدا وغيرهما عنه فيمن طلق امرأته ثلاثا فكان جوابه وفتواه أنه قد عصى ربه وبانت منه امرأته[2] .

نفي تصورى أن رفض رواية طاوس من أجل هذا لا تقبله العقول .

فكون الطحاوى يقول (لم يصح عليها احد) لا يصح أن يكون دليلا للمنـــــع وهو بعد لا يستطيع أن يحيط علما بكل ما قاله الفقهاء سيما وانهم متفرقين فـــــي الامصار مستوطنين فيها وكانوا يلتقون في القليل النادر فلا يصح أن يكون دليـــــلا للمنع وعدم القبول من هذا الوجه . ثم كونه يمنع الاستدلال لهذا الحديث لافتـــــاء ابن عباس بخلاف روايته لا يقوى على المنع ، حيث أن الفتوى اذا خالفت الروايـــــة فتقبل الرواية وتترك الفتوى[3] .

والشافعي رضي الله عنه لما رأى مخالفة الفتوى التي افتى بها ابن عباس لروايته

---

١) اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزيه) جـ ٣ ص ٣١ .
٢) القرطبي جـ ١١ ص ٩٣٢
٣) اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزية) جـ ٣ ص ٤٠

قال عن الرواية أنها منسوخة ولكنه نطق بلفظ يظهر ان الشافعي كان مترددا فيما يقول اذا عبر عن هذا بقوله (يشبه أن يكون ابن عباس علم شيئا نسخ) ولكن يرد على ادعاء النسخ ان النسخ لا يكون الا بدليل اما من الكتاب أو السنة أو الاجماع .

فان كان من الكتاب والسنة فأين هو ؟ وان كان باجماع فأين هو ؟

على أنه يبعد أن يستمر الناس أيام أبي بكر وبعض أيام عمر على أمر منسوخ وان كان الناسخ قول عمر المذكور فحاشاه أن ينسخ سنة ثابتة بمحضر أيه وحاشا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه الى ذلك[1] يقول القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أن الرواية عن ابن طاوس بذلك صحيحة فقد رواها عنه الائمة : معمر وابن جريج وغيرهما وابن طاوس امام[2] وأثبت صحة هذا الحديث الامام النووي في شرحه لمسلم وكل ما قاله في هذا الحديث (وأما حديث ابن عباس فاختلف العلماء في جوابه وتأويله)[3] .

وأثبته الامام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ تحت عنوان (حكم جمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد)[4] وأما الرواية الثانية يقول عنها احد المفسرين . (والمحفوظ أن ابن عمر طلق امرأته واحدة)[5] وقال بذلك الامام النووي في شرحه لمسلم[6] .

---

١) نيل الاوطار (الشوكاني) جـ ٦ صـ ١٥٦ ، ١٥٧
٢) تفسير القرطبي جـ ١١ صـ ٩٣٩ طبع الشعب
٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٣ صـ ٦٦٨ .
٤) اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزية) جـ ٣ صـ ٣٠ .
٥) تفسير القرطبي جـ ١١ صـ ٦٣٩ .
٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٣ صـ ٦٦٩ .

وأما حديث ركانة فيقول عنه العلماء : أنه حديث مضطرب في الاسم والفعل منقطع لا يتستند من وجه يحتج به ويقول عنها الامام النووى انها رواية ضعيفة عن قوم مجهولين[1] .

حكم الطلاق الثلاث في عهد سيدنا عمر

فظهر بهذا ما كان عليه الطلاق الثلاث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي خلافة الصديق رضي الله عنه .

وبدا لنا من هذا الحديث الذي رجحنا روايته وهو رواية طاوس عن ابن عباس أولا : ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد كان في العصرين السابقين لعمر يعتبر طلقة واحدة لقلة المخالفين به . فالاكثرون كانوا يطلقون بطلقة واحدة ويؤيدنا في هذا الفهم ما نقله الامام النووى في شرحه لمسلم عن بعض الآراء :

(ان المعتاد في الزمن الاول كان طلقة واحدة وصار الناس في زمن عمر يوقعون الثلاث دفعة واحدة . فنفذه عمر فعلى هذا يكون اخبارا عن اختلاف عادة الناس لا عن تغيير حكم في مسألة واحدة[2] .

ثانيا : قول عمر نفسه في الحديث الذي رجحنا روايته (ان الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أضيناه عليهم فأمضاه عليهم) .

فلما رأى في زمانه أمور ظهرت وأحوال تغيرت ونشر ايقاع الثلاث جملة بلفظ واحد بلفظ لا يحتمل التأويل الزمهم الثلاث[3] .

---

١) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٦٣٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٦٦٩

٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٩٦٩ .

٣) نيل الاوطار للشوكاني جـ ٦ ص ٢٢٠

رأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه ورأى أن ما كانوا عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصديق رضي الله عنه وصدرا من خلافته كان الاليق بهم لانهم لم يتتابعوا فيه وكانوا يتقون الله في الطلاق ، وقد جعل الله لكل من اتقاه مخرجا ، فلما تركوا تقوى الله وتلاعبوا بكتاب الله وطلقوا على غير ما شرعه الله الزمهم بما التزموه عقوبة لهم فان الله تعالى انما شرع الطلاق مرة بعد مرة ولم يشرعه كله مرة واحدة فمن جمع الثلاث في مرة واحدة فقد تعدى حدود الله ، وظلم نفسه ولعب بكتاب الله فهو حقيق ان يعاقب ويلزم بما التزم ولا يقر على رخصة الله وسعته وقد صعبها على نفسه ولم يتق الله ولم يطلق كما أمره الله وشرعه له بل استعجل فيما جعل الله له الاناة فيه رحمة منه واحسانا ، ولبس على نفسه واختار الاغلظ والاشد ثم يقول ابن القيم فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان ، وعلى الصحابة رضي الله عنهم حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته فسى ذلك فوافقوه على ما الزم به[1] .

ولا مانع أن تكون الاسباب التي أدت بعمر رضي الله عنه لمحاربة التلاعب في الطلاق ما رجحه الدكتور هيكل في كتابه الفاروق عمر يقول :

وأكبر الظن أن الذين يطلقون نساءهم في عهد عمر لم يكونوا رحماء بهن فسى طلاقهم ذلك أن سبايا العراق والشام كثرن وافتتن بهن أهل المدينة وأهل هيالجزيرة فكانوا يسارعون الى طلاق نسائهم مبالغة في ارضاء من شغفت قلوبهم بهن .

ومن ذلك أن يتزوج الرجل أخرى عربية أو أعجمية من غير السبايا فتشترط عليه أن يطلق زوجته الأولى ثلاثا فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ـ فاذا راجعها مع ذلك أثارت مراجعته لها في البيت نزاعا لا تستقر معه حال ولا تطمئن به حياة[2] .

---

١) اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزية) جـ ٣ ص ٣٦ .
٢) الفاروق عمر (الدكتور محمد حسنين هيكل) جـ ٢ ص ٢٨٥ .

رأي الاستاذ احمد حسين " والرد عليه

ان هذا الحكم الذى سنه عمر بن الخطاب ليحد من عبث المسلمين بآيات الله واستهانتهم بحرمة الحياة الزوجية ، والذى كان اصلاحا للمجتمع وقت اقراره ، لم يلبث أن اصبح مصدرا للفساد ، اذ اخترع المسلمون بدعة المحلل للخلاص من وطأة الطلاق ثلاثا بلفظ واحد مرة واحدة ، ولعل من مفاخر المشرع الاسلامى المصرى ، أن كان هو الاخذ بهذا الاصلاح حيث أصبح العمل فى التشريع المصرى الاسلامى يجرى على ما جرى عليه العمل زمن رسول الله وابطال ما جرى عليه العمل منذ ايام عمر خلال ثلاثة عشر قرنا انتهى(١) .

اننا مقدما نقول أنه ليس هناك انسان مهما كانت صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم يرتفع بها عن مستوى النقد بصفته انه ليس معصوما فيجوز عليه الخطأ والصواب .

ثانيا : قبل النقد من المفروض على كل انسان يضع نفسه موضع الناقد ولا سيما لشخصية عظيمة لها قدم بعيد فى الاسلام والصحبه ولها ايادى بيضاء فى خدمة الدعوة الاسلامية ، مثل عمر رضى الله عنه أن يلاحظ لماذا سلك عمر مثل هذا المسلك؟ ثم وعصر عمر فى قوة ايمان اصحابه وضعفهم ثم والمقارنة بين أى عصرين لابد وأن يكون هناك وجه شبه مشترك بينهما حتى تصح المقارنة بعد هذا نقول : فعمل سيدنا عمر واجتهاده فى الطلاق وجعله ثلاثا ، لم يكن سببا فى الفساد فى العصر الحديث وانما بالعكس ترك العمل بما رأى ووافقه عليه الصحابة رضوان الله عنهم هو سبب الفساد فلم يعد للدين قداسته وهيمنته التى كانت موجودة فى عصر عمر رضوان الله عنه فضلا عن عصر الرسول صلوات الله عليه . فانكمش الدين فى جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتعددت المعصية فى كل المجالات وسيطرت سيطرة كاملة وأصبح العمل بالرأى والهوى هو الذى يحكم سلوك الشخص وبالجملة أقول أن

---

١) الاسلام ورسوله بلغة العصر (احمد حسين ص ٢٦٠ .

قوانين الله اختفت من سوق الناس : وطغت بضاعة الانسان • والعلاقات الزوجية ليس حظها بأحسن من حظ اخواتها • بل ظهر التلاعب وبرز على مسرح الحياة الاجتماعية فالزوج لا يعبأ بما يلقى من القول • ولأتفه الأسباب في الشارع والطريق والأسواق والعمل يلفظ بالطلاق الثلاث عامدا وناسيا وغافلا عن الميثاق الغليظ الذى ربطه بينه وبين انسانه أخرى •

فلو أن المشرع المصرى نهج نهج عمر رضى الله عنه الذى وضع مصلحة المسلمين فى اعتباره وكان هذا هو الهدف الذى يسعى اليه عمر من يوم أن أعلن اسلامه أقول لو أن المشرع أمضى الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا والزمه بما نطق لضرب على أيدى العابثين والظالمة الذين لم يحترموا المواثيق ويكون من نتيجة ذلك :

أ ـ تربيتهم فيتمرنوا على احترام الدين فتقوى ارادتهم •

ب ـ يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه الخروج عن الحد يرتدع وينزجر وهذه هى السياسة التى كان عمر ينهجها فى جميع المجادين •

فاذا علم أحدهم أنه اذا أوقع الثلاث جملة واحدة وقعت وأنه لا سبيل الى المرأة تمسك عن ذلك[1] •

ثانيا : هل الطلاق الثلاث وامضاؤه هو الذى سبب بدعة المحلل للخلاص من وطأته ؟ من غير شك أن ضعف الوازع الدينى فى نفوس المسلمين هو الذى جعلهم يلجأون الى المحلل فلو كان هناك عندهم قوة فى الايمان لعلموا أن هذا مسالم وحيل لا تنطلى على الله اللطيف الخبير ولما نطقوا أيضا بالطلاق ثلاثا الذى يدل على تلاعبهم •

---

(١) الطرق الحكيم فى السياسة الشرعية (ابن القيم) ص ٢٠
السياسة الشرعية (عبد الوهاب خلاف) ص ٩٨

ولو أننا تسامحنا مع هؤلاء كأننا نعطى للنار وقودا لتظل ملتهبه كما تسامح معهم المشرع المسلم المصرى •

ثالثا : يقول أن من مفاخر المشرع المسلخ المصرى أنه الغى ذلك ليعود العمل الى ما كان عليه فى عصر الرسول تعبير ضخم يدل بمنطوقه على أن قانون الطلاق كان فيه ثغرة كبيرة تنبه اليها المشرع المصرى ـ ولو نظر المرشد الرشيد صاحب القول السديد نظرة فاحصة الى العصرين وقارن بينهما :

لعلم أن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يغاير عصرنا هذا تمام المغايرة فى جميع نواحى الحياة ، فعصر الرسول صلوات الله عليه يمثل عصر القوة وعصرنا هذا يمثل عصر القوة وعصرنا هذا يمثل عصر الضعف فى جميع صوره وأشكاله فكيف به يقيس هذا العصر بعصر النبى صلى الله عليه وسلم وها هى كتب التاريخ الحديث فضلا عن القرآن الكريم فليستبطنها هذا من جهة ومن جهة أخرى •

كان المفروض على المشرع المسلم المصرى الذى يقول عنه الكاتب الحصيف أن ينظر الى العلة التى من أجلها أمضى عمر الطلاق ثلاثا ثلاثا والعلة موجودة على لسان عصره فى حديث ابن عباس صرح بها لعلم أن العلة فى كليهما بل فى عصرنا وجدت أشد ما تكون •

فالذى رآه الكاتب نقص هو فى الواقع من محامد سيدنا عمر رضى الله عنه

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

المؤلفة قلوبهم

لما جاء الاسلام وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة اليه وجد الاسلام طريقه الى القلوب بصعوبة بالغة وهذا شيء طبيعي لان دعوة جديدة أتت وبين طياتها ما هو مغاير لكل ما تعارفوا عليه في جميع نظمهم العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكانت تعتبر ثورة فمنهم من حكم عقله وهذا قليل منهم فاستقرت الدعوة في نفسه ووقرت في قلبه وبقي الكثير من الناس يناوئون الدعوة ويضعون في طريقها العقبات يريدون بهذا اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولان الله عز وجل علم ذلك قديما ففرض جزءا من الصدقة تنفق في خدمة الدعوة وكانت هذه السياسة التي انتهجها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حياته مع الكفار فكان منهم من يعطيه الرسول صلوات الله عليه ليحببه في الاسلام فيقترب منه وربما حمله الاعطاء والسخاء فقادته المادة الى الاسلام ، وهناك بعض من الكفار من وقف ضد الاسلام موقف العدو السافر واخذوا يكيدون له ويحيكون من حوله المؤامرات والت السنتهم عليه فالدعوة الاسلامية تشتري هؤلاء السفهاء لتخرس السنتهم وتبعد عنها شرورهم وتلجمهم بالمال الذي يجعلهم يكتمون عداءهم أو على الاقل تقل شرورهم ولا يقفون حجر عثرة في سبيل من ظهر له الحق .

ويريد الايمان به والانطواء تحت كنفه ، ومن المناوئين للدعوة من آمن بها وهي لم تستقر في نفسه بعد ولم اختلط بسويداء قلبه ثم مع ذلك يكون شغفهم المادي وحبهم المال هو المسيطر عليهم فيعطيهم الاسلام ليشبع رغباتهم وحب التملك عندهم لعلهم من كثرة اختلاطهم بالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عنهم يعقلون ما جاء به صاحب الدعوة وأهدافها وغايتها فيؤمنون بها بعد دراسة وروية من نبعها الاصيل

فتكون الدعوة بذلك قد انتشلت أجسادا وأرواحا كانت تهوى في النار لو تركت وشأنهـــا ويعتبر هذا من أبواب الجهاد المشروعة[1] .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اني لأعطي الرجل وغيره أحب الى منـــه خشية أن يكب في النار على وجهه)[2].

ويدلنا على هذا التفسير عمل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله في ذلك : روى الثوري عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبه في أديم مفروض فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين زيد الخيل والاقـــرع بن حابس وعلقمة بن علاثة فغضبت قريش والانصار وقالوا تعطي صناديد أهل نجد قال انما تألفهم .

وهذه صورة أخرى من صور الاعطاء (روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان ابن اميه قال (أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الناس الي ، فما زالـــ يعطيني حتى أنه أحب الخلق الي) .

وكان هذا الاعطاء من رسول الله أثار في نفس الصحابة التساؤل فسألـــــوا الرسول صلوات الله عليه عن الاسباب المؤدية الى اعطاء هؤلاء مع أنهم بعيدون عـــن الاسلام فأفهمهم النبي صلى الله عليه وسلم فأستراحت نفوسهم لحكم رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ولا سيما اذ أعلمهم أنهم اصحاب ايمان فشهادته تكفيهم اطمأنانا ورضا .

روى عن أبي سعيد الخدري لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائـــم وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم وجد هذا الحي من الانصار في أنفسهـــم

---

(١) فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٢ ص ١٣ ، احكام القرآن للجصاص (مخطوط) جـ ٤ ص ٦٦

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ صـــ ٣٦٣ .

فقال لهم وجدتهم في أنفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها أقواما ليسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام[1] .

ويفسر ابن جرير المؤلفة قلوبهم فيضيق المعنى الواسع ويجعله مقصورا على من تصح نصرته استصلاحا بها نفسه وعشيرته كأبي سفيان بن حرب وعيينه والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل " واستند ابن جرير في تفسيره هذا على تعريف ابن عباس للمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا اعطاهم من الصدقات فاصابوا منها خيرا قالو هذا دين صالح وأن كان غير ذلك عابوه وتركوه[2] في الواقع أن هذا التفسير لا يتفق مع المتبادر من اللفظ .

ويبدو لنا أن هذا تضيق لمعنى المؤلفة : حيث أن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله هما اللذان يعتمد عليهما وقد ورد في الروايتين السابقتين ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يتألف بذلك المسلمين والكفار جميعا[3] .

المؤلفة قلوبهم في عصر الصديق والفاروق رضي الله عنهما

لما انتقل الرسول صلوات الله عليه الى الرفيق الاعلى انفجرت الجزيرة العربية كالبركان الثائر يريد بعضهم الايمان ببعض الاركان والكفر ببعض ومنهم من دفعه قصوره في الفهم والادراك فعد الزكاة أتاوة كانت تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعد للخليفة بعده الحق في اخذها حيث لن وضعه الديني مخالف لوضع النبي صلى الله عليه وسلم الذي كانت صلاته سكن

---

١) احكام القرآن للجصاص جـ ٤ (مخطوط) ورقة ٦٧ ، وروى بهذا المعنى مع اختلاف في اللفظ نيل الاوطار للشوكاني جـ ٤ ص ١٦٦ .
٢) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١٠ ص ١١٢
٣) احكام القرآن (الجصاص) جـ٤ ورقة ٦٧ ، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) جـ ٢ ص ٣٦٥ .

لهم ومنهم من أسلم من غير اقتناع ولما يدخل الايمان فى قلوبهم فهؤلاء جميعا قد اعلنوا العصيان والتمرد والخروج عن طاعة الخليفة • بدأ الصديق ينظم الالوية من الرجال الذين ظلوا متمسكين بالدعوة وخرجت هذه الالوية تقاتل هؤلاء وابلى المسلمون بلاء حسنا ازاء تلك الفتنه وهذه المحنة القاسية فى تاريخ المسلمين • دل هذا على مدى تغلغل الايمان فى قلوب المدافعين عن الدعوة وبيان تمسكهم بحقهم واخذ اصحاب الباطل ينقادون شيئا فشيئا لاصحاب الحق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)[1] وبعد البلاء التى ابتليت به الجماعة المسلمة • أخذ الصديق رضى الله عنه على عاتقه محاربة اقوى دولتين فى ذلك الوقت (فارس والروم) وذلك فى عقر دارهما وتوغلت الجيوش الاسلامية الغازية فى قلب الدولتين •

نستطيع أن نقول بعد هذه المقدمة : ان الصديق اذا كان استطاع بجيوشه الاسلامية أن يحارب المتمردين فى الداخل والخارج فمعنى هذا أن المسلمين واتباع الدعوة أصبحوا فى قوة وعزة وكثرة لم يعد للضعيف مجال ان يندس بين اتباعها أو يتسلل بين صفوف أصحابها طلبا لاعراض الدنيا الزائلة • ثم ما حاجة الدعوة الى مثل هؤلاء الذين هم على شفا جرف هار ورأى الصديق أن ينهج معهم مع هذا كله منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلا أمضى الكتاب على هذا النهج •

عندما جاء اليه عيينة والاقرع وأرادا وطمعا أن يظل الحال كما كان فى عصر الرسول صلوات الله عليه وكتب لهما الصديق رضى الله عنه كتابا بذلك وختمه بخاتمه وذهبا الى سيدنا عمر رضى الله عنه بالكتاب ليشهد عليه فتفل فيه فمحاه وفى رواية فقطعه[1] وعلى كل فالوثيقة لم يعد لها وجود سواء كان بالازالة أو التقطيع •

---

١) فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٢ صـ ١٤ •

من المعلوم أن الاحكام التي فرضها الله عز وجل والرسول صلوات الله عليه لم تفرض جزافا ولكن لها علل ، فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما .

نظر عمر نظرة سريعة ولكنها ثاقبة فاحصة للسبب الذى من أجله اعطى النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء فوجده غير متوفر فلم يقبل أن يظل الحكم من غير وجود علته ولأجل هذا صنع ما لمحنا اليه مبينا الدافع له الى مثل هذا العمل ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيكموه ، ليتألفكم على الاسلام والان فقد عز الله الاسلام فأغنى عنكم فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف . طبيعي أن هؤلاء الذين جاءوا طلبا للاستجداء وفتحوا أيديهم صاغرين من غير ما حياء ولهم يثبتوا فى خلافة الصديق رضى الله عنه أنهم أصبحوا أصحاب عقائد راسخة فجدير بمثل هؤلاء الصغار أن لا يعجبهم هذا التصرف وعبروا عن ذلك بألسنتهم ورجعوا الى الصديق رضى الله عنه سائلين الخليفة أنت أم عمر فكان جواب الصديق المنتظر من مثله لعلمه بأقدار الرجال الذين هم حول الرسول صلوات الله عليه " هو انشاء " ولم ينكر الصديق على الفاروق هذا التصرف بل وافقه عليه[1] وانعقد الاجماع على ذلك حيث أنه لم يوجد من أنكر وكان منهم عثمان بن عفان ونلاحظ أن هذا الاتجاه فى الفهم له ما يبرره من اتجاه روح الدعوة الاسلامية وان كان ليس نصا فيه : وله فى ذلك الاسوة الحسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ـ عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من المشركين لحاجته الى معاهدتهم ومداراتهم لقلة أهل الاسلام ، وضعفهم فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد الى أهل العهود عهودهم وأن يحارب المشركين جميعا بقوله عز وجل (براء من الله ورسوله الا الذين عاهدتم من

---

١) فتح القدير (ابن الهمام) جـ ٢ ص ١٤ ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع (الكاساني) جـ ٢ ص ٤٥ .

المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وأن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[1] .

٢ـ هذا الفهم العمري لنصوص الايات كان جديدا لم يسبق اليه سابق ويل بالتالي على مدى سعة العقلية العمرية المتفتحة التي تفهم الدعوة على أنها دعوة الزمان كله والمكان كله مصداقا لقوله تعالى (قل يا أيها الناس أني رسول الله اليكم جميعا)[2] ويقول رب العزة (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[3] ويقول رب العزة (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[4] .

" السرقة وموقف الدعوة منهـا "

ان الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم لسعادة البشرية في كل زمان ومكان فكل ما من شأنه أن يكون سببا في القضاء على أمن الناس وضياع أموالهم تحرمه الدعوة الاسلامية ولاجل هذا أنزل سبحانه وتعالى قوانين العقوبة لمختلف الجرائم والانحرافات ، ردعا للمجرم وتأديبا له وتهذيبا لاخلاقه وسلوكه وهذا من أعظم

---

١) التوبه الايات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥
٢) الاعراف آية ١٥٨
٣) سبأ ايـة ٢٨
٤) الاحزاب آية ٤٠

أساليب التربية بها يسعد الفرد والمجتمع والامة ومن غير هذا التعاليم والسير وراء الفكر البشرى مستنير وغير مستنير يتجدد الانسان ويضمحل ولو كان لنا أن ننظر الى مجتمعنا الذى نعيش فيه مثلا والنتائج التى أدت الى عدم تطبيق مثل هذا الحد الذى شرعه الله سبحانه وتعالى وتطبيله وعدم النظر اليه لعلمنا أن الانسان أصبح لا يأمن على ماله حتى فى بيوت الله عز وجل لتسلل المنحرفين اليها .

والقرآن صريح فى بيان عقوبة هذا المنحرف يقول سبحانه وتعالى (السارق والسراقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)[1] .

ولقد تنبه الى هذا قبل الاسلام بعض أصحاب العقول الراجحة الى ما فيها من فساد فحكموا بقطع اليد وأول من حكم بقطعه الوليد بن المغيرة وأمر الله بقطعه فى الاسلام فكان أول سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال الخيار ابن نوفل بن عبد مناف ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الاسد من بنى مخزوم وقطع أبو بكر يد الذى سرق العقد وقطع عمر ابن سمرة أخى عبد الرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه[2] وفى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فى بعض أعوامها أصاب الناس مجاعة شديدة لظروف طبيعية صور هذه الحالة بعض المؤرخين بأنها كانت سبب فى هلاك بعض سكان المدينة وما حولها ، وجعلت هذه الحالة الوحوش تأوى الى الانس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاه فيعافها من قبحها[3] .

وفى هذا الظرف عرضت قضية سرقة على سيدنا عمر .

روى الامام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فانتحروها ، فرفع ذلك الى

---

١) المائدة آية ٣٨ .
٢) تفسير القرطبى جـ ٢٤ صـ ٢١٥٧ طبع الشعب
٣) تاريخ الطبرى جـ ٤ صـ ٥٩٧ ، ٥٩٨

عمر بن الخطاب فأمر عمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم ثم قال عمر أراك تجيعهم والله لاغرمنك غرما يشق عليك ثم قال للمزنى كم ثمن ناقتك ؟ فقال المزنى قد كنت والله أمنعها من أربعمائة درهم فقال عمر أعطه ثمانمائة درهم[1] .

ويروى ابن وهب أن عمر بن الخطاب بعد أن أمر كثير بن الصلت بقطع أيدى الذين سرقوا أرسل وراءه من يأتيه بهم ، فجاء بهم فقال لعبد الرحمن بن خاطب (أما لولا أنى أظنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى لو وجدوا ما حرم الله لأكلوه لقطعتهم ، ولكن والله اذ تركتهم لاغرمنك غرامة توجعك[2] فهذه الجريمة رأى سيدنا عمر أنها غير مستوفاة الشروط لاسباب واضحة فامتنع عن تطبيق الحد وهذه الاسباب :

١ــ الجوع الذى كاد يسبب الهلاك لهم .

٢ــ انه اشتهر عن حاطب البخل الذى اقنع بسببه عن اشباع بيده ولا أدرى أن مثل حاطب كيف خفى عليه أو تناس وصايا صاحب الدعوة بالعبيد والضعفاء .

٣ــ الظرف العام وهو أن العام كان عام مجاعة : وعلى أى الاسباب فكل منهم صالح لدفع الحد وعدم تطبيقه على هؤلاء العبيد لايجاد الشبهة عن أبى حريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا "[3] ثم أن سيدنا عمر رضى الله عنه الملهم المحدث لم يكن ليخفى عليه مبدأ (الضرورات تبيح المحذورات) ، المأخوذ من قول الله عز وجل (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم[4] ففى هذا نلاحظ أن سيدنا عمر رضى الله عنه فى تطبيقه لمبادىء الدعوة يقدر الظروف حق قدرها وماذاك الا لان الدعوة مرنة فتلاحظ حالة الانسان فى

---

١) الموطأ (الامام مالك) جـ ٦ صـ ٤٦٦ .
٢) فقه السنة (السيد سابق) جـ ٩ صـ ٢٨٦ .
٣) سنن ابن ماجه جـ ٢ صـ ٨٥٠ .
٤) المائدة اية ٣ .

مختلف الظروف والاحوال فى القوة والضعف فى الصحة والمرض فى اليسر والعسر وهذا مثل من الامثلة التى تبيناه من فهم سيدنا عمر رضى الله عنـــــــه • وعلماء القانون يذهبون فى البواعث الى ارتكاب مثل هذه الجريمة وغيرهـــــا مذاهب •

١ــ ان الباعث وأن كان لا يعتبر عنصرا من عناصر الجريمة الا أنه يدخل فى منطقة الظروف القضائية التى يستخلصها القاضى من الدعوى المطروحه عليه ، ولـــه بحسب ما يستخلصه أن يستعمل الرأفة متى وجد البواعث على ارتكاب الجريمة شريفة •

٢) ترى اعتبار البواعث الشريفة اعذارا قانونية مخففة يلتزم بها القاضى ومن ثم يكون تخفيف العقوبة أمرا وجوبيا •

وأحد رجال القانون فى عصرنا الذى نعيش فيه يقول عن الشريعة وموقفها من هذا الآراء أن الاسلام أخذ بمبدأ العفو عن القصاص ودرء الحد بالشبه ثم قالـــ أن الباعث الذى يوصف بأنه باعث شريف ليس له أثر فى نظر الشريعة الاسلامية علـــى توقيع الحد أو القصاص[1] •

ويبدو لنا أن هذا القول غير صحيح فى نظرنا ففى مثل تلك القضية المطروحة أمامنا مستوفاة الاركان ولكن هناك مانع تطبيق الحد كما قلنا • وما ذاك الا للدافـع أو الباعث كما يسمى وهو الجوع والا فلماذا تركهم عمر ولم يقم هذا الحد ؟

وذلك لوجود الاسباب الظاهرة ووضح أن مثل هذا الباعث انما هو باعـــث شريف فلا يتساوى مع انسان يدفع بغير هذا الدافع وبهذا نقول ان رجال القانون تأثروا بموقف الدعوة اتجاه مثل هذه القضايا •

---

١) الفقه الجنائى المقارن بين الشريعة والقانون (أحمد موافى) صـــ ٦٧ ، ٦٨

" رأى عمر فيمن سرق للمرة الثالثة "

عرض على سيدنا عمر رضى الله عنه سارق أقطع اليد والرجل فقرر حبسه حتى يتوب بناء عن مشورة على رضوان الله عنه ووافقه الصحابه على هذا الرأى فصار اجماعا[1]

تصور عمر رضى الله عنه انسانا مقطوع اليدين والرجلين فرأى بثاقب فكره أن المنفعة زائلة تماما ثم أن الحد للزجر لا لتفويت المنافع ومن جهة أخرى لاحظ أن مثل هذا الحى الميت عبء ثقيل على أهله والمباشرين له وبذلك فهو عبء على المجتمع فابقاء يد ورجل خير على المجتمع من قطع أطرافه الاربعة وتأثر بهذا الرأى الاصناف : يقولون فأصل المحل عندنا طرفان وهم اليد والرجل اليسرى فتقطع اليد اليمنى فى السرقة الاولى والرجل اليسرى فى السرقة الثانية ولا يقطع بعد ذلك أصلا ولكنه يضمن السرقة ويعزر ويحبس حتى يحدث توبه عندنا[2] .

وقد خالف فى هذا الرأى فيما يعتمد بعض العلماء فقرروا أن تقطع اليد اليسرى والرجل اليمنى فى السرقة فى المرة الثالثة والرابعة واستندوا الى حديث مطعون فى صحته من جهة السند و المتن عن جابر قال جيء بسارق الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقتلوه فقيل يا رسول الله انه سرق فقال اقطعوه قال فقطع ثم جيء به مرة ثانية فقال اقتلوه فقيل يا رسول الله انه سرق قال اقطعوه قال فقطع ثم جيء به الثالثة فقال اقتلوه قالوا يا رسول الله انه سرق قال اقطعوه ثم أتى به الرابعة فقال اقتلوه قالوا يا رسول الله انه سرق قال اقطعوه ثم أتى به الخامسة فقال اقتلوه قال جابر فانطلقنا فقتلناه[3] .

---

١) احكام القرآن (الجصاص) مخطوط جـ ٣ ص ٢١٣ ، بدائع الطلائع جـ ٧ ص ٨٧ ، فتح القدير جـ ٤ ص ٢٥٠ ، المبسوط (السرخسى) جـ ٩ ، ١٠ ص ١٦٨ .
٢) بدائع الصنائع جـ ٧ ص ٨٦ .
٣) احكام القرآن (للجصاص) جـ ٣ ص ٢١٦ ، المبسوط (السرخسى) جـ ٩ ، ١٠ ، ١٦٨ ، سنن النسائى جـ ٨ ص ٩٠ .

فظاهر من منطق الحديث الوضع كيف يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فى قضية لم يحرفها بعد ولم يسمع من طرفيها مما لابد منه فى باب القضاء واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع فى أربع مرات فمعنى ذلك أنه قطعت أطرافه الاربعة فبأى شيء سرق فى المرة الخامسة • ويقول أبو عبد الرحمن عن هذا الحديث أنه منكر ومن أحد رواته وهو مصعب بن ثابت أنه ليس بالقوى فى الحديث[1] مما يجعلنا نقول بسلامة رأى عمر وعلى من سار على نهجه وهو المتفق مع نصوص الدعوة وروحها •

———— × ————

الباب الأول

الفصل الثامن

الدعوة من سلوك عمر رضي الله عنه

الباب الاول

الفصل الثامن

الدعوة من سلوك عمر رضى الله عنه

وهو يشتمل على النقاط التالية :

١) عمر كان صورة متحركة للدعوة الاسلامية فى السياسة التى انتهجها فى حياته الشخصية وفى أسرته وكان طابعها الشدة .

٢) عمر كان صورة متحركة للدعوة الاسلامية فى سياسته مع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع الضعفاء ومع المسلمين عامة وقت المحن والشدائد وكان من أبرز ملامحها الرحمة والرفق بهم والشعور بالواجب ازاءهم .

(السلوك العمرى وعلاقته بالدعوة الاسلامية)

ان سلوك أى كائن انما ينبعث عن دوافع هذا الكائن الحى الى القيام بعمل معين والاستمرار فيه ، وعمر رضى الله عنه ككائن حى انما كان له سلوكه فى الحياة فى كل مجالاتها فله صلاته المختلفة مع الله فى العبادة ومع أهل بيته فى الداخل والخارج ومع الناس على اختلاف فئاتهم وطباعهم وأشكالهم وفيما يتعلق بهم فى جميع الامور التى تهمهم فى أمر الدنيا والدين ، ويتضح لنا أن سلوكه كان يدور فى دائرة الكتاب والسنة لا يحيد عنها قيد أنمله ، وكان هو نفسه يعلن ذلك فى أكثر من مرة على ملأ من الناس ، بل كان يطلب من المسلمين أن هو انحرف عن هذا المنهج كشر يخطىء ويصيب أن يردوه الى الصواب ، وكانوا هم أنفسهم يعلنون أنهم متيقظون لكل خطواته فلو ضل أو زل أو خرج عن منهج الدعوة سيقومونه حتى ولو بلغ الامر أن يقوم بالسيف لقوم به وهو مع ذلك كان يبارك فيهم تلك الشجاعة وهذه اليقظة المنبعثة من قوة الايمان المتدفق فى قلوبهم جعلتهم ينطقون بما يجيش به صدورهم من كلمة الحق وقد أعطى بهذا السلوك الطيب الاصل القدوة الحسنة الصالحة لاتباع الاسلام ولفت نظر الاعداء الى حكام المسلمين الذين تربوا على مائدة الدعوة الاسلامية .

(سلوكه فى العبادة)

كانت حياة سيدنا عمر حلقة متصلة فى العبادة يقضى طوال نهاره فى البحث عن مشاكل المسلمين وعن وضع الخطط العسكرية أحيانا لقادة الجيوش ومتابعة حركاتهم أولا بأول ليكونوا معه دائما وأبدا فى الصورة وليكونوا كأنهم حاضرون معه فى المدينة بل كل ما يهم المسلمين كان عمر يفكر فيه طوال نهاره فاذا أقبل الليل فهل يا ترى يخلى عمر بنفسه ليقضى فيها ساعة راحة يسر فيها مع الناس ليستريح من عناء التعب أم ماذا كان يفعل ؟؟ كان أكبر من هذا ، كان الليل فى وجدانه أحسن أوقاته اذ ينشغل أكثره بالعبادات والصلاة يحييه بها .

عن سعيد بن المسيب قال : (كان عمر يحب الصلاة في كبد الليل) ، وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى اذا كان في آخر الليل يوقظ أهله ويقول (الصلاة ، الصلاة) ويتلو قول الله عز وجل (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[1] وعمر في عمله هذا لم يفوت على نفسه فرصة يمكن اغتناقها وهذا العمل صورة اسلامية صادقة :

فالله سبحانه وتعالى حبب في صلاة الليل ورصد لذلك ثوابا عظيما وأعد لاصحابها أجرا كبيرا وما ذلك الا لان اصحابها بعملهم هذا يدلون على مدى يقظتهم وأحاسيسهم العميق ووجدانهم المرهف الذي صقله الايمان في بوتقه المعرفة بالله وكيف لا يكون هذا الثواب وغيرهم يغط في النوم أو يقضي ليله مع الهوى والشيطان .

ويقول الله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[2] .

ويقول سبحانه (أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار)[3] ويبين الله سبحانه أن المحافظين عليه هم المستحقون لخيره ورحمته (أن المتقين في جنات وعيون آخذين ما اتاهم ربهم كانوا قبل محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون)[4] ومدحهم في جملة عبادة الابرار (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)[5] . شهد لهم

---

١) طه آيه ١٣٢ ــ تاريخ عمر لابن الجوزي والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ القسم الثاني ٠/ ٢٠٥ .
٢) الاسراء آية ٧٩ .
٣) المزمل آيه ٢٠
٤) الذاريات آية ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨
٥) الفرقان آية ٦٣ ، ٦٤ .

بالايمان في آياته فقال (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا)[1] ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم من لم يتصف بوصفهم فقال (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ أنما يتذكر أولو الالباب)[2] وعن عبد الله بن سلام أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه انجفل الناس اليه فكنت ممن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب قال فكان أول ما سمعت من كلامه أنه قال (أيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[3] ويقول سلمان الفارسى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بقيام الليل فأنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم على ربكم ومكفرة لسيئاتكم ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء من الجسد[4] .

وقال سهل بن سعد ـ جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد عش ما شئت فأنك ميت .. وأعمل ما شئت فأنك مجزى به وأحبب ما شئت فأنك مفارقه وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه واستغناؤه عن الناس[5] : عن أبى هريرة قال .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل كما روى عنه قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فأن أبى نضحت فى وجهه الماء[6]

---

١) السجده آية ١٥ ٢) الزمر آية ٩
٣) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (المنذرى) جـ ١ ص ٢٨٧
٤) المرجع السابق ص ٦٩٢
٥) المرجع السابق ص ٣٩٥ ، فقه السنة سيد سابق جـ٢ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
٦) سنن النسائى جـ ٣ ص ٢٠٥ ، ٢٠٧

فسلوك سيدنا عمر كان ينبع من هذا البيان الاسلامى ، فكان يخرجه من حيز النظرية الى حيز التطبيق فاذا كان فى ايله كذلك وهو الوقت الذى بلغ فيه على الانسان براحة جسده من عناء العمل اليومى فأنه فى نهاره لا يقل نشاطا فى رضا الله عز وجل ان لم يكن أكثر .

سلوك سيدنا عمر فى حياته الخاصة

فعمر رضى الله عنه انما كان يروض نفسه على حياة الزهد حتى أصبح من طبيعته بعد مران طويل وجهاد لنفسه كبير صارت بعدها طوع ارادته ، فلقد كان يقنع بالقليل من الطعام ويلبس الثوب المرقع وهو راضى النفس ، عن الحسن قال : خطب عمر بالناس وهو خليفة وعليه ازار فيه ثنتا عشر رقعة ولم يكن قميصه رضى الله عنه بأحسن حال من ازاره .

عن أنس بن مالك قال : نظرت فى قميص عمر فاذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا [1] ومنع نفسه من الاكل من طعامين فى وقت واحد فاذا أحضر اليه طعام مخلوط من صنفين لا يذوقه . عن أبى حازم قال : دخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنته : فقدمت اليه مرقا باردا وخبزا وصبت فى المرق زيتا فقال : أدمان فى اناء واحد لا أذوقه حتى ألقى الله [2] .

وعن أبى أمامه قال بينما نحن مع عمر بن الخطاب وهو يجول فى سكك المدينة ومعنا الاشعث بن قيس فقال الاشعث : يا أمير المؤمنين : لو أمرت بشىء من سمن فصب على هذا اللحم ثم طبخ حتى يملغ ابانة كان ألين له ـ قال : فرفع عمر يده فضرب بها فى صدر الاشعث ثم قال له : أدمان كلا أنى لقيت صاحباى وصحبتهما فأضاف أن أخالفهما فيخالف بى عنهما فلا أنزل معهما حيث نزلا [3] .

---

(١) تاريخ عمر (ابن الجوزى) / ١٤٠

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ القسم الاول / ٢٣٠

(٣) ابن الجوزى / ١٤٦ .

وكان هذا هو المنهج الذى سار عليه عمر فى شرابه : عن الحسن أن عمر دخل على رجل فاستقاه وهو عطشان فأتاه بعسل فقال ما هذا ؟؟ قال عسل : قال والله لا يكون فيما أحاسب به يوم القيامة (١)

روى مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أدرك جابر بن عبد الله ومعهم حامل لحم فقال عمر : أما يريد أحدكم أن يطوى بطنه ؟؟ لجاره وابن عمه .. فأين تذهب عنكم هذه الاية (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)(٢) .

وأخبار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الزهد والنزاهة أشهر من أن تذكر ، ويكفى تلك الفتوح التى جعلت الاموال تنصب نحو بيت المال فى المدينة وعمر مع ذلك لا يلتفت اليه ولا يأخذ منه الا ما فرضه لنفسه كسائر الصحابة الاولين ، وكان اذا احتاج الى مال فوق راتبه جاء الى بيت المال فاستعرضه حتى يوفيه أياه من عطائه فيما بعد(٣) .

وأشفق الصحابة رضوان الله عليهم على سيدنا عمر رضى الله عنه وعزموا على مفاتحته فى هذا الصدد ولكن ردهم عن هذا الامر هيبتهم له وخوفهم من شدته ، فأخبروا ابنته حفصة بما عزموا عليه ولعلها كانت رضى الله عنها مقتنعة هى الاخرى بهذا الرأى ثم ولعلها فكرت فى هذا الامر قبلهم لانها الصق الناس به وأقربهم اليه فهى تطلع على ما لا يجوز أن يطلع عليه غيرها وكلمت أباها بما أخبرها عنه الصحابة ولم تخبره عن أسمائهم فلم يسر عمر بما أقبل القوم يريدونه من أجله ولكن ظهر الغضب على ملامح وجهه ، وقال لها لو علمت من هم لسودت وجوههم وأخذ يسألها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتها فى مأكله وملبسه وهى تجيب ، فلما بلغت الغاية

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد القسم الاول من جـ ٣ / ٢٣٠ .
٢) الاحقاف آيه ٢٠ ، الترغيب والترهيب (المنذرى) جـ ٣ ص ٤٢٤ .
٣) تاريخ التمدن الاسلامى (جورجى زيدان) جـ ٢/١٧ .

أعلمها أن ذلك هو المنهج الذى يسير عليه حتى يلحق بصاحبيه وأن اتبع غير هذا الطريق لم يلحق بهما أبدا[١] .

ويحلل بعض المفكرين المسلمين بما أخذ به عمر نفسه من الزهد : بأن عمر لم يفعل ذلك خوفا على ذهاب الطيبات فى الاخرة فقط وأنما تأسيا بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قدره له[٢] فالله سبحانه وتعالى يلفت الانسانية فى كل زمان ومكان الى أن سعادة الانسان فى الدنيا والاخرة انما يكون بالتأسى واتباع النبى صلى الله عليه وسلم فى كل شىء فى حركاته وسكناته وأقواله وتقريراته ـ يقول رب العزة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر)[٣] ، فحياة النبى صلى الله عليه وسلم كانت شديدة فى مأكله وملبسه ومكان نومه .

عن أنس رضى الله عنه قال : (لم يأكل النبى صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات ولم يأكل خبزا مرققا حتى مات) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ـ قال : لم يكن ينخل الرسول صلى الله عليه وسلم الدقيق ولم يكن له الا قميص واحد[٤] .

عن الشعبى عن مسروق قال ـ دخلت على عائشة أم المؤمنين وهى تبكى فقلت يا أم المؤمنين ما يبكيك ؟؟ قالت : ما أشبع فأشاء أن أبكى الا بكيت وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تأتى عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بر[٥] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبعنا من الاسودين[٦] .

---

١) ابن الجوزى / ١٤٤ / ١٤٥ بتصرف ٢) الشيخان طه حسين / ١٣٥
الطبرى جـ ٣ / ٦١٧ . ٣) الاحزاب آية ٢١
٤) الترغيب والترهيب (المنذرى) جـ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
٥) الترغيب والترهيب جـ ٥ / ١٤٨ . ٦) صحيح مسلم جـ ٨ ص ٢١٩ .

ولم يكن فراش النبي صلى الله عليه وسلم بالفراش الوثير ولكنه فراش خشن قد أثر في جسد النبي صلى الله عليه وسلم النبي عليه الصلاة والسلام غير ضائق به ولا كاره .

عن عمر بن الخطاب قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير ، قال فجلست فأذا عليه ازارة وليس عليه غيره واذا الحصير قد أثر في جنبه واذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية في الغرفة واذا اهاب معلق ، فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك ؟؟ يا ابن الخطاب ـ فقال يا نبي الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها الا ما أرى ، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك ـ قال يا ابن الخطاب ، أما ترضى أن تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا[1] .

فهذا كله كان من الاسباب الرئيسية التى وضعها عمر نصب عينيه ، فكان يتأسى ما وسعه التأسى وكان سيدنا عمر بذلك يحطى القدوة الحسنة بسيرته العطرة والمثل الاعلى من هذا المسلك الطيب فالعامل اذا رأى خليفته زاهدا تقيا يمسح نفسه من كل شيء ويستهلك في مصلحة الامة فأنه يقتدى به ولو كان ذلك مخالفا لرأيه[2] ولم يكن عمر يرضى لعامة المسلمين بمثل هذا الزهد والتقشف وانما كان يحملهم على الطريق الوسط كى لا ينغمسوا في النعيم ويسترسلوا فى الشهوات فتفسد أخلاقهم وتفتر هممهم ولكى لا ينقطعوا عن العمل ويعرضوا بتاتا عن نعيم الحياة فتتجمد ملكاتهم ، وتتعطل أمور معاشهم ولقد كتب كتابا الى أبى عبيده يلومه فيه على شدته في منع المسلمين من التنعم كما يتضح فيه مذهبه فى حمل المسلمين على طريق الوسط وعدم حملهم على الزهد :

---

١) الترغيب والترهى المنذرى جـ ٥ / ١٦٠

٢) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٢ / ١٧ (جورجى زيدان)

" بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبى عبيده بن الجراح ـ سلام عليك وبعد نحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما قولك أنك لم تقم بأنطاكية لطيب هوائها فالله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات كما قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)[1] كما قال للرسل (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وأعملوا صالحا أنى بما تعملون عليهم[2] وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون الابد ان النصبة فى قتال من كفر بالله[3] .

وانما كان يشدد على العمال فقط فى النهى عن التنعم ويحملهم على طريقته فى الزهد كى لا يتبسطوا فى نعيم الحياة ، ويتوسعوا فى أسباب الرفاهية فيحملهم ذلك على الصرف الذى يحتاج الى كثرة المال وربما حملت أحدهم حاجة السرف الى تناول المال من غير طرقه المشروعة فتتأذى بهم الرغية ويضطرب نظام العدل الذى لم يكن شىء أحب اليه منه[4] .

وقد سبق بالتفصيل فى فصل الحكومة والأدارة فى عهد عمر ويكفينا رواية واحدة تؤيد هذا الرأى .

وكان عمر اذا استعمل عاملا اشترط عليه أن لا يركب دابة ولا يلبس رقيقا ، ولا يأكل نقيا ، ولا يغلق بابه عن حوائج الناس وما يصلحهم[5] .

---

١) البقرة آية ١٧٢ ٢) المؤمنون آية ٥١ .
٣) اشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) ٤٢٨ / ٤٥٤
٤) اشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) / ٤٢٨ .
٥) تاريخ عمر لابن الجوزى / ١٢١ .

ويحلل الاستاذ العقاد الزهد العمرى : فيقول : أن أناسا يشددون على أنفسهم من كزازة فى الطبع وضيق فى الحظيرة وعجز عن ملابسه الدنيا ، وهذه نقائص تعاب فى مقياس الفكر والاخلاق ثم يتساءل .. هى كانت خلافة عمر بن الخطاب خلافة المرعب المتوجى العاجز الذى يرجع الشظف عنده الى العجز عن ملابسه الدنيا ؟؟ أعجل الناس لا يتهم عمر بهذا ولا بما يشبهه ويدانيه وانما تدل جملة أخلاقه على أن الخلق الذى الزمه حياة الشظف أنما هو خلق قوى ، يروض صاحبه على ما يريد وليس بخلق ضعيف ، يجفل عن التصرف والتكليف اجفال العجز والرهبة والوسواس[1] وهذا يتفق مع ما روى :

أنه قدم أبو موسى فى وفد أهل البصرة على عمر فقالوا كنا ندخل كل يوم ولبه خبز ثلاث فربما وافقناها مأدومة بزيت ، وربما وافقناها بسمن ، وربما وافقناها بالقدائد اليابسه قد دقت فأعلى بها وربما وافقنا اللحم الفريض وهو قليل : فقال لنا : أيها القوم أنى والله لقد أرى تعذيركم ، وكراهيتكم لطعامى ، وأنى والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، وأرفعكم عيشا ، أما والله ما أجهل عن كواكر وأسنمة وعن صلا وصناب وصلائق[2] ولكنى سمعت الله جل شأنه وعظم ثناؤه عير قوما بأمر فعلوه فقال (أذهبتم طيباتكم فى الحياة الدنيا واستمتعتم بها)[3] ويضيف الاستاذ العقاد الى ذلك مبينا أن ذلك ليس لنقص فيه وأنما لمزايا ـ فيقول : وليس ذلك لهزال فيه وأنما كان معرضا ـ عنها لانه صاحب حيوية غير الحيوية الجسدية الموكله بالسرور والمتاع .

---

١) عبقرية عمر (للعقاد) ١٢٦ / ١٢٧ . ٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ قسم أول ٢٠٠ تاريخ عمر لابن الجوزى ١٤٦ . ٣) الاحقاف آيه ٢٠ .

فمن الواجب اذا ذكرنا الحيوية وضعفها وقوتها أن نتذكر أبدا أنها حيويات متعددة وليست بحيوية واحدة •

حيوية الروح ، وحيوية الخلق ، وحيوية الذوق ، وحيوية العقل ، وحيوية الجسد وغير ذلك مما يتداخل •

فليس من الضرورى اذا رأيت رجلا قليل الاشتهاء لمتعه الاجساد أن تحكم عليه بضعف الحيوية فربما كانت له حيوية أخرى تملأ ألوفا من النفوس لاتجد متاعها فى أكلة أو شهوة وتجد المتاع خير المتاع فى احقاق الحق ، وزجر الطغيان ، وأقامة العدل والشريعة بين الناس وهكذا كانت حيوية عمر رضى الله عنه فيما يزيده ، وفيما يزهد فيه •

لم تكن قلة الرغبة فى زخارف الدنيا هى مقياس حيويته العظمى وانما كان مقياس تلك الحيوية عظم الرغبة فى الاصلاح والتقويم ، وفى اجراء ما ينبغى أن يجرى غير مبالى ما يكلفه ذلك من جهد تتضاءل دونه جهود الالوف من الموكلين بمتاع الاجساد[1] •

أن عمر رضى الله عنه الذى كان يحكم رقعة كبيرة يأتمره الناس فيسمعون لكلامه ويطيعون أوامره وأشارته ، ومع هذه المكانة المرموقه ، كانت النساء لا تردن العيش معه لانه سيحملهن على مذهب الزهد الذى أخذ به نفسه وسيحاسبهن على تفريطهن اذا ما بدر منهن التفريط بل يضعف فى عقابهن ولاجل هذا كان اذا أرسل الى امرأة يريد الزواج بها ترفضه وتفضل عليه من هو أقل منه شأنا اذا تقدم اليها وحسبنا فى هذا شهادة التاريخ •

---

١) عبقرية عمر (العقاد) ٥٢/٥٣ •

خطب أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى صغيره وأرسل فيها الى عائشة رضى الله عنها فقالت أم كلثوم لا حاجة لى فيه ـ فقالت لها عائشة : ترغبين عن أمير المؤمنين ـ قالت نعم وعللت رفضها بقولها : " أنه خشن العيش ، شديد على النساء ، ولم تستطع عائشة رضوان الله عنها ، أن تواجه عمر برفض أختها له ووسطت عمرو بن العاص ليخبر عمر رضى الله عنه بطريقته وهى طريقة الحيلة والدهاء : فأتى عمر رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين ، بلغنى خبر أعينك بالله منه ، قال وما هو ؟؟ قال خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر قال نعم : أفرغبت بى عنها أم رغبت بها عنى ؟؟ قال لا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أم المؤمنين فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك ، وما نقرر أن نردك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها أن خالفتك فى شىء فسطوت بها ، كنت قد اخلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك فقال فكيف بعائشة وقد كلمتها ؟ قال أنا لك بها وأدلك على خير منها . أم كلثوم بنت على بن ابى طالب ، تعلق منها بنسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

وقد وصفته امرأة أخرى تقدم لخطبتها وهو فى وجازته يدل دلالة قوية على عظمة عمر وليس على تقصير فيه :

فقالت أم أبان بنت عقبة بن ربيعة " أنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر الى ربه بعينيه [2]

ويأخذ بعض العلماء فى توضيح هذا المنهج العمرى فى المعاملة فى بيته مع نسائه وأن تلك المعاملة فى بيته مع نسائه وهى تلك المعاملة الشديدة كانت لا تمنع عمر رضى الله عنه من البر والرحمة بهن لان المرء قد يكون ناعم الملمس وهو قاس مفرط فى القسوة ، ويكون خشن الملمس وهو رحيم مفرط فى الرحمة وسيدنا عمر بن الخطاب من أفذاذ الرجال الذين تتجلى فيهم هذه الحقيقة أحسن جلاء .

---

١) تاريخ الطبرى جـ ٤/ ١٩٩ ٢) عبقرية عمر (العقاد) / ٢٠٨

وأخذ يسوق الادلة على هذا من سلوك نسائه معه فى حياته وبعد مماتـــه مما يدل دلالة صادقة على جميعهن لـــه •

فكانت احداهن التى سميت العاصية وسماها النبى صلى الله عليه وسلـــم الجميلة لا تطيق فراقه فاذا خرج سارت معه الى الباب فقبلته ولم تزل فى انتظاره •

ورثته أمرأة من نسائه تسمى بعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل • بكته بكاءا حـارا وتعددت قصائدها فى رثائه مما يدل على صدق الحسرة وبالغ الالم فى نفسهـــا وما يكنه صدرها من الحب المفرط له •

قالـــت :

رؤوف على الادنى غليظ على العـدا أخى ثقة فى النائبات منيـــب

متى يقل لا يكذب الله قولـــه سريع الى الخيرات غير قطـــوب

وقالـــت :

جسد لفف فى أكفانـــه رحمة الله على هذا الجســـد(١)

كما أننا لم نر زوجة واحدة اتهمته فى التفريط فى حقوقها التى شرعها اللـــه سبحانه وتعالى لها •

وحتى من النساء المطلقات ، ولو كان فيه نقيصة لاذعن لله لتعفى كل واحدة نفسها مما دخلها من طلاقها •

وكان رضى الله عنه يحب أبناءه ويعرف وجد الاباء بالابناء وينزع الثقة ممـــن لا يحنو على صغاره امر بكتابة عهد لبعض الولاة ـ فأقبل صبى صغير فجلس فى حجـرة وهو يلاطفه ويقبله فسأله المرشح للولاية أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟؟

---

١) عبقرية عمر (العقاد) / ٢٠٩ / ٢١٠ / ٢١١ بتصرف •

ان لى عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم ولا دنا أحدهم منى ـ فقال له عمر وما ذنبى اذا كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك ... أنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ثم أمر بكتاب الولاية أن يمزق وهو يقول : أنه اذا لم يرحم أولاده .. فكيف يرحم الرعية[1] ؟ فله فى ذلك الاسوة الحسنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

رأى الاقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال أن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لايرحم لا يرحم[2] .

سياسته مع أهله ازاء الاوامر والنواهى

وكان رضى الله عنه يلفت دائما وأبدا نظر أهله الى أن الانظار متجهة اليهم ، ولذا يجب عليهم أن يكونوا مثلا عليا فى الاخلاق الكريمة والفضائل العالية واتجاه سيدنا عمر فى هذا انما هو نتيجة لفهمه للدعوة :

فهى تدعو لمن يحمل أمانتها أن يكون قدوة للناس فى كل سلوك ، بهذا يجذب غيره الى الدعوة ويجعله ينخرط فى سلكها ويغنى عن كثرة القول والخطب التى يتجرد صاحبها من السلوك الطيب .

فيقول رب العزة " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر)[3] فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين له سبحانه كيفية الدعوة بالسلوك فينبهه الى اصلاح أسرته أولا قبل أن يدعو الناس الى الاصلاح فيقول (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)[4] وما تكاسل الناس عن العبادة وتهاونوا فى أداء الطاعة الواجبة عليهم نحو ربهم وما سلكوا المنهج المنحرف الا لان أكثر الدعاة أصبحوا مثلا سيئة فى الاخلاق وأصبحوا أصحاب وظائف لا أصحاب رسالة ، وزيادة على ذلك أصبحوا يقبلون أعتاب الحكام ويبررون أعمالهم بأنها من صميم الاسلام .

---

١) احياء علوم الدين (الغزالى) جـ٢ / ٢١٨) المرجع السابق / ٢١٢ / ٢١٣ .
صحيح البخارى جـ ٨ ص ٩ مطابع الشعب ٣) الاحزاب آية ٢١
٤) الاحزاب آيه ٥٩ .

عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر اذا نهى الناس عن أمر دعا أهله فقال أنى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وأنما ينظر الناس اليكم نظر الطير الى اللحم ، فان وقعتم وقع الناس وأن هبتم هاب الناس وأنه والله لا يقع أحد منكم فى شيء نهيت الناس عنه الا أضعفت له العقوبة لمكانه منى وسبب تضعيف العقوبة عليهم لا مرين الاول : لوقوعهم فيما نهى عنه الناس والامر الثانى : بينه رضوان الله عليه فى قوله لقربهم منه .

ويقول الشيخ الغزالى عن تأثير القدوة الطيبة وثمرتها : " أن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس الى الايمان وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب اليه الافئدة ويجمع عليه القلوب .

ولذا فأن الداعيه المؤمن هو الذى يهدى الى الحق بعمله وأن لم ينطق بكلمة واحدة لانه مثل حى متحرك للمبادئ التى يعتنقها ، والتدين الحقيقى صورة لجوهر النفس بعد ما استكانت لله ونزلت على أمره ، وأصطبغت بالفضائل التى شرعها وترفعت عن الرذائل التى حرمها واستقامت على ذلك استقامة تامة .

والدعوة الاسلامية تكون بعرض ثماره فى اتباعه المؤمنين به ويومئذ ترجى الاجابة ويرتقب الاهتداء (٢) .

فلم يغب عن عمر قول الله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٣) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (٤) ويتغير الرسول صلى الله عليه وسلم ويذم المتصف برضع موقفه يوم القيامة فيقول .. (يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدورها كما يدور الحمار فى الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان

---

١) الطبرى جـ ٤ / ٢٠٧ / الرياض النضره فى مناقب العشرة (محب الطبرى) مخطوط / ٨ ورقة ٢٨ .

٢) مع الله (الشيخ محمد الغزالى) / ٢٨٢ / ٢٨٣ / ٢٨٤ (٣) صورة البقرة آية / ٤٤ / سورة الصف آية / ٢ ، ٣ .

مالك ؟؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ـ

ـ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه[1]

فمن غير شك لو لم يطبق المنهج الاسلامى على نفسه وأسرته أولا لخالف الله عجز وجـــل ولما نجحت دعوته هذا النجاح العظيم الذى تنبأ له الرسول صلى الله عليه وسلم بـــه وأخبره بذلك فى حياته •

(سلوك سيدنا عمر رضى الله عنه مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن عمر رضى الله عنه عاش وفى ضميره ووجدانه وأحساسه حب النبى صلى اللـــه عليه وسلم فلما تقلد منصب الامارة على المؤمنين رأى أن من الواجب عليه أن يكرم كل من له صلة بهذا النبى العظيم سيما وأن الانسانية لم تسعد ولم ترتقى فى سلم الانسانيـة الا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فجدير بأتباعه وعشاقه ومحبيه والمؤمنين به تكريمهـــم ولا سيما من تلامذته الذين تربوا على مائدته مباشرة فصقلتهم كلماته وهذبتهم سيرتـــه ونفعتهم مصاحبته وكانوا أفضل من بعير شارد ، ولذا لما اتفق على انشاء الدواويـــن ، فكان لعمر رأى يخالف رأى سلفه الصديق رضى الله عنه •

فميز آل النبى صلى الله عليه وسلم وجعلهم من أبز الطبقات فى العطـــــاء ولا سيما وأن الدعوة بينت أنه يجب مودة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبهـــم والدفاع عنهم ـ فيقول رب العزة (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)[2] •

ويبين عمر الاسباب والحجج التى من أجلها فضلهم عن غيرهم من المسلمين ولم يستطـــع المسلمون لها دفعا وأمعوا عليها وقد حاول أهله وعشيرته بنو عدى أن يجعلهم طبقـة مميزة بالعطاء من أجله فلم يقبل وعنفهم فى هذا ووبخهم وجعل نفسه وأهله فى المكـان الطبيعى من القرابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

---

١) رياض الصالحين (يحيى بن شرف القروى) ١٠٥/١٠٦ ، صحيح مسلم جـ٨ ص٢٢٤
٢) الشورى آية ٢٣ •

عن أسلم : (قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين عرض عليه الكتاب وبنو تيم على أثر بنى هاشم وبنو عدى على أثر بنى تيم فأسمعه يقول ، ضعوا عمر موضعه وأبدأوا بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت بنو عدى الى عمر ـ فقالوا أنت خليفة رسول الله قال أو خليفة أبى بكر وأبو بكر خليفة رسول الله ، فلو جعلت لنفسك حيث جعلك هؤلاء القوم . قال بخ بخ بنى عدى ، أردتم الاكل على ظهرى ، وأن أذهب حسناتى لكم لا والله حتى يأتيكم الدعوة وأن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا فى آخر الناس ، أن لى صاحبين سلكا طريقا فان خالفتهما خولف بى ، والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا ولا نرجو ما نرجو من الاخره من ثواب الله على ما عطنا الا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الاقرب فالاقرب ، أن العرب شرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل بعضها يلقاه الى أباء كثيرة)[1] .

وكان رضوان الله عنه يرحب بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقربهم عن سائر ولده ، فكان فى بعض الايام ينتظر الحسين بن على رضى الله عنه ، فذهب اليه الحسين ، فلقى عبد الله بن عمر فى الطريق فسأله من أين جئت ؟؟ قال استأذنت على عمر فلم يأذن لى فرجع الحسين . ولم يذهب اليه ، ثم لقيه عمر معاتبا وسأله ما منعك يا حسين أن تأتينى ؟؟ قال أتيتك ولكن أخبرنى عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن لى فرجعت .. فعز ذلك على عمر وقال له وأنت عندى مثله ؟
وأنت عندى مثله .. وهل أنبت الشعر على الرأى غيركم ؟؟

ولما كسى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يجد ما يصلح للحسن والحسين فبعث الى اليمن فأتى لهما بكسوة تصلح لهما وقال حين رآها الان طابت نفسى

---

(١) الطبرى جـ ٤ / ٢١٠ ، الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ / ٢١٢ / ٢١٣ القسم الاول .

وكان آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مشورته رضوان الله عليه وقد استخلفه عليا حين سافر الى الشام وأخذ نفسه باستفتائه والرجوع اليه فى قضائه متحرجا من دعوته الى حين يحتاج الى سؤاله .

فاستفتاه بعضهم فى مجلسه ـ فقال اتبعونى وأخذهم الى على فذكر له المسألة فقال على ألا أرسلت الى ؟؟ قال عمر أنا أحق بإتيانك[1] .

الدعوة من سلوك عمر ازاء أصحاب الواجبات

كان عمر رضى الله عنه يفهم فهما عميقا وأصيلا التبعة التى القيت على كاهله ويقدرها حق قدرها ويعلم أنها أمانه مسئول عنها أمام الله عز وجل فهو مثاب أن أداها على وجهها كما أمر الله ومعاقب أن فرط فيها وعن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته[2] .

وزيادة على ذلك فالله سبحانه وتعالى منحه احساسا مرهفا وضميرا دائم اليقظة ، ولذا كان دائم البحث بنفسه ليطمئن على رعيته لانه ربما كان هناك من الناس من لا يستطيع الوصول اليه ليبلغه حاجته ، وهذا المسعى كان من الامور التى لم يسبق اليها بل هو أول المبتكرين لها[3] فهل كان يكتفى بالعلم ليشبع غريزه حب الاستطلاع ؟؟ أم أنه كان يتخذ بنفسه بصفته المسئول الاول للقرارات الفورية حسب ما تملى عليه ظروف الواقعة ؟؟ أن حقائق التاريخ تدلنا دلالة قوية فى مواقف كثيرة على

---

١) الكامل فى التاريخ (ابن الاثير) جـ٢ / ٣٠٩ ، عبقرية عمر (عباس العقاد) ص ١٥٦

٢) رياض الصالحين (النووى) / ٢٨١ ، الترغيب والترهيب (المنذرى) جـ٣ ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

٣) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى) ص ٥٨ .

أن عمر لم يكن يكتفي بالمعرفة فقط ويلقي على سمع الناس الكلمات الدالة على المشاركة الوجدانية وانما كان يعمل مدفوعا بدافع الايمان بالله والخوف منه عز وجل .

وهذه بعض مواقفه رضوان الله عنه لتكون عبرة لمن يتولى أمرا من أمور المسلمين .

قال اسلم : خرج عمر الى مرة واقسم (هي احدى حرتي المدينة) وأنا معه ، اذ كنا بصرار اذ نار تسعر فقال يا أسلم أني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا اليهم ، فهرولنا حتى دنونا منهم — فأذا أمرأة معها صبيان لها ، وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون (أي يصيحون) فقال عمر : السلام عليكم — يا أصحاب الضوء ونرى أن يقول يا أصحاب النار — قالت وعليك السلام — أأدنو ؟ أدن بخير أودع فدنا — فقال ما بكم ؟ ؟ قالت قصر بنا الليل والبرد — قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون — قالت من الجوع — قال وأي شيء في القدر ؟ ؟ قالت ما أسكتهم به حتى يناموا فأنا أعللهم وأوعصهم أني أصلح لهم شيئا حتى يناموا . الله بيننا وبين عمر — قال أي رحمك الله مايدري بكم عمر ؟ قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل على — وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم — فقال أحمله على ظهري قال أسلم فقلت أنا أحمله عنك مرتين أو ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة — لا أم لك فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه فهرول حتى أتينا اليها — فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها ذري على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر الى الدخان من خلال لحيته حتى انضج ثم أنزل القدر فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم قال : أطعميهم وأنا اصطح لكم فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الامر من أمير المؤمنين ، فيقول قولي خيرا ، فانك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتيني هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها ورمض (مريض العين) فجعلت أقول له ان لك شيئا غير هذا ولا يدعني حتى رأى الصبية يضحكون ، ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ، ثم أقبل

على فتاتان يا أسلم الجوع أسرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم[1]

فهذه الوقفة يجب أن تكون عبرة لحكام المسلمين يضعونها نصب أعينهم ليستفيدوا منها دروسا تربوية كريمة من حاكم عظيم رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن تربيته :

أن حكام المسلمين فى الصدر الاول من الاسلام كانوا يبرزون الى الناس من غير مراسيم ولا شىء من مستحدثات العصر .

وسيدنا عمر كان يرى أن من الواجب عليه فى عصره الخروج ليلا ليتقصى أمر الرعية :

وأنا لا أطالب حكام المسلمين فى عصرنا الحديث أن يفعلوا ذلك وأنما يجب عليهم اذا حسنت نيتهم وكانت أهدافهم كأهداف سلفهم الصالح فى خدمة البشرية والانسانية أن يتخذوا أجهزة تلك الاجهزة ، يقوم عليها أناس يكون من أبرز صفاتهم العلم بكتاب الله وسنه النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح .

والعلم وحده لا يكفى بل لابد وأن يكونوا من الخوف والخشية من الله بمكان يدل على هذا سلوكهم فى حياتهم الخاصة والعامة : فلو قامت الاجهزة على هذا المنهج استطاع الحكام المسلمون أن يعلموا الاخبار اليقينية الحقيقية عن المسلمين وأنهم بذلك أيضا يتقابلون مع كل فرد مباشرة كما كان سيدنا عمر يفعله ما استطاع الى ذلك سبيلا .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ / ١٣٦ / الطبرى جـ ٤ / ٢٠٦ ، تاريخ عمر لابن الجوزى ص ٦٧ ، ٦٨ .

أعطى سيدنا عمر الصورة العملية للآداب الاسلامية عند لقائه مع الناس من عرفهم ومن لم يعرفهم : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : أذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فأنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال السلام عليكم ، فقالوا سلام عليك ورحمة الله ، فزادوه رحمة الله[1] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير ؟؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[2] وعن أبى هريره رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شىء اذ فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم[3] .

كما أوضح قانون من قوانين السلام وذلك .

أن كل انسان فى الاسلام ينال من الله عز وجل جزاء عمله وثمرته . يقول رب العزة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[4] ولا يتحمل انسان جريرة على الاخر مهما كانت قرابته منه ـ يقول رب العزة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى[5] .

وقال أسلم مولى عمر ، قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن نحرسهم الليلة ؟؟ قال نعم فبات يحرسا نهم ويصليان فسمع بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لامة اتقى الله واحسنى الى صبيك ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى الى أمه فقال لها ، ويحك أنك أم سوء ،

---

١) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٦٢ مطابع الشعب ٢) رياض الصالحين (النووى / ٣٤٣
الترغيب والترهيب (المنذرى) جـ ٤ ص ٢٠٣ ٣) الزلزلة آية ٧ ، ٨ .
٤) فاطر آية ١٨ . ٥) فاطر آية / ١٨ .

مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ فقالت يا عبد الله اشغله عن الطعام فيأبى ذلك ـ قال ولم ؟ قالت لان عمر لا يفرض الا للمفطوم قال وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت كذا شهرا فقال ويحك لا تعجليه عن الفطام ، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء قال بؤسا لعمركم تقتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديه فنادى ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب بذلك الى الافاق (١) .

ففى الواقع عندما نتأمل هذا العمل الذى قام به سيدنا عمر رضى الله عنه لانجد له مثيلا فيخيل الى سطحى النظر ان هذا ضرب من الخيال ، حيث أن حاكما كبيرا وأكبر رأس فى المسلمين ثم والذى فى ظله انكمشت كل صنوف الظلم والعسف والذى دوخ كسرى وقيصر وأنزلهم من قلاعهما صاغرين ومع هذا كله يتحرك هو وعبد الرحمن بن عوف لان رفقة نزلت بمركز قيادة المسلمين أى نزلوا ضيوفا على المدينة ، من السهل التصديق بها فى خلائق عمر اذا علمنا المفتاح الذى كان يدفع عمر الى مثل هذا السلوك ـ من أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

من كان يؤمن بالله واليوم والاخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليصر رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت) (٢) .

وعن أبى شريح خويلد بن عمرو الخزاعى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال : (يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة) (٣) .

---

١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ / ١٣٥ تاريخ عمر لابن الجوزى / ٦٧ .
٢) رياض الصالحين (النووى) / ٣٠٠ .
٣) والترغيب والترهيب (المنذرى) جـ ٤ ص ١٤٧ .

فكان من السهل على عمر ان يوكل بهم من يقوم على أمرهم ويحمد له هذا الفعل ولكن عمر أراد أن يزيدهم تكريما فيقوم هو بنفسه وصديقه على حراسة أنفسهم وأمتعتهم ثم ومن هو أعظم ايمانا من عمر بالله واليوم الاخر ..؟؟

أن عمر الشديد البالغ الشدة مبلغا عظيما حتى اصبحت من أبرز ملامحه سريعا ما تتحرك فيه عاطفة الرحمة فتطفوا على السطح ويظهر عمر بصورة مغايرة تماما لما عهد فيه .

فيخطوا ليسأل عن سبب بكاء طفل ولم ينقطع الطفل عن البكاء . فيذهب اليها مرة ثانية ولكنه عنفها واشتد عليها فى القول فلما علم السبب وأن له مدخلا فى بكائه هزه المشهد هزا قويا ، وأخذ فى البكاء وظل فى بكائه حتى دخل الصلاة وهو على حالته من جيشان الحزن فى صدره حتى لم يستبن الناس قراءته فلما رأى سياسته نحو الاطفال غير ناهضة بهم أعلن تغييرها . ويقارن احد المسلمين المفكرين بين عمل عمر هذا والسياسة الحديثة مبينا الدوافع فى كل ويخلص من مقارنته الى كمال عمل عمر وقصور السياسة الحديثة فيقول : على أن الحضارة الحديثة أتاحت لبعض الامم أن تجعل الدولة للاطفال رزقا منذ يولدون ، وذلك حين يقل عدد المواليد وتتعرض الامة للنقصان والضعف عن الدفاع اذا دهمتها الخطوب . فالدولة لا ترزق الاطفال لان رزقهم واجب وأنما ترزقهم وتشجع الناس على اكثار من الولد لانها محتاجة الى الشباب الذين ينهضون بالخدمة العامة فى فروع الحياة على اختلافها ، ويدافعون عن الوطن حين يتعرض للخطر ولاكذلك ما فعل عمر رحمه الله ، انما فرض العطاء للاطفال لانه كان يرى ذلك حقالهم ظن أول الامر أن حقهم يبدأ حين يفطمون ، فلما رأى أن بعض الناس يعجلون فطام أطفالهم أذاه ذلك أشد الايذاء وأفزعه أعظم الفزع ففرض للاطفال عطاءهم منذ يولدون (١)

---

١) الشيخان (طه حسين) / ١١ .

سلـــوك عمر مع النســـاء المسلمـــات

قال أسلم : خرجت ليلة مع عمر الى ظاهر المدينة ، فلاح لنا بيت شعـــــر فقصدناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكى فسألها عمر عن حالها فقالت أنا امرأة عربية وليس عندى شىء فبكى عمر وعاد يهرول الى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبـــى طالب هل لك فى أجر ساقه الله اليك؟؟ وأخبرها الخبر فقالت نعم ، فحمل علـــى ظهره دقيقا وشحما وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلوم على المرأة وجلس عمر مع زوجها ، وهو لا يعرفه ، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك واخـــذ يعتذر الى عمر فقال عمر لا بأس عليك ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف[1] .

فهذه المواقف مواقف عمريه مما لاشك فيه .

يخرج عمر بالليل فيجد بيتا ضئيلا فيقصده فيسمع صوتا خارجا منه ممتزجـــا بالألم وليس الا امرأة حضرها المخاض وتسيل دموعها على وجنتيها ثم ويعلم منها أنهـــا ليس عندها شىء فأثار هذا المنظر الكوامن فى نفس عمر وأخذ فى البكاء ، فهـــذا المنظر تشاهده النساء ومع ذلك قد لا يبكين مع أنهن أسرع مما يحكم عاطفتهـــن وسرعة تأثرهن .

فهل يا ترى الذى أثاره لانه لم يتعود على رؤية مثل هذا أم أن الرحمـــة شىء استكن فى نفسه تظهر عند رؤية مثل هذه المشاهد أم ظنه أنه قد قصر فى حقوق المسلمين فيبكى خوفا من الله عز وجل ؟ قد يكون السبب فى بكائه رضوان الله عنـــه كل هذه الامور ويتحرك عمر سريعا لازالة تلك الصورة التى شاهدها ويعود على ظهـــره الطعام ليبدل حزن المرأة ، فازال ما وجدت ، وبذلك تزداد الروابط قوة بـــين المسلمين وينصهرون فى بوتقة الحب والرحمة والمؤاخاة والعطف عملا بقول الله عز وجـــل

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ / ١٣٦ ، وتاريخ عمر لابن الجوزى ص ٨٣ .

(انما المؤمنون أخوة)[1] .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[2] .

وحتى المرأة العجوز المقدة التى لاكافل لها كانت لا تغيب عن ذهن عمر فيتردد عليها فى جنح الليل مستترا به ليكون الثواب أعظم والعمل بعيد عن مظنه التظاهر ويقول رب العزة (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)[3] .

بل ويقوم على خدمتها ونظافة بيتها مع أن الرجل العادى يأبى أن يقوم بمثل هذا العمل فضلا عن عمر رضى الله عنه ولكنه يعلم أن كل خطوة من خطواته وحركة من حركاته ماداامت لله فلا ضير على عمر فيزداد بذلك رفعة فى سلم الايمان وفى اعين عارفى التواضع .

قال طلحة بن عبد الله ، وخرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتا فلما اصبحت ذهبت الى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها ما بال هذا الرجل ياتيكى ؟ قالت : أنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتى بما يصلحنى ، ويخرج عنى الاذى ، فقلت نفسى : ثكلتك أمك يا طلحة اعثرات عمر تتبع ؟ ؟

يقول الله عز وجل (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[4] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ، ومن

---

١) الحجرات أية ١٠
٢) صحيح مسلم جـ ٨ ص ٢٠
٣) البقرة آية ٢٧١ .
٤) الحج آية ٧٧ .

فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والاخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون آخيه (٢) .

لما رجع عمر من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أحوال رعيته فمر بعجوز فى خباء فقصدها فقالت ياهذا ما فعل عمر — قال قد اقبل من الشام سالما — فقالت لاجزاه الله عنى خيرا ، قال ولم ؟؟ قالت لانه والله مانالنى منذ تولى أمر المسلمين دينارا ولا درهم ، قال وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الوضع فقالت سبحان الله ، والله ما ظننت ان احدا يلى على الناس ولايدرى ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى الله عنه وقال واعمراه ، كل احد أفقه منك حتى العجائز ياعمر ثم قال لها يا أمة الله بكم تبيعيننى ظلامتك من عمر فانى ارحمه من النار ، قالت لا تستهزئ بنا يرحمك الله ، فقال عمر لست بهزاء فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ أقبل على ابن ابى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه — فقال عمر لها ما عليك يرحمك الله ثم طلب رقعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من موقعته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا ، فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى ، فعمر منه برىء ، وقال اذا مت فاجعله فى كفنى (٣) .

---

١) صحيح مسلم جـ ٨ / ص ١٨ .
٢) رياض الصالحين النووى ١٢٤ / ١٢٥ .
٣) مختصر كتاب صفوة الصفوة .

ويبرز لنا من تلك القصة بين عمر والمجوز أمورا تثير اليقظة فى النفوس المؤمنة وتنبه الضمائر الغافلة من الافراد الذين تولو ويتولون أمور المسلمين على اختلاف حجم رئاستهم .

١ـ ان عمر رضى الله عنه كان يحاول بكل الطاقة ان يقضى للناس حوائجهم من غير ان يكشف عن نفسه فى كثير من الاحايين وهذا يدل على التجرد الكامل لله عز وجل وهى دعوة الى الاخلاص لله سبحانه فى كل عمل يقوم به الانسان ويسند اليه فيخرج العمل من تحت يده جيد الصنع متقنا يقول رب العزة (الا لله الدين الخاص)[1] ويقول سبحانه (فاعبد الله مخلصا له الدين)[2] فحسب الظهور بالعمل يضعف الاجر والثواب من الله عز وجل وماذاك الا لأن آثاره وخيمة وعواقبه اليمة .

٢ـ كان رضى الله عنه يكظم غيظه ويسكن غضبه اذا وجهت اليه الاهانة فى كثير من الاحايين من غير علم به من الناس مع أنه فى هذا الظرف باحثا عن أحوالهم ليقضى حوائجهم فلم يقابل الاهانة بمثلها وهو فى هذا متأسيا بمنهج الدعوة الاسلامية ، يقول الله عز وجل (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر)[3] ، ويقول سبحانه يمدح من هذه حالتهم ، وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)[4] .

٣ـ عمر يلاحظ النفسية البشرية فى جميع حالاتها :

---

١) الزمر آية ٣ ٢) الزمر آية ٢
٣) ال عمران ١٥٩ ٤) ال عمران اية ٣٣

نظر الى الدوافع النفسه التى بسببها قالت العجوز هذا القول وهو فى الواقع قول طبيعى لمن فى مثل حالتها من الضيق والالم .

فهى لم تعرف كيفية الوصول اليه لاخباره بأمرها وهو لم يخيب لمن تكون فى مثل حالتها ولم يخبره احد ولم يلغه حاجتها .

فلا شك أن من فى مثل حالتها تكون قد بلغت فى التعقيد النفسى الى حد بعيد . ولكن ماذنب عمر ولما لم يصل اليه عنها شىء ، فهذا خارج عن اطار الوسع والطاقة والله عز وجل يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)(١) .

واذا كان الامر كذلك فما بال عمر يشترى ظلامتها هل يدل على أن عمر ظلمها حقها ؟ ليس كذلك وليس من طباعه .

وانما دفع عمر الى مثل هذا العمل على ما يبدو لنا :

١) خوفه من الله عز وجل ومراقبته فى كل أموره فاتهم نفسه بالتقصير فى شأنها فى الوقت الذى كان يبذل اقصى ما فى وسعه بالليل والنهار فى خدمة المسلمين ، ولانه كان يأبى أن يلصق به أى اتهام ولو كان فى الحقيقة غير صحيح .

---

١) البقرة آيه ٢٨٦ .

سلوك عمر ازاء أموال المسلمين وصلة ذلك بالدعوة

قال نافع العبسى : دخلت خير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب ـ قال فجلس عثمان فى الظل وقام على على رأسه يملى عليه ما يقول عمر وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه برد ان اسود ان اتزر باحدهما ولف الاخر على رأسه يعد ابل والصدقه ، ويكتب الوانها واسنانها فقال على لعثمان : فى كتاب الله (يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الامين)[1] ثم اشار على بيده الى عمر وقال هذا : القوى الامين [2] .

فعمر يعلم ان مال المسلمين امانة معلقة فى عنقه سواء أكان مال الصدقة أو غيرها وكان يصبر بنفسه عن موقفه منه بأنه انزل بنفسه منه منزلة ولى اليتيم أن استغنى تعفف عن الاخذ منه وان افتقر اكل منه بالمعروف . ولاجل هذا كان يخرجه فى وجوهه التى شرعها الله سبحانه وتعالى ولم يبح لنفسه أن تمتد يده اليه بغير حق ليعطى هذا وذاك . وكان يتحمل فى سبيل الحفاظ عليه أكثر من غيره من كبار الصحابة عليهم رضوان الله ، فكان يدهن بيده ويداوى ابل الصدقة اذا اصيبت ، فدخل عليه الاحنف وهو على تلك الحال فطلب منه معاونته على هذا العمل لانه من ابل الصدقة فيه حق لليتيم والمسكين والارملة ـ فقال رجل من القوم الذين حضروا هذا المشهد يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ـ؟ قال عمر : وأى عبد هو اعبد منى ومن الاحنف ، انه من ولى أمور المسلمين فهو عبد المسلمين يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحه واداء الامانة [3] .

وليس الامر كذلك فحسب بل اذا شرد بعير فلا يكلف غيره بالبحث عنه بل يخرج بنفسه باحثا عنه .

---

١) القصص أيـــة ٢٦
٢) الطبرى جـ٤/ ٢٠١ ، الكامـــل (ابن الاثير) جـ ٣/ ٢٩ .
٣) تاريخ عمر (ابن الجوزى) / ٧١ .

ان على بن ابى طالب رآه وهو يعدو الى ظاهر المدينة فقال له الى اين يا أمير المؤمنين؟ فقال قد ند بعير من ابل الصدقة فانا اطلبه (١) .

وعمر رضى الله عنه يسطى بهذا للمسلمين دروسا تربوية عملية فى الاخـــلاق والحفاظ على الامانة يقول رب العزة (ان الله يأمركم أن تودوا الامانات الى اهلها)(٢) . ويصف الله المؤمنين سبحانه وتعالى بقوله (والذين لاماناتهم وعهدهم راعون)(٣) وينفر سبحانه من عدم الحفاظ عليها ويعد هذا ضربا من الخيانة التى تأبى الدعوة أن يتصف بها المسلم ـ يقول رب العزة (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون(٤))

سلوك عمر ازاء الكوارث والازمـــات

فى سنة ١٨ هـ ابتلى الناس بعام يسمى عام الرمادة وسمى بذلك لان الريـــح كانت تسفى ترابا مما يدل على عدم وجود بنات ، وبالتالى على فقد المحصول ، وكـــان بيت المال ليس فيه مخزون أو فائض يسع الناس ازاء مثل هذه الكوارث ، مما سبـــب المجاعة التى سلطت الانسان والحيوان على السواء .

روى أنه اشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوى الى الانس ، ويصورون الشـــاه بعد ذبحها ولعدم وجود الماء الذى تسمن به ، أن الرجل كان يذبح الشاه فيعافها من قبحها(٥) فهل يا ترى وقف الفاروق ازاء شدة المسلمين خطيبا فيهم يعدهم ويمنيهم ويذكرهم بالصبر ويلقى على اسماعهم الكلمات المعسولة الرنانة والشعارات الزائفـــة والقرارات الوهمية البعيدة عن التطبيق والخروج بها الى حيز العمل ؟ أم ماذا كان من أمـــره .

---

١) البداية والنهاية (ابن كثير) جـ ٧ / ١٣٦ .
٢) النســـاء آية ٥٨ ٣) المؤمنون ايـه ٨
٤) الانفال ايـــة ٢٧
٥) الكامل فى التاريخ (ابن الاثير) جـ ٢/ ٣٨٩ ، الطبرى جـ ٤ / ٩٨ / ١٠٠

عمر يتخذ القرارات ويطبقهـــا

١ـ الى على نفسه انه لابد وأن يعيش كافقر فرد فى المسلمين وفعلا امتنع عمـــا تعود عليه من الطعام من السمن واللبن واللحم واستبدل بهم الزيت واثر هذا عليه فاسود وجهه بعد البياض المشرب بالحمرة .

روى انه قدمت السوق بمكة سمن ورطب من لبن فاشتراهما غلام لعمـــر بأربعين درهما ثم اتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظـــم اجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهمـــا فقال عمر اغليت بهما فتصدق بهما فانى أكره أن أكل اسرافا[1] بل وامتنع عما هو من مال زوجته خاصة .

عن يحيى بن سعيد قال اشترت امرأة عمر بن الخطاب لعمر فرق سمـــن بستين درهم فقال ما هذا ؟ فقالت أمرأته هو من مالى ليس من نفقتك ـ فقال عمر علمنا أن القرار الذى اتخذه يشملها ايضا .

٢ـ نهض لهذه الكارثة نهوضه لكل خطب[2] واخذ يرسل الى امراء الولايات يطلب منهم المدد والمعونة فبعث عمرو بن العاص الطعام الى المدينة وبعث أمـــير الشام بأربعمائه راحلة عليها الطعام ، وقالوا أنه أبو عبيدة بن الجراح كمـــا ورد اسمه فى بعض روايا المؤرخين[3] ولكن التحقيق التاريخى يثبت غير ذلـــك لان عام الرمادة كان بعد طاعون عمواس الذى توفى به ابو عبيدة بن الجـــراح ، ويدل على هذا ارسال عمرو بن العاص الطعام من مصر وانما كان فتح مصر بعد الطاعون اذ كان عمرو بن العاص علم الطاعون بالشام ولما قدم عمر بن الخطاب

---

١) المرجع السابق .
٢) تاريخ عمر لابن الجوزى / ٦٩ / ٧٠
٣) عبقرية عمر للعقاد / ١١٨ .

لقسمة المواريث استأذنه بقصد مصر فأذن له وساروا ، وكان ذلك سنة ١٧ أو ١٨ هو[١] .

وصيغة خطابه الى عمرو بن العاص تدل على اهتمام عمر الاهتمام البالغ وفزعه فى هذه المحنة القاسية من أجل المسلمين .

يقول فى خطابه : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى العاص بن العاص سلام فلعمرى يا عمر ما تبالى اذا شبعت انت ومن معك من أهلك أن أهلك أنا ومن معى فياغوثاه ثم ياغوثاه[٢] .

قال : فكتب اليه عمرو بن العاص / بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمر بن العاص ، سلام عليك ، فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فاتاك الغوث فلبث لبث لا يحشن اليك بعيرا أولها عندك وآخرها عندى .

ففى هذه الرسالة العمرية ملامح الحالة النفسية الشديدة التى اصابت سيدنا عمر وتدل على أنه يعيش فى تلك المحنة بقلبه واحاسيسه ومشاعره ووجدانه وبالجملة تسلطت عليه تسلطا كاملا فى ليله ونهاره .

وأمتنع عن اعطاء جسده قسط من الراحة بالليل ، واستهدل بها كثرة الصلاة والوقوف فى محراب العبادة فى رحاب الله عز وجل .

عن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : كان عمر بن الخطاب قد أحدث فى زمان الرمادة أمرا ما كان يفعله لقد كان يصلى بالناس العشاء ثم يخرج حتى يدخل بيته

---

١) الكامل فى التاريخ جـ ٢ / ٣٨٩ ، الطبرى جـ ٤ / ١٠٠ .
٢) اشهر مشاهير الاسلام / ٦٠٥ / ٦٠٦ .

فلا يزال يصلى حتى يكون آخر الليل ثم يخرج فيأتى الانقاب فيطوف عليها وأنسى لا سمعه ليلة فى السحر وهو يقول اللهم لا تجعل هلاك امة محمد على يدى[1] .

فاحياء عمر ليله بالصلاة ليتحول تفكيره الى الملاالا على ويعيش مع العالم العلوى ويبث اليه اشجانه واحزانه ليخفف ما نزل به .

ولان فى الصلاة سلوى وراحة للنفس ثم هى تعطى فيوضات ربانية كريمة ويقول رب العزة (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)[2] وفى اية أخرى يقول سبحانه (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين)[3] وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة .

ويبين لنا الدكتور الكيسى كارىل مدى هذه القوة التى يكتسبها المؤمن من الصلاة ـ فيقول (لعل الصلاة هى أعظم طاقة مولدة عرفت الى يومنا هذا وقد رأيت بوصفى طبيبا كثيرا من المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم ، فلما رفع الطب يديه عجزا وتسليما تدخلت الصلاة فأبراتهم من عللهم ، ان الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر الاشعاع ومولد ذاتى للنشاط ، والصلاة يسمى الناس الى استزاد منشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التى لا يفنى نشاطها[4] فظهر ان عمر فى كثرة الصلاة لم يكن هروبا منه من عالم الواقع أو فرارا من التبعية وانما هو استعداد للطاقة الروحية من الله يستعين بها على مواصلة السير فى دروب الحياة .

وظهرت أثار الحالة النفسية فى أكله فلم تقبل نفسه أن يفضلها على فقراء المسلمين بل فضلهم هم على نفسه .

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ القسم الاولى ٢٢٤ .
٢) البقرة آية ١٥٣ . ٣) البقرة آية ٤٥ .
٤) العبادة فى الاسلام (يوسف القرضاوى) / ١٧٩ .

اذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت الى أن نحروا يوما من الايام جـــزورا فاطعمها الناس وغرقوا له طيبها فاتى به فاذا قدر من سنام ومن كبد فقال أنى هذا ؟ قال يا أمير المؤمنين من الجزور الذى نحرنا اليوم قال بخ بخ بئس الوالى انا اذا اكلت طيبها واطعمت الناس كرادیسها • أرفع هذه الجفنة ، هات لنا غير هذا الطعـام ـ قال فأتى بخبز وزيت قال فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال ويحك يا يرفـا ، أحمل هذه الجفنة حتى يأتى بها اهل بيت بشمع فاتى لم أتهم منذ ثلاثة أيـــام واحسبهم مقفرين ، فضعها بين ايديهم)[1] •

وفى هذا العمل ضرب من المثل العالى ولا نبعد اذا قلنا ان هذا المثـل نادر الحدوث ولذا ذكر الله اصحابه فى معرض المدح والثناء لهذا الموقف الجليـل يقول رب العزة (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهـم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[2] •

وهذا الايثار ليس من السهل الاتصاف به الا بعد ان يقطع الانسان مراحـل عديدة فى سلم الانسانية ليصل الى هذه الدرجة العزيزة المنال ، وكان عمر رضـى الله عنه يحدث نفسه اذا رأى تغيرا فى بطنه بسبب قراره الذى أمضاه على نفسـه : عن أنس بن مالك قال : تقرقر بطن عمر بن الخطاب وكان يأكل الزيت عام الرمـــادة وكان حرم عليه السمن ، فنقر بطنه باصبعه قال : تقرقر تقرقرك • أنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس •

وعن عبد الرحمن بن ابى بكر عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقـول : اتمرن ايها البطن على الزيت مادام السمن يباع بالاواقى[3] وهذه شهادة من شهـود العيان نتبين منها حالته النفسية رضى الله عنه وهمه من اجل المسلمين •

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ القسم الاول / ٢٢٥ •
٢) الحشر اية ٩ •
٣) الطبقات الكبرى لابن سعـــد جـ٣ القسم الاول ص ٢٢٦ •

قال يزيد بن اسلم عن ابيه كنا نقول (لو لم يرفع الله عام الرمادة لظننا ان عمر يموت هما بأمر المسلمين[1] وسلوك عمر مع أهله كسلوك الشخص من حيث المراقبة الكاملة لانه هووهم اجزاء من المجتمع يجب أن يصيبهم ما اصاب المجتمع على السواء : من غير تمييز على سائر المسلمين :

عن عيسى بن معمر قال نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة الى بطيخة في يد بعض ولده فقال بخ بخ يا ابن امير المؤمنين ، تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى ؟ فخرج الصبي هاربا وبكى فاسكت عمر بعد ما سأل عن ذلك فقالوا اشتراها بكف من نوى[2] .

فهذه صورة عمرية من غير شك ولا غرابة في ذلك ، فعمر يسير على خط واحد فاذا نظرنا الى هذه الصورة نظرة عابرة قد تحكم على عمر بالشدة المتناهية ازاء الاطفال الصغار ، ولكن بعد تحليلها يظهر فيها التربية الاخلاقية الاسلامية ورحمتها الاطفال .

ويتبين لنا ضآلة ما يحمله الطفل ولو كان أقصى ما يستطيع حمله لصغيره ثم هو بعد من الصعب اخذها منه بنفس راضية لضعف ارادته وحبه للتملك وغلبة شهوة الطعام فلما علم عمر انها من محصول كده اشتراها بما جمعه من النوى بمقدار كف الانسان سكت عمر رضى الله عنه .

ويبدو لنا ان عمر يريد ان يغرس في بنيه ولا سيما وانه المسئول الاول عنهم وعن توجيههم ومن يقوم على تربية الاطفال من أن يشعروهم دائما وابدا بحسب الناس ويوضحوا لهم أن مشاركة الناس في احزانهم وافراحهم انما هو واجب اسلامي يثبت الله عليه ويعاقب مخالفة وأن يغرس في النشء الصغير فكرة الثواب والعقاب فتتيقظ ضمائرهم وتتهذب اخلاقهم ويكونوا افرادا صالحين ينتفع بهم المجتمع ويقوى بقوتهم .

---

١) تاريخ عمر بن الجوزى / ٦٩ .

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ / ٢٢٨ القسم الاول .

يكون عمر بذلك قد اعطى الصورة الحقيقية للرحمة بالاطفال وأن ترك الاطفال وما يشتهون يكون الانسان قد زج بهم فى ظلمات الحياة من غير مصباح هاد لهم •

عن نافع مولى الزبير قال سمعت ابا هريرة يقول : يرحم الله ابن حنتمه لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكه زيت فى يده وانه ليعتقب هو واسلم فلما رآنى قال من أين يا ابا هريرة ؟؟ قلت قريبا قال فأخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صراره فاذا حرم نحو من عشرين بيتا من محارب فقال عمر : ماأقدمكم تلك الجهد ، قال فاخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورقة عظام محروقة كانوا يسقونها ، فرأيت عمر طرح رداءه ثم ائتزر فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا ، وارسل اسلم الى المدينة فجاء بابحرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك[1] •

صورة لا يمكن أن تقع تحت مقياس العصر ـ يخلع ثيابه ويبقى بالمئزر ، ليطهى للناس •

ان عمر عمر بكلتا يديه ليشبع هذه البطون الجائعة لتستريح نفسه ويهدأ ضميره لانه يكون قد اعمل فكره وبذلك يكون قد بذل اقصى ما يستطيع بكل الطاقات والوسائل وهو بعد ذلك يأمل فى النجاة ويود لو خرج منها كفافا لاله ولا عليه •

يعلم الانسانية ولا سيما من يتقلد أمور الناس ويمتلك نواصيهم أن من شيم المسلم الصادق فى اسلامه التواضع فالرفيع القدر فى المجتمع ، لا ينقصه تواضعه للناس وخدمته لهم والقيام على أمرهم وشئونهم بل يزيده رفعه وعلو مكانه فى اعين عارفى التواضع ومقدرى الاخلاق الكريمة ويلفت بعمله نظر الناس اليه فيزيدون تعلقا به وحبا له •

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣/القسم الاول / ٢٢٧ •

والانسان اذا تقلد منصبا كبيرا وحرم من نعمة التواضع فهو ضئيل فى نظر الاسلام مهما احاط نفسه بهالات زوخارف ، يقول الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تحزن عليهم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)[1] . فالامر موجه للرسول صلى الله عليه وسلم بالتواضع للمؤمنين ولكل مؤمن ازاء أخيه المؤمن والعبرة دائما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليظل الانسان على حالة من التواضع تنهى سبحانه الانسان عن اطراء النفس ومدحها ليبقى الانسان طالبا الاستزادة ولا يدخله الغرور القاتل للنفس البشرية والمحيط لعملها ، فيقول ربنا العزة (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)[2] .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مانقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع احد لله الا رفعه الله[3]

وعن انس رضى الله عنه قال : أن كانت الامة من أماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت[4] ـ هذا ما استطعنا فهمه من عطف عمر بيده للناس .

وما كان عمر ليشبع البطون الجائعة فى المدينة فقط وانما امتد الى كل فرد خارج المدينة بواسطة اناس أمناء حريصين على الثواب خائفين من حساب الله عز وجل واعطاهم عمر بيانا ليرشدوا هؤلاء الناس كيفية الانتفاع بالطعام وظروفها أكبر مدة حتى يأتيهم الله بالمدد .

---

١) الحجرة اية ٨٨ .
٢) النجم أية ٣٢
٣) صحيح مسلم جـ ٨ / ٢١ .
٤) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٢٤ ورياض الصالحين (النووى) ٢٦٧/ ٢٦٨ .

لما قدم أول الطعام كلم عمر بن الخطاب الزبير بن العوام فقال له تعـــترض للغير فتخليها الى أهل البادية فتقسمها بينهم ، فوالله لعلك الا تكون أصبت بعـد صحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا افضل منه ـ قال فأبى الزبير واعتل وأنا استبعد على مثل الزبير ان يمتنع عن طاعة امير المؤمنين عمر لانه يعلم أن طاعتـــه واجبة كطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مادام لم يؤمر بمعصية عند ذلك له حـــق الامتناع أما والحالة كذلك فلا مبرر له ، اللهم الا أن يكون به علة لم يستطع مـــع وجودها القيام بما كلفه به سيدنا عمر واقبل رجل من أصحاب النبي صلى الله عليـــه وسلم فكلمة عمر ففعل وخرج فقال عمر له اما مالقيت من الطعام فمل به الى أهـــل البادية ، فأما الظروف فاجعلها لحفا يلبسونها ، وأما الابل فانحرها لهم يأكلـون من لحومها ويحملون من وكدها ولا تنتظران يقولو تنتظر بها الحيا وأما الدقيـــق فيصطنعون ويحرزون حتى يأتي امر الله لهم بالفرج . وبعث عمرو الابل فلما وصلـت الى افواه الشام عدل بها رسله يمينا وشمالا ينحرون الجزر ويطعمون الدقيق ويكسون العباء ، وبعث اليه سعد بن ابي وقاص من العراق بمثل ذلك ، فارسل اليه مـــن لقيه بافواه العراق فجعلوا ينحرون الجزور ويطعمون الدقيق ويكسونهم العباء حـــتى رفع الله ذلك على المسلمين[1] .

لقد رأينا عمل عمر ازاء تلك المحنة سواء مع نفسه ومعه أهل المدينة وخارج المدينة وقد وقفنا وقفات موجزة مع عمل عمر هذا وبينا ان كل حركة من حركاته انما هي قرآنية محمدية لتكون عبرة للاجيال ينقلها جيل عن جيل عسى أن ينتفعوا بها (أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد)[2] .

---

١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول جـ ٣ / ٢٢٤

٢) ق آيـــة / ٣٧ .

سلوك عمر ازاء المنحرفين عن جادة الصواب

رأى عمر رجلا يتبختر ويمشي مشية قبيحة لا تليق بالرجال فأمره أن يتركهـا : فابى وزعم أنه لا يطيق تركها فجلده ، وعاد بعد جلده الى التبختر فجلده مرة أخرى ثم مضت أيام وجاء الرجل وقد ترك المشية القبيحة ودعا له : جزاك الله خيرا ياأمير المؤمنين ، أن كان الا شيطانا اذهبه الله بك[1] فليس من الرجولة ان يسير الانسان فيتمايل في مشيته ويختال في حركاته فمثل هذا في الواقع ليس عنده رصيد من الفهم الواعي المستنير وهو في الوقت نفسه متجرد عن الاخلاق الاسلامية العظيمة . واذا ترك مثل هذا العضو المريض في المجتمع وشأنه فانه سيؤثر في الاصحاء ممن لم يكن عندهم حصانة وموانع تمنع هذا المرض من التغلغل فيها فرأى عمر أن يقطع جذورها ويقضي عليها في ابانها حتى لا يستفحل أمرها ويتطاير شررها وفي هذا المجال ينجح الدواء قبل الازمان فوات الاوان وانفلات الزمام . وامتدت يد عمر رضي الله عنه لعلاج هذا المريض ورأى أن حالته تستدعي مس جسده بالاسلام بدلا من الكلمات التي رأى عمر أنها لا تؤثر في مثل هذا المريض فجلده رضي الله عنه ، ولكن الرجل لم تطاوعه نفسه على السير على المنهج الاخلاقي السليم فأعاد عليه الضرب مرة أخرى فبرىء الرجل من علته وعاد اليه توازنه وعمل سيدنا عمر رضي الله عنه انما هو تحصين للاخلاق من الانهيار ودفع لعجلة الاخلاق للامام .

فالله عز وجل ينهى الانسان عن العجب والكبرياء والاختيال والشموخ بالانوف ويبين ان الانسان مهما تكبر لن يغير شيئا حتى تحت مواضع أقدامه ، ومهما حاول جهلا وغباء نسيان نفسه لن يصل الى قمم الجبال فهو قزم بالنسبة لها . فيقول عز وجل (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)[2] .

---

١) عبقرية عمر للعقاد / ١٣١
٢) الاسراء آية ٣٧ .

أى متبخترا متمايلا مشى الجبارين[1] .

ويقول سبحانه (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا أن الله لا يحب كل مختال فخور)[2] وضرب الله سبحانه الامثلة بمن اتصف بهذه الاوصاف — وكيف كانت النهاية وما ذاك الا لتكون عبرة للناس الى أن يرث الله الارض ومن عليها فقارون مثال من أمثلة عديدة حكاها القرآن الكريم .

هذا الرجل اعطاه الله مالا ضخما وثراء عريضا صوره القرآن بقوله (ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة)[3] فاستعبده هذا المال وأصبح لا ينظر الا بمنظار المادة فظلم الناس وتكبر عليهم وأعلق منافذ حسه وعقله فلم ينتفع بنصح الناصحين — وأرشاد الواعظين وأخذ يدافع عن موقفه بما يدل على أن الرجل لم يعد فيه أمل للهداية ، يقول رب العزة (يحكى قول الرجل وغروره (قال أنما أوتيته على علم عندى)[4] فأراد الله سبحانه أن يجعله عبرة للظلمة والمتكبرين والمتجبرين (فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان المنتصرين)[5] .

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن النار ستكون مأوى لهؤلاء ، لانهم محرومون من الجنة ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال : أن الله جميل يحب الجمال[6] .

---

١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٤٠
٢) لقمان آية / ١٨
٣) القصص آيـــة ٧٦ .
٤) القصص آيـــة ٧٨ .
٥) القصص آيـــة ٨١
٦) رياض الصالحين للنووى / ٢٦٩ / ٢٧٠ .

غضب عمر على الحطيئة

ان عمر غضب على الحطيئة لهجاء الناس ونهاه أن يهجو احدا فضرع اليه الرجل وقال اذن أمون وبموت عيالي من الجوع فانذره ليقطعن لسانه ، ثم عطف عليه فساومه على ترك الهجاء بثلاثة الاف درهم فسلم الناس من لسانه واستغنى عن هذه الصناعة ما عاش عمر ثم عاد اليها بعد موته[1] .

ان الحطيئة اتخذ ذم الناس واظهار معايبهم وسيلة وذريعة للكسب السهل وهي طريقة مذمومة تدل دلالة صادقة على أن صاحبها لا يعرف للفضيلة بابا ولا للانسانية حرمة .

ويدل على مرض الرجل لانه يريد غنيمة باردة من غير مجهود يذكر للحفاظ على كرامته تأتيه من طريق التملق لبعض الافراد أو القبائل بسبب أعدائهم واظهار معايبهم ، وقد تأتيه من طريق أناس يتوقعون منه الشر فيشترون اعراضهم وأنفسهم منه .

وكان هذا هو عمله الوحيد / فماذا يفعل سيدنا عمر ازاء هذا الانسان البذيء اللسان الرخيص القيم ؟؟؟ فرأى عمر رضى الله عنه أن خير علاج لهذا الرجل النهي عن هذا الاسلوب غير المشروع واعطائه نقودا من أموال الدولة يستطيع بها أن يشق طريق الحياة الصحيح .

ويكون عمر بهذا قد كتم لسانا عفنا سخيا بالشتام والنقائص ليظل للانسانية حرمتها وقد استبها لتبقى بين صفوفها الاداب الاسلامية الكريمة .

---

(١) عبقرية عمر (عباس العقاد) / ١٣٢ .

فالله سبحانه نهى المسلمين ذكورا وأناثا ان ينتقص بعضهم بعضا بأى وسيلة من الوسائل ، باللسان أو الاشارة أو التمثيل ، يقول رب العزة (يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)[1] .

كما بين سبحانه فى هذه الاية الشريفة انه ربما كان هذا المنتقص أفضل عند الله عز وجل من الذى سخر منه وان هذه الصفة من صفات الكفار ـ يقول الله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين آتقوا فوقهم يوم القيامة)[2] .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه (بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم)[3] .

---

١) الحجرات اية ١١ ٢) البقرة آية ٢١٢

٣) رياض الصالحين (النووى) / ٥٦٣ .

سياسة القضاء والحسبة في عصر عمر
وكوسيلة من وسائل نشر الدعـــوة الاسلا مهـــة

القضاء والحسبة وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية
في عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنـــــه

الباب الاول

(الفصل التاسع)

سياسة القضاء والحسبة فى عصر عمر وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية

وهو يشتمل على النقاط التاليـــة :

١) بيان مقومات سياسة القضاء فى الاسلام .

٢) بعض العوامل التى جعلت عمر شخصية قضائية ممتازة .

٣) منهج عمر فى رسائلة الى القضاة كان هو نفس منهج القضاء فى الاسلام .

٤) نماذج عملية من تطبيق عمر لهذه السياسة الاسلامية فى القضاء .

٥) ابتكار عمر لنظام الحسبه لحراسة الدعوة الاسلاميـــة .

= = =

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

الدعوة الاسلامية عقيدة ممتزجة بالروح والقلب حسب ما رسم الله عز وجل للعقائد التي تنجي صاحبها ويقبلها المولى عز وجل ، وعمل صالح تدفع اليه تلك العقيدة ، يكون بمثابة ترجمة عما استقر في النفس وركز فيها ومقدار عقيدة الانسان يكون عمله ، فاذا كانت العقيدة قوية كان العمل الصالح في أتم صوره وأرقى درجاته ،

واذا كانت العقيدة ضعيفة هزيلة مضطربة لاقرار لها فان العمل الذي يعمله صاحبها يكون هذا الاخر ضعيفا ميتا لاحراك فيه ،

والقرآن الكريم حينما يتكلم عن وسائل النجاة والسعادة في الدنيا والاخرة نتبين منه أنه لا بد من الايمان والعمل الصالح والعقيدة بدون عمل لا تنجي صاحبها والعمل بدون عقيدة لا ينجي صاحبه ،

يقول الله سبحانه وتعالى (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم)[1] (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم)[2] ـ (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بأيمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم)[3] (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)[4] وأما عن الصنف الذي يعمل صالحا ولكنه لم يبن على أساس من عقيدة صحيحة ،

---

١) آل عمران ٥٧
٢) المائدة ٩
٣) يونس ٩
٤) هود ٢٣

والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)[1] .

(وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)[2] .

وبعد هذه المجالة القصيرة نقول أن الله سبحانه خلق الانسان وأودع فيه غرائز شتى وبين له كيفية اشباعها ورسم لها المنهج الذى تسير عليه حتى لا يتخبط الانسان فى ظلمات الحياة ـ وكان ذلك على أيدى الرسل صلوات الله عليهم أجمعين (وأن من أمة الا خلا فيها نذير)[3] ولكن مع وجود المنهج الالهى قد يخرج الافراد أو الامم عليها فيبدون اشباعها من أى طريق وبأى وسيلة وربما كان ذلك فى ضرر الافراد والجماعات المختلفة فينشأ النزاع والبغضاء والاحقاد .

والمعتدى ظالم لنفسه وظالم للناس . ظالم لنفسه لانه لم يستطع أن يغطم نفسه على خصال الخير وعدم الضرر بالناس . وظالم للناس لانه بغى عليهم وجار ولم يحترم القوانين الانسانية .

وهذا الظالم لا يرتدع ولا ينزجر الا بالقوة التى تجبره على احترام القوانين الانسانية . وهى تارة تنشأ عن العرف والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع التى ورثها الابناء .

---

١) النور آية ٣٩ .
٢) الفرقان آية ٢٣
٣) فاطر آية ٢٤ .

عن الاباء ويمثل هذه القوة قاض تتوافر فيه حصافة الرأى وسعة الادراك كما كان ذلك عند العرب قبل الاسلام .

وكانت لهم طرق خاصة فى وضع الحق فى نصابه فمنها المعرفة بالدراسة والامارات الدالة لهم وقد تعارفوا على تسمية القضاء حكومة والقاضى حكما ، وكانت هذه سنة شائعة عند العرب ولم تكن الحكومة عملا مستقلا الا فى قريش ولم يكن للقضاء أماكن مميزة ولكن كيفما اتفق فى ظلال الاشجار أو فى خيامهم حتى بنيت الدور والاماكن وأشتهر منها دار الندوة — بمكة وقد قام على تأسيسها قصيين كعب وكان ينزل فيها فيما بعد الخلفاء والامراء فى حجهم فى صدر الاسلام[1] .

القضاء فى الاسلام

وتارة أخرى تكون القوانين الملزمة ليست من صنع البشر ولكن من عند رب العالمين الذى يعلم علاج المنحرف من عباده (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[2] .

وهذه القوانين مبنية على أساس العدل والمساواة .

فالله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغ الرسالة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته)[3]

وكلفه بحمل عبء جميع السلطات ومنها التشريعية ، يقول الله سبحانه (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[4]

---

١) القضاء فى الاسلام (محمد سلام مدكور) ص ٢٠/٢١ ، وتاريخ التمدن الاسلامى (جرجى زيدان) جـ ١/٢٤٤ .
٢) الملك آية ١٤
٣) المائدة آية ٦٧
٤) النحل آية ٤٤

وأما عن السلطة القضائية فلقد حمله الله أمانتها ليفصل بين الناس في الخصومات التي تطرأ عليهم ،وهي أما أن تنشأ بين المسلمين بعضهم بعض أو بينهم وبين غيرهم من أرباب الاديان الاخرى من اليهود والنصارى أو بين اليهود والنصارى أنفسهم : يبين الله سبحانه القانون الواجب اتباعه مع هذه الفئات كلها وهو العدل .

ففي شأن الحكم بين الناس جميعا بصرف النظر عن ملتهم وجنسيتهم يقول الله سبحانه (أذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل[1] . ويقول سبحانه (أنا نزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما[2] وفي شأن غير المسلمين يقول الله سبحانه (فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم[3] وقوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فأن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون[4]) .

وقيل في سبب نزول هذه الاية الشريفة عن ابن عباس أن كعب بن اسد وغيره قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد انك قد عرفت أنا احبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] الا أن يحكم بالعدل وتحث الايات الشريفة على عدم المحابة في الاحكام في الاقضيه لقرابة أو لوحدة الدين بين الحاكم والمحكوم له .

---

١) النساء ٥٨
٢) النساء ١٠٥
٣) المائدة ٤٢
٤) المائدة ٤٩
٥) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٦٧

يقول الله سبحانه (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمن يكون عليهم وكيلا ، ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب اثما فأنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو أثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وأثما مبينا)(١)

روى في سبب نزولها أن طعمة بن أبيرق أحد المسلمين من بني ظفر من الانصار بالمدينة سرق درعا من جار له كان الدرع في جراب به دقيق فدل أثر الدقيق بين مسكن صاحب الدرع وبين منزل ابن أبيرق على أنه هو السارق فالتمسوا الدرع في داره فلم يجدوه ، وكان قد خبأه عند يهودي ، فلما عثر عليه عنده قال دفعه الى طعمة فأنكر هذا وحلف بالله وذهب قومه بنو ظفر الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يجادل المسلم ، فهم بذلك ظنا منهم أن المسلم صادق وقد حلف أن اليهودي كاذب فنزلت هذه الآيات تبيانا للحق وسدا للسدالة أن تتأثر بالعاطفة الدينية أو الجنسية(٢) وقد تضافرت الايات على تأكيد هذا المعنى ، يقول سبحانه (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى)(٣) ، ويقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)(٤) .

ومن هنا نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مقيدا بالشريعة وملتزما بتنفيذها (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)(٥) .

---

١) النساء آية ١٠٨ الى ١١٣
٢) الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام للمستشار علي علي منصور ص ١٠٢
٣) المائدة آيه ٨
٤) المائده أيه ٨
٥) الجاثيه أيه ١٨

فلم يقبل الوساطة ولا الشفاعة فى تعطيل القانون وأبطاله :

عن عائشة رضوان الله عنها قالت ؟ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جاء اليه أسامة بن زيد يستشفع عنده فى شأن المخزومية التى سرقت فقال أنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها(١) .

ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم بواطن الامور وخفايا القلوب وسرائر الناس كان يحكم بظواهر الامور وذلك بحسب الادلة التى أمامه وكان يؤكد هذا فيقول : عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار(٢) .

ولما فتح الله عليه بعض البلاد بعث اليها ولاة ، فكان الوالى هو الحاكم وهو القاضى ، فكان قاضيه بمكة عتاب بن اسيد بن أبى العيص بن عبد شمس الاموى وكان قاضيه على اليمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما(٣) بل وقد أذن لاصحابه حتى فى حضرته فى الفصل بين الناس ، وكان ذلك تدريبا لاصحابه على الاجتهاد والولاية والقضاء وارشادا وتمهيدا الى جواز تخصيص الولاة والقضاه .

وجاء الصديق رضى الله عنه فسار بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل شىء وولاته فى الامصار هم القضاة فيها وذلك لانشغاله عن القضاء بحرب الردة ولعدم اتساع رقعة الدولة الاسلامية فى عهده (٤) ، وبذلك أعطى أبو بكر لكل أمير فى امارته جميع السلطات الثلاث غير أنه لم يول قضاة يباشرون القضاء دون الامراء (٥) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٢ / ٨٦ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . الطبعة الاولى .
(٣) القضاء الاسلامى وتاريخه للمرحوم (اسماعيل حقى فرج) .
(٤) القضاء فى عصر الخلفاء (محمد سلام مدكور) ص ٢٥ طبع بالموصل / ١٠
(٥) القضاة فى الاسلام (الدكتور عطية مشرفة) / ١٣ .

ولماكان القضاء للفصل بين الناس ليرتدع الظالم عن ظلمه ويرجع الباغى عن بغيه ويصل الحق الى صاحبه ، والمجتمع لا يخلو من المنحرفين ولذا كان لابد من القضاء .

ولذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يمدح القضاة العدول ويبين الجزاء العظيم والاجر السخى الذى ينتظرهم فيقول :

فقد جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لاحسد الا فى اثنين ، رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها[1] ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : هل تدرون من السابقون فى ظل الله يوم القيامة ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، وأذا سئلوه بذلوه ، واذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لانفسهم[2] .

وأما بعض الاحاديث الواردة فى التنفير من تولية القضاء فلم يكن المراد منها المنع والا ضاعت حقوق الناس وأكل الناس بعضهم أموال بعض بالباطل وأهدرت القيم والفضيلة .

ولكن ورود هذا بمثل هذه الصيغ النبوية حتى يحذر من يقوم قاضيا بين الناس من الظلم والحكم بما لا يعلم ويتحرى بذلك الصدق ويتأكد قبل الحكم ومن أمثلة هذا التحذير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة ، رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل جار فى الحكم فهو فى النار[3] وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين[4] .

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٠٧ رقم الحديث ٤٢٠٨ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى) المسند (أحمد بن حنبل) جـ٦ ص ٧٨/ ٧٩ .

(٢)

(٣) سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ٧٧٦ حديث رقم ٢٣١٥ ، الترغيب والترهيب جـ٣ ص ٤٣٨/ ٤٣٩

(٤) المرجع السابق ، الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٣٨ (المنذرى) .

ويرجع بعض العلماء هذا الحديث فيقول دليل على شرف القضاء وسمو منزلتـــه وأن المتولى مجاهد لنفسه وهواه وهو دليل على من قضى بالحق وجعله دبيج الحق وامتحانا لتعظيم المثوبة امتنانا[1] .

ويعلق الدكتور سلام مدكور على مثل تلك الاحاديث فيقول :

ويبدو لى أن القضاء لما كان عملا جليل الشأن وأن سلطان القاضى واسع فهـــو يحكم فى رقاب الناس وأبضاعهم وأموالهم وقد يتهافت الناس على هذه الوظيفة فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوجه النظر دائما الى ما ينجم من تولى هذه الوظيفة لو انحـــرف القاضى أو حاد عن الصراط السوى[2] .

---

١) تبصرة الحكام فى أصول الاقضية ومنهاج الاحكام (ابن فرحون المالكى) / ٨/٩ جـ ١

٢) القضاء فى الاسلام (د . سلام مدكور) / ١٤ .

القضاء فى عهد الفاروق رضى الله عنه

رأينا بعد هذا العرض السريع للقضاء فى عصر النبى صلوات الله وسلامه عليه وعصر الصديق رضى الله عنه والاصول التى كان يبنى عليها من عدالة ومساواة أمام القانون مما كان يجعل الاتباع والمخالفين سواء تتفتح عيونهم وقلوبهم لهذا القضاء الاسلامى فوفد الاتباع تمسكا بدينهم والحب له ويفرض على المخالفين التفكير فى هذا الدين الجديد ومبادئه التى يفتقدوها فى كتبهم وعاداتهم وتقاليدهم وأصبح ذلك سببا فى نشر هذه الدعوة العظيمة .

فلما ألقى على كاهل سيدنا عمر مسئولية امارة المؤمنين نظر عمر رضى الله عنه الى القضاء والفصل بين الناس ورسم سياسة قوية على أساس أنه أسلوب من أساليب الدعوة الى الله عز وجل بصورة عملية تطبيقية ليراها الاتباع والأعداء على حد سواء ، وساعد عمر ذلك ما كان عنده من الخبرة والمران وغير ذلك مما يستلزمه فى رسم تلك السياسة التى ثبت نجاحها .

عمر شخصية قضائية

أن الصفات التى منحها الله سبحانه لعمر رضى الله عنه خلقت منه شخصية قضائية من الطراز الاول ، فقد كان حاضر الذهن وسرعة الخاطر صافى القريحة يرى عن بعد فطنا الى أبعد حدود الفطانة يتفرس فيما حوله ويحكم ويجيء للحكم صادقا كأنه يرى بواطن الامور وتتكشف له الامور كأنه يرى بظهر الغيب .

وروى أنه أبصر أعرابيا نازلا من جبل — فقال هذا رجل مصاب بولده قد نظم فيه شعرا لو شاء لاسمعكم ثم أخذ يسأله ليتبين منه صدق فراسته فقال له من أين أقبلت فقال من أعلى هذا الجبل — فقال وما صنعت فيه ؟ قال أودعته وديعة لى ، قال وما وديعتك ؟ قال ابن لى هلك فدفنته فيه ، قال فأسمعنا مرثيتك فيه فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين فوالله ما تفوهت بذلك وأنما حدثت به نفسى ثم أنشد :

يا غائبا مايؤوب من سفره ... عاجله موته على صغره

يا قرة العين كنت لى أنسا ... فى طول ليلى نعم وفى قصره

ما تقع العين حيثما وقعت ... فى الحى منه على أثره

حتى انتهى من مرثيته فبكى عمر رضى الله عنه — ثم قال صدقت يا أعرابى(١).

لعل عمر يعلم عن الرجل قدرته على نظم الشعر ورأى من الامارات والدلائل التعبيرية على وجهه ما يدل على نزول كارثة كبرى وليس ذلك الا بموت أعز ما يملكه الانسان وهو ولده والشاعر فى مثل هذه الحالة التى تملك عليه جوانب نفسه وتثير مشاعره وتهز وجدانه لابد أن يجرى على خاطره كلمات تعبيرية عما يجيش فى الصدر ويتحرك فى النفس .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ما سمعت عمر يقول لشىء قط أنى لاظنه كذا ألا كان كما يظن .

---

١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى جـ ٢ / ١٣ الطبعة الاولى .

بينما عمر جالس اذ مر به رجل جميل ، فقال عمر لقد اخطأ ظني أو ان هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم .. على بالرجل ، فدعى له فقال ذلك ، ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم ، فقال أني أعزم عليك ألا ما أخبرتني ، قال كنت كاهنهم قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ، قال ، بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع وأخبره بما سمع منها فصدقه عمر ثم قال : بينما أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول : ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا أله الا أنت فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا أله الا الله فقلت فما نشبنا أن قيل هذا نبي(١) .

لعل الكهان كان لهم سمت خاص لم يكن يعرفه الا القليل النادر من الناس أمثال عمر رضي الله عنه .

لما جاء عمرو بن العاص من جيفر وأخيه ر المسلمين بكثرة من تجمع لهم من جيوش الردة في خلافة أبي بكر تفرق المسلمون حلقا حلقا وأقبل سيدنا عمر رضي الله عنه للتسليم على عمرو بن العاص فمر على حلقة فيها نفر من المهاجرين منهم علي وعثمان وغيرهما ، فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال فيهم أنتم فلم يجيبوه فاستطلع طلع بواطنهم بفراسته وأخبرهم بما هو دائر بينهم ، فقال لهم أنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب قالوا صدقت ، قال فلا تخافوهم ، أنا والله منكم على العرب أخوف من العرب عليكم والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب في آثاركم (٢)

أدرك عمر ما خامر نفوسهم من أخبار الردة فأراد أن يستفز منهم صدق العزيمة لمضافرة أبي بكر ومكاتفته على استخضاع العرب ، وبين لهم أن الناس تتطلع اليهم وترقبهم وتسير وراءهم حينما ساروا ، ومن هذا يتبين لنا الفراسة العمرية ، يكاد بها يستطلع خبايا

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة جـ ٢ ص ١٠ الطبعة الاولى .
(٢) أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة جـ ٢ من المجلدة الاولى الطبعة الثانية ص ٤٣٩ .

القلوب وقد ساعدته تلك الفراسة وهذه الفطانة اللازمة للقاضي على تفهم وتحليل الدعاوى والتهم التي تعرض عليه ليفصل الحق في نصابه .

وكان رضي الله عنه يقضي بين الناس في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فتكون عنده حصيلة من الخبرة والتجربة .. روى في ذلك : أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب عبد الله بن عمر ليحمل قاضيا لأبيه فأبى وامتنع فلما سئل عن ذلك علل بقوله ليست أنا كأبي ولست أنت كرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبي اذا أشكل القضاء سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أشكل على النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل[1] .

فمن الطبيعي أن يختاره الصديق رضي الله عنه لتوليه منصب القضاء ، لان عصر الصديق يعتبر امتدادا لعصر النبي صلى الله عليه وسلم في السياسة التي اتبعها على أنه لم يتلقب بلقب قاض في خلافته وظل سنتين لا يأتيه متخاصمان لما عرف به من الشدة والحزم[2] ولأن الناس كانوا في أول ظهور الاسلام يرون من الطبيعي أن يعطى الانسان الحق ويأخذ الحق ويقف عند حدود الله عز وجل ودام التزم هذا المنهج فيتعذر وجود منازعات وخلافات تعرض على عمر رضي الله عنه ليفصل فيها[3] .

وعمر كان متفتح البصيرة سديد الرأي ولا أدل على ذلك من موافقات القرآن الكريم له في مواقف عديدة .

أخرج ابن مردية عن مجاهد قال : كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : ماقال الناس في شيء وقال عمر فيه الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمل[4] وقد أوردنا طرفا من تلك الموافقات والمحنا اليه فلا داعي لتكراره ثم أنه كان في الجاهلية حكما من قبيلة محكمين أو سفيرا يسعى بين الناس بالصلح من قبيله سفراء فبهر في هذه الصناعة عربيد[5] .

---

١) الرياض النضره جـ٢ / ٢٤ . ٢) تاريخ الاسلام السياسي حسن ابراهيم حسن جـ١ / ٤٨٥
٣) د . عبد الغفار عزيز في رسالة الدكتوراه في الدعوة وعلاقاتها بالحكم ص ٣٦٨ بتصرف .
٤) تاريخ الخلفاء (السيوطي) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ص ١٢٢ .
٥) عبقرية عمر للعقاد / ١١٢ .

القضاء الاسلامي دعوة الى الله

ولما تجمع لعمر هذه الصفات التي قدمنا طرفا منها تثبت أنه شخصية يوجهه كل عمله في رضا الله عز وجل ، ولهذا لما آلت اليه الخلافة وأصبح المسئول الاول عن الاسلام والمسلمين كان جل هدفه خدمة الدعوة ونشرها وأخضاع كل تنظيماتها لهذا الغرض الشريف ومن أجل هذا .. لما اتسعت الفتوحات الاسلامية في عصره واختلط العرب المسلمون بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة ومن الطبيعي أن يحصل احتكاك بين العرب المسلمين الفاتحين وهؤلاء ، وقد ينشأ عن ذلك بحكم الاختلاط وجود منازعات وخلافات تحتاج الى من يفصل في أمرها ويعطي صاحب الحق حقه ويرد الظالم عن ظلمه ولهذا كان لابد من وجود هيئة قضائية ، وكان الامراء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الصديق هم الذين يقومون بهذه المهمة كما سبق ولكن في عهد عمر وبحكم الظروف الجديدة التي استحدثت والاعباء الكثيرة التي تحملها الامراء فصل عمر القضاء عن الولاء وجعل له رجاله فهو أذن أول من سن قانون فصل السلطات يستمدون سلطانهم مباشرة من الخليفة[1] أو من الوالي اذا كانت ولايته عامة ، فاختار أبا الدرداء وولاه قضاء المدينة وولى شريحا بن الحارث الكندي قضاء البصرة ، وأبا موسى الاشعري قضاء الكوفة[2] وعثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر .

وجعل قضاء الشام قضاءا مستقلا وللقاضي الكلمة العليا فيما يعرض عليه من قضايا وله اليد العليا على المتقاضين ، وكان عمر يختارهم لا على أساس الحسب والنسب ولكن على أساس وضع الرجل المناسب في المكان الذي يصلح له ويشترط أن تتوافر فيه النزاهة والعدالة والخوف من الله عز وجل وأحيانا كان يجري له اختبارا فاذا ظهرت فيمن أراد أن

---

١) تاريخ الاسلام السياسي (الدكتور حسن ابراهيم حسن) جـ١ الطبعة السابعة ص ٤٨٥ والقضاء في الاسلام (د . علية شرفة) الطبعة الثانية ص ٩٤/ ٩٥ .

٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ .

يوليه القضاء الملامح القضائية ورأى أن أحكامه تتفق وما يبتغيه الاسلام أسند اليه وظيفة القضاء كما فصل مع شريح حينما أراد توليته أن عمر أخذ فرسا من رجل فحمل عليه فعطب عنده فحاكمه صاحب الفرس فقال له عمر اجعل بيني وبينك رجلا فقال الرجل أني أرضى بشريح العراقي فتحاكما اليه ، فقال شريح لعمر أخذته صحيحا سليما وأنت له ضامن حتى ترده صحيحا سليما فأعجب عمر حكمه فبعثه قاضيا على الكوفه[1]

وقد كان القضاة يمنحون المرتبات السخية حتى لا تدفعهم الحاجة الى أخذ الرشى والصانعات وانتهى عهد الراشدين وليس هناك ما يدل على أن احد القضاة أكل مالا بالباطل من أيدى الناس[2] ولم يكن للقاضى كاتب أو سجل تدون فيه الدعاوى والتحقيقات ونتائجها من الاحكام حيث أنها كانت تنفذ بمجرد النطق بالحكم يقوم القاضى بتنفيذها بنفسه[3] .

وقد بين لهم القانون الذي لابد من تطبيقه وهو تحقيق مفاهيم الدعوة الاسلامية من العدل والمساواة يستمده من كتاب الله رب العالمين ، فاذا لم يجد حلا فى القرآن ينظر فى سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يجد فى السنة فينظر الى ما اجتمع عليه الناس فيأخذ به فان لم يجد لجأ الى القياس ومن ثم أصبح القياس مبدأ يعتد به فى الاحكام القضائية فى العصور التالية[4] ويتبين تلك الاصول التى كان يسير عليها القضاة فى خلافة عمر من الرسالة التى أرسلها الى شريح يقول له فيها اذا جاءك شيء فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال فأن لم تجد فانظر سنة رسول الله فأن لم تجد فى سنة رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فأن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله ولم يتكلم فيه احد قبلك فاختر أى الامرين شئت أن تجتهد رأيك وتتقدم فتقدم فأن شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك[5] وليس هذا فحسب .

---

١) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ / ٣٠٥ ـ (٢) الادارة الاسلامية فى عز العرب (محمد محمود الكيلى) ص ٤٧
٣) تاريخ الاسلام السياسى (د . حسن ابراهيم حسن) جـ ١ ص ٤٨٧ .
٤) تاريخ الاسلام السياسى جـ ١ (٧ ص ٤٨٧) (٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٥ ٣٠ ، الفاروق عمر بن الخطاب (دياب عثمان العرابى) ص ١١٦ الى ١٢٢ .

ولكنه كان يزود القضاة بدستور تفصيلي يجمع بين أصول الحكم والشهادة ويحتاج اليه الحاكم والمفتي كما في الرسالة التي بعثها الى عبد الله بن قيس (أبو موسى الاشعري) حتى أصبحت فيما بعد أساس علم المرافعات[1] وقد تلقاها العلماء بالقبول ونظرا لاهمية هذا الكتاب لما تضمنه من مبادىء العدل والمساواة أمام القانون مما كان سببا ووسيلة في نشر الدعوة الاسلامية فأننا سنذكره كما أورده ابن قيم الجوزيه وغيره ونصها :

" فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على المدعي واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له حدا ينتهي اليه ، فأن بينه أعطيته بحقه وأن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ،فان ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعماء ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق قديم لا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور ، أو مجلودا في حد أو ظنينا في ولاء أو قرابه فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق وأياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ، ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله ، فأن الله تعالى لا يقبل من

---

١) تاريخ الاسلام السياسي (د . حسن ابراهيم حسن) جـ ١ الطبعة السابقة / ٤٨٦ .

العباد الا ما كان خالصا فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله[1] .

ولو لم يكن لعمر من الاثار غيرها لعد من كبار المفكرين والمشرعين ولو كتبها رئيس دولة في هذه الايام التي انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات وصار البحث فيها مما يقرأ مطلاب العلم لكانت كبيرة منه فكيف وقد كتبها عمر من أربعة عشر قرنا ، ولم ينقلها من كتاب ولا استمدها من أحد وانما استمدها من فهمه للدعوة الاسلامية وحبه لها والعمل على نشرها بمختلف الاجهزة الادارية في الدولة .

كما يعلق الاستاذ العقاد على دستوره في القضاء فيقول (نستطيع أن نفهم دستوره في شئون القضاء فلم يكن هذا الدستور الا دستور العدل المحكم في الجزاء ثم استطرد قائلا الا أننا نعتقد ان وصاياه في القضاء وأصلح لجميع الازمنه من جميع وصاياه ، فلا تعقيب بعدها لمعقب في زمانه أو في زمان يليه مهما تختلف الاقوام والاوقات[2] .

---

١) الاحكام السلطانية (الماوردي) ص ٧١/٧٢ مقدمة ابن خلدون ص١٩٧ ، اعلام الموقعين (ابن قيم الجوزية حـ ١ ص ٨٥/٨٦ مراجع طه عبد الرؤوف سعد تاريخ الاسلام السياسي حسن ابراهيم حسن ، عبقرية عمر للعقاد /١١٢ ، أشهر مشاهير الاسلام جـ ٢ من المجلده الاولى /٤٣٨ (رفيق العظم) .

٢) عبقرية عمر (المرحوم عباس العقاد) صـ ١١١ .

نماذج من أقضيـــــة عمـــــر

لم تكن هذه الكلمات والتوجيهات الى القضاة كلمات تتلى وألفاظ ترسل من غير أن تخرج الى حيز التطبيق وأنما كل هذه المبادىء التزم بها عمر نفسه وطبقها تطبيقا عمليا نصـــــا وروحا بحسب الوقائع .

كان عمر قد ولى المغيرة البصرة وكان فيها امرأة جادرة (ضخمة) لها زوج من ثقيف مات عنها فكان المغيرة يعنى بأمرها ، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه حتى أساء به الظـــن أناس من الصحابة وكان بينه وبين أبى بكرة الثقفى منافرة وكانا متجاورين بينهما طريـــــق ، وكانا فى مشربتين متقابلتين لهما فى داريهما فى كل واحدة منها كوة مقابلة للاخرى .

فاجتمع الى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته وهم أخوته من أمه زياد بن أبيه وشـــبل بن معبد البجلى ، ونافع بن الحارث بن كلده فرفعت الريح باب الكوة فبصر المغيرة وهو بين رجلى أمرأة فقال للنفر قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال اشهدوا ، قالوا من هذه ؟ قال أم جميل احدى بنى عامر بن صعصعة ، فقالوا انما رأينا أعجازا ولم ندر ما الوجـــــه ثم أنهم صمتوا حين قامت فكتبوا الى عمر بذلك فعزله عمر على الفور وأرسل من يخلفه وهو أبوموسى الاشعرى حاملا رسالة من أوجز الرسالات يقول فيها ، فأنه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موســى أميرا فسلم اليه ما فى يدك والعجل .

وكتب الى أهل البصرة كتابا يبين لهم وظيفة الوالى يقول لهم فيه فأنى قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليخمس لكـــم فيئكم ثم ليقسم بينكم ، ولينفق لكم طرقكم .

وارتحل المغيرة وصاحب الدعوى والشهود ومثلوا جميعا أمام مجلس القضاء العمـــرى وأخذ الشهود يدلون بشهاداتهم وناقشهم رضوان الله عنه فيها واتفق ثلاثة على الرؤية وعلى أنها أم جميل وأما الرابع فلم يشهد بمثل شهادتهم قال :رأيته جالسا بين رجلى أمـــرأة

فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واسيتين مكشوفتين ، وسمعت حفزانا شديدا ـ قال هل رأيت كالميل في المكحلة ؟؟ قال لا ـ قال فهل تعرف المرأة ؟؟ قال لا ولكن أشبههما قال فتنح ، وأمر بالثلاثة فجلد واحدا القذف عملا بقوله سبحانه (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة)[1] وقرأ قوله تعالى (فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون)[2] ، فقال المغيرة اشفى من الاعيد فقال اسكت اسكت الله نأمتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك[3] ويحزلـه على الفور وقد جر الى القضاء كأصغر فرد في الدولة وقضية كهذه لابد أن تتنقل بسرعة بين الناس فأن الامور العجيبة فتتناقلها الالسنة سريعا .

فيرون العدل الاسلامي مطبقا تطبيقا فتسري في نفوسهم مبادئ الاسلام ويأخذون في المقارنة بين هذا الدين وما عندهم من هضم هذا القانون .

ولم تثبت هذه الشهادة بعد كما ورد فيها وليس حقا ما يقال أن سيدنا عمر رضي الله عنه لوح لزياد بكتمان الشهادة[4] وذلك لامور :

١) فالقاضي يجب عليه اظهار الجريمة ووضع الحق في نصابه والا انهارت المبادئ والقيم وضاعت الحقوق وأفلت المجرمون من يد العدالة بأي لون من الالوان سواء بطريق القول أو الرمز أو الاشارة .

٢) ليس من المعقول أن يدعو عمر الى كتمان الشهادة وعمر معروف عنه أنه وقاف على كتاب الله عز وجل ومع علمه بقوله عز وجل (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)[5]

٣) ولو علم عمر أن هذا الرجل ارتكب هذه الجريمة لما ولاه عمر ولاية الكوفة فيما بعد لانه ليس بمأمون على أعراض المسلمين .

---

١) النور آية / ٤ ٢) سورة النور آية ٣٣

٣) تاريخ الطبري جـ ٤ / ٧٠/ ٧١/ ٧٢ ، واخبار عمر لعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي طبع دار الفكر بدمشق ص ٢٢٦ .

٤) القضايا الكبرى في الاسلام (عبد المتعال الصعيدي) / ١٠٧

وهذه قضية أخرى عرضت على عمر رضي الله عنه نرى منها حرص عمر على تطبيق مبدأ العدالة كما أمر الله مهما كانت نتائجه لا فرق في ذلك بين صغير وكبير وملك وسوقه .

فهذا جبلة بن الايهم الغساني كان ملكا ، فلما اتسع الفتح الاسلامي حتى شمل بلاد الشام أسلم جبلة هذا في سنة ستة عشر من الهجرة واستأذن عمر في القدوم عليه فأذن له فقدم عليه في زينته مع حاشيته وأتباعه ثم خرج مع سيدنا عمر الى مكة في موسم الحج ، فبينما هو يطوف بالبيت أز وطىء ازارة رجل من بني فزارة فانحل فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري فرفع الرجل أمره الى عمر فأحضر جبلة الى مجلس القضاء ومر عليه هذا بأن الرجل فعل معه هذا الفعل متعمدا وأخبر عمر بأنه لولا حرمة الكعبة لفعل أكثر من هذا وذلك بضرب الرجل بين عينيه بالسيف .

فاعترف بجريمته وأقر فقال عمر قد أقررت ـ فأما أن ترضى الرجل وأما أن أقيده منك ، قال وماذا تصنع بي ؟؟؟ فأخبره عمر بالقصاص الذي شرعه الله عز وجل ، آمر بهشم أنفك كما فعلت ، وتعجب جبلة من هذا الحكم لانه لم تزل فيه بذور الكبرياء والغطرسة وما كان فيه من تحكم في رقاب الهمر وقال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك؟؟

ولم يقبل أن ينفذ فيه هذا الحكم وهرب من يد العدالة ورجع الى بلاد الشام وتنصر ولكنه ندم على ما صار اليه حاله بعد ذلك عبر عما يجيش بخاطره بما يدل على مرارة ما في نفسه من الالم والحسرة : يقول :

تنصرت الاشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت الى القول الذي قال عمر
وياليتني أرعى المخاض بربدة ... وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ويعلق على هذا القول الشيخ عبد المتعال الصعيدى فيقول :

والمتفرصحوائها فى بعض الاحيان ، ولكنها لا تقوى على ما يحيط بها من أسباب الغفلة فتعود الى الانغماس فيها وتوثر العاجلة على الاخرة[1] .

ولم يفلت من تطبيق هذا المبدأ عليه انسان ما حتى ولو كان ابن رجل له سبق فى الصحبة وله تاريخ حميد فى الفتح والجهاد فى سبيل الله وله من سعة الحيلة والدهاء ما له كل ذلك لا يغنى عن سريان العدالة الاسلامية وخروجها الى الوجود .

أقام عمرو بن العاص سباقا بين الخيل فاشترك فيه ابنه محمد وغيره من وجوه العرب وأهل مصر ، فجرت الخيل وأقبلت فى أولها فرس رجل من أهل مصر ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال فرسى ورب الكعبة ، فلما دنت الفرس من هذا الرجل عرفها فقال : فرسى ورب الكعبة فغضب منه محمد بن عمرو وقام يضربه بالسوط ويقول خذها وأنا ابن الاكرمين خذها وأنا ابن الاكرمين ، فلم يجد هذا الرجل الا أن يشكو محمدا الى عمر بن الخطاب وقد سافر من مصر الى المدينة من غير أن يعلم أحدا بسفره وشكى اليه محمدا بن عمرو بن العاص فلما سمع شكواه لم يزد على أن قال : اجلس ، ثم كتب الى عمرو بن العاص ليحضر هو وابنه وأقبلا عليه وهو بمكة فى موسم الحج وهنا يقول أنس بن مالك راوى القصة : فوالله أنا لعند عمر بمنى اذ نحن بعمرو وقد أقبل فى ازار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى أبنه فاذا هو خلف أبيه ـ فقال عمر أين المصرى ؟؟ فقال الرجل هأنذا ...

فقال عمر .. دونك الدرة اضرب ابن الاكرمين ثلاث مرات ، فقام الرجل فضرب محمدا حتى أثخنه ثم قال عمر للرجل أجلها على صلعة عمر ، فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، لقد ضربت من ضربنى .. ثم التفت عمر الى عمرو مغضبا

---

١) راجع القصة فى اخبار عمر لعلى الطنطاوى وتاجى الطنطاوى ص٢٤٣/٢٤٤/٢٤٥ القضايا الكبرى فى الاسلام عبد المتعال الصعيدى ٨٩/٩٢ والدعوة الى الاسلام (الشيخ أبو زهرة باختصار / ٨٤) .

يقول له تلك القولة الخالدة التي ما قالها حاكم قبله ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ؟[1]

هل سوى عمر بين أبنائه وسائر الرعية ؟ ؟

كان عمر يسوي بين أبنائه وسائر الرعية بلغ في ذلك مبلغا عظيما ..

عن عبد الله بن عمر قال : شرب عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة (عقبة بن الحارث) ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب فسكرا ، فلما صحوا انطلقا الى عمرو بن العاص وهو أمير مصر وقالا له طهرنا فأنا قد سكرنا من شراب شربناه ، قال عبد الله بن عمر ولم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص ، قال فذكر لي أخي أنه قد سكر فقلت لعله دخل الدار أطهرك فأذنني أنه قد حدث الامير قال عبد الله بن عمر فحلقت اخي بيدي ، ثم جلدهم عمرو بن العاص ، فسمع عمر بن الخطاب ، فكتب الى عمرو أن أبعث الى بعبد الرحمن بن عمر على قتب ففعل ذلك عمرو فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده ، وعاقبه من أجل مكانه منه ، ثم أرسله فلبث شهرا صحيحا ، ثم أصابه قدره فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ، ولم يمت من جلده .

ولماذا أعاد الضرب على ولده ثانية ، ولم يكتف بضرب عمرو بن العاص له ؟ ؟

يقول ابن الجوزي : وأما كون عمر أعاد الضرب على ولده فليس ذلك حدا ، وأنما ضربه غضبا وتأديبا والا فالحد لا يكرر[2] .

هذا في الوقت الذي كانت الديانة البرهمية في الهند لا تنظر الى الناس هذه النظرة الانسانية العادلة : تنظر اليهم على أن بينهم تفاوت منشأة الاصل والحرفة زعموا أن كل طبقة مخلوقة من جزء معين من جسد الاله براهما ..

---

١) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزي) ص ٩٩/ ١٠٠ ، القضايا الكبرى في الاسلام (الشيخ عبد المتعال الصعيدي) / ٩٧/ ٩٨ ، عبقرية عمر للعقاد ص ١١٠ .
٢) محاضرات في مقارنة الاديان (الشيخ محمد أبو زهرة) .

وقد أوردنا هذا وغيره من الحياة الاجتماعية عند غير المسلمين وكل ذلك يلقى ظلالا على القضاء عندهم لانه نابع من تفكيرهم ونظمهم وعاداتهم وتقاليدهم .

ورأت هذه الشعوب هذا العدل في القضاء الاسلامي وتطبيقه على الامـــراء وابن الخليفة نفسه وأنهم طالما حرموا منه ولم يسعد رأسه ... ففتحوا عقولهـــم وقلوبهم وضمائرهم وأخذوا في المقارنة بين هذا وذاك مما جعلهم ينجذبون الـــى هذه الدعـوة وأدى ذلك الى انتشارها بينهم .

الحسبة وعلاقتها بالدعوة الاسلامية

حينما اتسعت الدولة الاسلامية في عهد عمر رضى الله عنه وتشابكت مصالحها وترامت أطرافها ، كان لابد من وجود جهاز اداري صالح متطور يعمل ويسهر على خدمة ومصالح الامة في كل مكان كل غاياته وأهدافه خدمة الدعوة الاسلامية .

لذا ابتكر عمر نظام الحسبة ، وكان يقوم بنفسه بعمل المحتسب وهذا اللفظ لم يستعمل الا في عهد الخليفة المهدى العباسى (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) .

قد رؤى عمر يضرب جملا ويقول له (حملت جملك ما لا يطيق)[1] .

وقال سالم : أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشرة نسوة ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اختر منهن أربعا ـ فلما كان في عهد عمر رضوان الله عليه طلق نساءه وفرق ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال : أني لاظن الشيطان فيما يسرق من السمع سمع بموتك ، فقذفه في نفسك ولعلك أن لا تمكث الا قليلا ، وأيم الله لتراجعن نساءك ولترجعن في مالك أولا ورثتهم منك ولا مرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال (وهو أبو ثقيف وكان من ثمود)[2] .

وقال عبيد بن عمير بينما عمر بن الخطاب يمر في الطريق فاذا هو برجل يكلم امرأة فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين ، انما هي امرأتي ، فقال له فلم تقف مع زوجتك في الطريق تعرضان المسلمين الى غيبتكما ؟؟ فقال يا أمير المؤمنين الان قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل فدفع اليه الدرة وقال خذ واقتص وقال اقتص مني يا عبد الله فقال هي لك يا أمير المؤمنين فقال بعد ثلاث ، هي لله قال الله لك فيها[3] .

---

١) تاريخ الاسلام السياسى (د . حسين ابراهيم حسن) جـ١ / ٤٨٩ ، تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزى .

٢) تاريخ عمر بن الخطاب (ابن الجوزى / ١٩٢ ، أخبار عمر لعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى / ٢٣٦ .

٣) المرجع السابق نقلا عن الرياض النضرة / ٢٣٩ .

من هذه الامثلة نتبين أن عمر كان يقوم بوظيفة المحتسب مع أعماله الكثيرة المتعددة ورأينا أن نفصل بعض التفصيل فى هذا الذى صنعه عمر رضى الله عنه لنعلم الى أى مدى كان حرصه على تطبيق منهج الاسلام عرف الماوردى الحسبة تعريفا جامعا فقال (هى أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله) .

وأخذ فى الاستدلال على ذلك بقوله عز وجل (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[1] .

وليس كل فرد فى المسلمين يستطيع أن يقوم بهذه الوظيفة الدينية العظيمة حارسا فيها على تنفيذ شريعة الله عز وجل لوجود الاختلاف الكائن بينهم ، قوة وضعفا ، ولابد أن تتوافر فيه شروط خاصة ذكرها الماوردى فقال " يشترط فى والى الحسبة الحرية والعدالة والصرامة والخشونة فى الدين والعلم بالمنكرات وبين الدائرة التى يعمل فيها والى الحسبة فى حالة الدعوى من المتعدى عليه على المتعدى عليه .

وذلك اذا كانت فى دائرة اختصاصه من المنكر الظاهر ، وهى أما أن تتعلق ببخس وتطفيف كيل أو وزن أو غش أو تدليس فى مبيع أو ثمن أو بمطل أو تأخير لدين مستحق مع امكان الوفاء[2] .

ويقول الدكتور عبد الغفار عزيز نقلا عن كتاب دولة القرآن مبينا امتياز هذا النظام عن النظم العالمية هو نظام تميز به نظام الحكم الاسلامى على سائر الانظمة العالمية فى دقته وكفاءته ونبل أغراضه ومقاصده ، وشموله واحاطته فهو يسير مع الناس حيثما ساروا متكفلا بحمايتهم وراحتهم فى كافة الميادين العمرانية والتجارية والخلقية والاجتماعية وبذلك تحرر المسلمون من الروتين البطىء الذى تشكو منه الديموقراطيات العالمية ويعتبره رجال الفكر والاصلاح النقطة السوداء فى جبينها المشرق[3] .

---

١) آل عمران آية ١٠٤ . ٢) الاحكام السلطانية (الماوردى) / ٢٤١ .

٣) [illegible] عبد الغفار عزيز / ٣٧٣ .

وكانت سلطة القاضي موزعة بينه وبين المحتسب وقاضي المظالم ، فوظيفة القاضي فصل المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام وفي الجنايات احيانا مما يحتاج فيها الفصل الى السرعة ، ووظيفة قاضي المظالم الفصل فيما استعصى من الاحكام على القاضي والمحتسب[1] .

وكان القضاء والحسبة يمتدان في بعض الاحيان الى رجل واحد مع ما بين العملين من التباين[2] فالحسبة مبنية على الشدة والرهبة وسرعة الفصل والقضاء مبني على الوقار والتأني في الحكم[3] .

(والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) كلاهما ينقسم الى اقسام ثلاثة ـ فالامر بالمعروف يتعلق : أما بحقوق الله عز وجل ، أو بحقوق الادميين ، أو ما يكون مشتركا بينهما ، وأما المتعلق بحقوق الله عز وجل فذا شقين :

الاول يلزم الامر به في الجماعة دون الافراد ، كترك الجمعة في وطن مسكون ، يؤاخذهم المحتسب على تركها اذا وجد العدد الذي تصح به الجمعة .

وكما اذا اجتمع أهل بلد على تعطيل الجماعة في مساجدهم وترك الاذان في أوقات صلواتهم أمرهم كذلك المحتسب بالاذان والجماعة في الصلوات .

الثاني : ما يؤمر به آحاد الناس وأفرادهم فكتأخير الصلاة حتى يخرج وقتها فيذكر بها ويؤمر بفعلها ويراعى جوابه عنها .

والامر بالمعروف في حقوق الادميين : (١) أما أن يتعلق بالمصالح العامة التي ترتبط بالجماعة كالبلد اذا تعطل شربها واستهدم سوره فاذا استطاعت خزانة الدولة القيام بهذه المهمة كان لابد من القيام به . الزم المحتسب الجميع أن يتعاونوا بمجهوداتهم

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي ج ١ (د . حسن ابراهيم حسن) / ٤٨٩ .
٢) المرجع السابق / ٤٨٩ .
٣) الاحكام السلطانية (الماوردي) / ٢٤٢ .

الذاتية على ايجاد الحل والاصلاح اللازم للجماعة ، فاذا قام به البعض سقط عن الباقين والا أثمت الجماعة كلها • (٢) وأما أن يكون الامر خاصا ، كالحقوق والديون اذا سوف فى رجوعها الى اصحابها مع الاستطاعة لما فى ذلك من الظلم الواضح فالمحتسب يقوم بدوره من الارشاد والتوصية والنصح والمطالبة بأعطاء كل ذى حق حقه ورجوعه الى أصحابه ، وكذلك النهى عن المنكرات مع تعلقاته الثلاث :

(١) ما كان من حقوق الله تعالى •

(٢) ما كان من حقوق الادميين •

(٣) ما كان مشتركا بين الحقين •

والنهى عن المنكرات فى حقوق الله عز وجل مطلقا ، فيشمل ما تعلق بالعبادات كالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة والتعمد فى تغيير أوصافها المسنونة مثل من يقصد الجهر فى صلاة الاسرار والاسرار فى صلاة الجهر ، وما يتعلق بالمحظورات : وذلك أن يمنع الناس من مواقف الريب وظان التهمة عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم " دع ما يريبك الى ما لا يريبك " ويقدم فى ذلك عدم الرضا والسخط والارشاد فاذا انزجروا ، وارتدعوا اكتفى بذلك ، وأن لم ينفع استعمل معهم أسلوبا آخر يتوافق معهم وهو أسلوب التأديب •

وما يتعلق بالمعاملات : كغش المبيعات وتدليس الاثمان ، فيؤدب بحسب الحال[1] ويعلق الدكتور عبد الغفار عزيز نقلا عن كتاب دولة القرآن • على اختصاص المحتسب واتساع وظيفته ـ فيقول :

لو أردنا حصر عمل المحتسب لوجدناه مما لا يقف عند حصر سواء منه ما كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وسواء ما كان موجودا فى زمانهم أو ما ظهر فى هذا العصر والزمان فهو الحارس على الدين المانع للخطر الاخذ بسبل الاصلاح ، الجاهر بكلمة

---

(١) الاحكام السلطانية (الماوردى) ص ٢٤٣ الى ٢٥٣ •

الحق ، ومقاومة الظلم والظالمين ، الاخذ على يد الفساق والعصاة والمفسدين الواقف في طريق انتشار البدع ، والخرافات والعادات الجاهلية ، وخصوصا ما ينتشر منها في الاوساط العامية وقد جمع المحتسب بين مهمات النيابة العمومية ووزارة الشئون الصحية والتموين والبلدية وبوليس الاداب والمرور ، وفي كل الامور الصريحة التي لا تحتمل ارجاء أو تأخير (١)

وبهذا نرى أن عمر رضي الله عنه بقيامه بهذه الوظيفة وأسنادها الى بعض الافراد كان حريصا على شيوع المبادئ والقيم والفضيلة حارسا على تنفيذها ليعيش المسلمون في جو اسلامي قرآني في عباداته وعاداته وتقاليده ، وأعرافه وبذلك كان المجتمع الاسلامي مجتمع مثالي تطلع اليه غير المسلمين فأعجبوا به فجذبهم اليه مما سبب انتشار الدعوة الاسلامية بينهم .

---

١) العلاقة بين الدعوة والدولة (رسالة دكتوراه ـ د . عبد الغفار عزيز) / ٣٢٦ .

الباب الأول

الفصل العاشر

سياسة التسامح فى معاهدات عمر وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

وهو يشتمل على النقاط التالية :

١ ـ نظرة الدعوة الاسلامية الى المعاهدات .

٢ ـ التزام عمر رضى الله عنه بهذه النظرة الاسلامية .

٣ ـ طابع معاهدات عمر كانت أسلوبا من أساليب الدعوة الى الله عز وجل .

٤ ـ بيان أن هذا الطابع كان مفقودا فى اليهودية والمسيحية .

٥ ـ نماذج من هذا الطابع من تطبيق عمر له .

٦ ـ أثر هذا الطابع مع المخالفين للدعوة الاسلامية .

المعاهدات في عصر عمر وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

الاسلام يقرر ان حالة السلام هي الاصل فاذا طرأ على هذا ما يعكر صفو السلام ولم تنتفع في علاجه الوسائل التي بينها الله في كتابه وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن كما قال الله عز وجل : أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن [1] .

وجب على المسلمين استعمال القوة من باب المعاملة بالمثل فاذا مال الطرف الاخر الى السلام فعلى المسلمين تلبية رغبته يقول رب العزة ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها)) الآية[2] وفي هذا السبيل يجوز للمسلمين اقامة معاهدات بينهم وبين المخالفين لهم ، وقد اقام الرسول صلى الله عليه وسلم فعلا معاهدة مؤقتة بينه وبين مشركي اهل مكة وكان ذلك في الحديبية في السنة السادسة من الهجرة .

وبها رجع الى المدينة دون ان يدخل مكة ودون ان يعتمد وعلى قصد الصلح الدائم جاءت معاهدة اهل نجران حينما دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الاسلام فامتنعوا ولكنهم قبلوا ان يخضعوا لحكم الاسلام ويعيشوا في جواره آمنين [3]

---

(١) النحل آيه ١٢٥
(٢) الانفال آيه ٦١
(٣) الاسلام عقيده وشريعه (الشيخ شلتوت) ٤٧٥ ، ٤٧٦

ولكى تكون المعاهدة فى نظر الاسلام صحيحة اشترط لها شروط ذكرها شلتوت ونحن نجملها :

١ــ ان لا تمس قانونه الاساسى وشريعته العامه التى بها قوام الشخصية الاسلامية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل) .

٢ــ ان تكون مبنية على التراضى من الجانبين .

٣ــ ان تكون المعاهدة بينة الاهداف واضحة المعالم تحدد الالتزامات والحقوق تحديدا لا يدع مجالا للتأويل والتخريج واللعب بالالفاظ[1] واحاط الاسلام المعاهدات بما يكفل الحفاظ عليها فطالب بالوفاء يقول الله عز وجل ((وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان الايه[2] ٩١ النمل))

ويقول الله سبحانه ((واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا))[3]

ويقول الله عز وجل ((ان العهد كان مسئولا))[4]

---

(١) المرجع السابق ٤٧٦ ، ٤٧٧
(٢) النمل ٩١
(٣) الانعام ٥٢
(٤) الاسراء ٣٤

ويقـول سبحانه ((وكان عهـد الله مسئولا)) (١)

ويقول سبحانه ((واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وايای فارهبون)) (٢)

وجعل الوفاء بالعهد من دلائل الايمان بالله عز وجل .

((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) (٣)

((والموفون بعهدهم اذا عاهدوا)) (٤)

((بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين)) (٥)

ويقول سبحانه ((ومن اوفى بماعاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما)) (٦)

فاذا اخلو بالشروط المتفق عليها فلا عهد لهم ولا ذمه .

يقول الله عز وجل ((وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاايمان لهم لعلهم ينتهون)) (٧)

وكذلك اذا توجس المسلمون خفية من المتعاهدين منهم بان ظهر منهم او انهم يعملون فى السر بما يتنافى مع الشروط المتفق عليها من

---

(١) الاحزاب ١٥
(٢) البقرة ٤٠
(٣) الاحزاب ٢٣
(٤) البقرة ١٧٧
(٥) آل عمران ٧٦
(٦) الفتح ١٠
(٧) التوبه ١٣

الطرفين .

فعلى المسلمين اعلامهم بان المعاهدة ليست سارية المفعول حتى لا يأخذوهم على غرة ، يقول الله سبحانه ((واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)) (١)

فلماذا اجلى سيدنا عمر اهل الكتاب من يهود خيبر ونصارى نجران مع ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد امضى الاتفاق معهم على البقاء بشروط معينة ؟

وهذا يقتضينا الرجوع الى ما كان بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، لقد كانت غزوة خيبر في سنة ٧ من الهجرة :

حاصر الرسول عليه الصلاة والسلام أهل خيبر حتى اذا ايقنوا بالهلكة سألوه ان يسيرهم وان يحقن لهم دماءهم ففعل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد حاز الاموال كلها .

فلما نزل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الاموال على النصف ، وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمر لها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على انا اذ شئنا ان نخرجكم اخرجناكم (٢)

---

(١) الانفال آيه ٥٨

(٢) ابن هشام ج ٣ ٧٩٩/ ٨٠٠

فلما اصبح وجودهم خطر فى المنطقة وتكررت مؤمراتهم على المسلمين كان ولا بد من نظافة المكان منهم خصوصا وان فى نصوص الصلح ان بقائهم رهين رضا المسلمين عنهم .

عن عبد الله بن عمر قال : خرجت انا والزبير والمقداد بن الاسود الى اموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى اموالنا ، قال فعدى على تحت الليل وانا نائم على فراشى فقدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فأتياني فسالا عن صنع هذا بك ؟ قلت لا أدرى ، قال فلما اصلحا من يدى ثم قدموا بى على عمر قال هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على انا نخرجهم اذا شئنا وقد اعتدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الانصار قبله لا نشك انهم اصحاب ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فانى مخرج يهود فاخرجهم (١)

نتبين من هذا ان عمر كان مخيرا بين بقائهم واجلائهم فلما توفرت دواعى الجلاء اجلاهم عن الجزيرة العربية .

اما فى شأن نصارى نجران : فهل اخل عمر بالاتفاق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صالح النبى صلى الله عليه وسلم اهل نجران على شريطة ان تبقى لهم حرية التدين ويأمنوا على انفسهم واموالهم وارضهم بما فى ذلك الغائب والشاهد وتمنع الجيوش الاسلامية من دخول أرضهم ويبقى الاتفاق قائما اذا دفعوا

---

(١) المسند (الامام احمد بن حنبل) جـ ١ صـ ٩٠

الجزية المتفق عليها ونصحوا ولم يأكلوا الربا فلما استخلف ابو بكر اقرهم : فلما تولى عمر اجلاهم عن جزيرة العرب ويمثل العلامة محمد فريد وجدى موقف عمر رضى الله عنه منهم فيقول :

فلما تولى عمر رأى من المصلحة اجلاهم عن جزيرة العرب حتى لا يكون في جزيرة العرب دينان فأرسل اليهم بعلى بن أميه واوصاه بقوله : ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم اجلهم من اقام منهم على دينه واقرر المسلم وامسح ارض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلد ان وان هذا امر الله ورسوله ان لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من اقام على دينه ثم نعطيهم أرضا كأرضهم اقرار الهم بالحق على انفسنا ووفاء بذمتهم فاختار بعضهم النجرانيه بناحية الكوفه .

ويتساءل فريد وجدى فيقول :

لا تدرى كيف لم يسمع عمر رضى الله عنه ما وعى النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : (لا يبقين فى جزيرة العرب دينان) .

فلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولم ينفذه وكيف علم أبو بكر ولم يعمل به : ثم يأخذ فى بيان السر فى ذلك المسلك العمرى فيقول :

الحقيقة ان عمر سلك فى هذا الامر مسلكا اجتماعيا بحتا فراعى مصلحة الامة العربية فى عزلها عن الاختلاط باهل الملل الاخرى (١)

---

(١) دائرة المعارف فى القرن الرابع عشر (محمد فريد وجدى) جـ ٦ الطبعة الثانيه ٧٠٩/٧١٠ بتصرف .

ويذهب هذا المذهب رفيق العظم فيقول : ربما كانت الضرورة السياسية لجده العرب في الدين وعدم تمكن عامتهم منه لقرب عهدهم بالوثنية واغراقهم في الجهل هو السبب في الجلاء [1] والحقيقة ان عمر لم يخرجهم ولكنهم هم الذين طلبوا ان يخرجوا الى الشام

لما كانوا يدفعونه من الجزيه فوافق عمر على خروجهم ثم بدا لهم ان يرجعوا في اتفاقهم فأبى عمر ذلك وكان يتخوف منهم على المسلمين وأتته الفرصة لاخراجهم حتى انتهزها [2]

بعد هذا نرجع الى المعاهدات في عصر الفاروق لنعلم الى اى مدى كانت سماحة الاسلام مما كان سببا من الاسباب التي ادت الى انتشار الدعوه الاسلاميه بين الناس .

فهذا نص وثيقة الصلح بين عمر واهل ايلياء جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين أهل ايلياء من الامان امان اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزيه كما يعطى اهل المدائن عليهم ان

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام (رفيق العظم) جـ ٢ / ٣٩١

(٢) كتاب الاموال (لابى عبيد) تحقيق الدكتور محمد خليل هراس صفحة ١٤٤ على الهامش.

يخرجوا منها الروم واللصوت فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن اقام منهم فهو امن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزيه ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد و عليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزيه ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزيه (١)

وهذا الطابع والروح الاسلاميه السمحه فى كل المعاهدات حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين ،هذه الروح الاسلاميه كانت مفقوده تماما عند أهل الكتاب ، فعلاقتهم بأهل الاديان المخالفه لهم كانت تقوم على العداء والحقد والتغيظ وليس الامر كذلك فحسب بل يحاول اهلها ان يجبروا غيرهم على اعتناق دينهم بشتى الوسائل وان لم يفلحوا فى ذلك عملوا على تشريدهم والتنكيل بهم .

يقول الاستاذ الامام محمد عبده عن المسيحيه :

المسيحيه السليمه كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب اعمال أهله وتخصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يحتملها الصبر بهما عظم حتى اذا تمت لهم القدره على طردهم بعد العجز عن

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٣ / ٦٠٩ وتاريخ الامم الاسلاميه جـ ٢ / ٧ / ٨ / ٩ الشيخ الخضرى .

اخراجهم من دينهم وتعميدهم اجلتهم عن ديارهم وفصلت الديار من اثارهم كما حصل في كل ارض استولت عليها المسيحية استيلاء حقيقيا .

ويؤيد من موقفهم العدائي هذا بنصوص انجيلية نقلها الاستاذ محمد عبده فقد جاء في انجيل (متى) قوله (ما جاء ليلقي سلاما بل سيفا) ولأنه جاء ليفرق بين البنت وامها والابن وابيه (١)

وفي انجيل لوقا (١٤ ــ ٢٥ ، ٢٦) ان كان احد يأتي الي ولا يبغض اباه وامه وامرأته واولاده واخوته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا .

ويمضي الاستاذ الامام في بيان ما جاء في ذلك الانجيل فيقول :

وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه (٢٧ اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عليهم فاتتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي .

واما مصادر الدين اليهودي فليس موقفها باحسن من المسيحية اذا المخالفين

فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع (واذا غواك سرا اخوك ابن امك أو ابنك أو ابنتك او امرأة حضنك او صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة اخرى لم تعرفها انت ولا ابباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من اقصاء الارض الى اقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينيك عليه ولا تعف له ولا تستره بل قتلا تقتله وفي سفر التثنية (٢٠ ــ ١٠ ــ ١٦)

---

(١) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (الاستاذ محمد عبده) ٦٤/٦٥

(حين تقترب من مدينة لتحاربها ادعها الى الصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعمد لك وان لم تسالمك بل عملت معك حرب فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كلها غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك الذى اعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا منك التى ليست من هؤلاء الأمم هنا أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة ما[1] ومما لاشك انه بالمقارنه بين نصوص اد يانهم وبين ما جاء به الاسلام وما املاه على اصحابه فى معاهداتهم له اثر كبير فى زلزلة كبار المسيحية فى نفوس اهلها .

وكان الخلفاء الراشدون وامراءهم يطبقون نصوص المعاهدات ويخرجونها الى حيز التنفيذ .

لم يعامل عمر رضى الله عنه اهل البلاد المفتوحه معاملة الغالب والمغلوب بالقهر والغلبه والعنف والجبروت ولكن عاملهم بما يدل على منتهى السماحة التى أملتها عليه دعوة الاسلام .

فالتاريخ يحكى واقعة تغنى عن كثير من الوقائع بما تضمنته من مبادىء وقيم انسانية استطاع بها ان ينتزع اعجاب الصديق والعدو على حد سواء ويلفت النظر اليه ، وذلك عند دخوله الى بيت المقدس ، سار حتى دخل كنيسة القيامة

---

(1) المرجع السابق على هامش ٦٥ ، ٦٦ .

وحان وقت الصلاة فقال للبترك أريد الصلاة فقال صل موضعك فامتنع رضي الله عنه وصلى على الدرجة الى على باب الكنيسة واخير بالسبب في ذلك حتى لا يأتي المسلمون بعد ذلك ويأخذونها استنادا على صلاتي هنا ولم يقتصر الامر الى هذا الحد بل نهى اتخاذ المكان الذي صلى فيه ذريعة الى مضايقة المسيحيين في مداخل معابدهم وكتب لهم ان لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها (١) .

ولكن ما هذه الجزية التي كانت دليلا على خضوع الغير لاحكام الاسلام ؟

هي مبلغ من المال يدفعه من توفرت فيه شروط معينة خاصة وهي موضوعة على الرؤوس وتسقط بالاسلام .

والاصل فيها النص القرآني يقول الله سبحانه :

((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) (٢)

وغاية القتال في الاية الشريفة فيد يقيد بن .

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية جـ ٢ / ٩ (الشيخ محمد الخضري) بتصرف
(٢) التوبة ٢٩

١) عن يد ٢) وهم صاغرون

ويفسر العلماء قوله تعالى عن يد : أى عن قدرة وغنى والثانى اى قابلون ان تجرى عليهم احكام الاسلام (١)

ويقول بهذا التفسير الامام الماوردى البصرى فى احد تأويليه (٢)

ويتبين من هذا ان المعنى ليس هو الذله والضعف كما هو المتبادر من كلمة (صاغرون) فى الاية الشريفه .

وهل هذه الجزية كانت نوعا من الاكراه الاقتصادى على الاسلام ؟

فهذه الجزيه التى كانت تفرض على الخاضعين لحكم الاسلام عندما نبحث عن مقابلها يتبين انها كانت مفتسا لاهل الكتاب وليست مفروضا عليها .

اذ ان هذه الجريمة كانت فى مقابلة حماية اموال الذميين وانفسهم وكنائسهم واعفائهم من الخدمة العسكرية ، بل وليس ذلك فحسب وانما هذه الاموال كانت تضم الى غيرها من الخراج والعشور فتنفق على المرافق العامة للدولة ويدخل فى هذا ارزاق الموظفين والولاه والقضاه واهل الفتوى من العلماء واعداد الجيش وتعبيد الطرق وعماره المساجد والرباطات والقناطر والجسور واصلاح الانهار وما اليها (٣)

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى والدينى جـ١ صـ ٤٧٠ (حسن ابراهيم حسن) نقلا عن احكام القرآن .
(٢) الاحكام السلطانية (الماوردى البصرى) / ١٤٣
(٣) سماحة الاسلام (الدكتور احمد الجوفى) صـ ١٠٥ نقلا عن الميدانى على القدورى .

والدميون كانو ينتفعون بهذه المرافق العامة للدولة .

فهل اذا فرض عليهم الاسلام شيئا من الضرائب فى مقابل هذا يقال انه نوع من الضغط الاقتصادى .

مع العلم بان المسلم كان يكلف بالزكاه والجهاد فى سبيل الله والدفاع عن الوطن ولكن من المستشرقين من يرجع سبب التحول الى الاسلام الى الهروب من الجزية ولكنه عاد واعترف بأن الجزية كانت مقدارا ضئيلا .

يقول أرنولد : لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم الا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا الى الاسلام لا لشىء الا ليظفروا باعفائهم من اداء الجزية . ثم قال لكن هذه الجزية كانت من البساطة بحيث لم تثقل كاهلهم وذلك اذا لاحظنا أنها أعفتهم من الخدمة العسكرية الاجبارية التى كانت مفروضة على اخوانهم من الرعايا المسلمين [1] يقول الدكتور مصطفى الرافعى فى هذا الصدد :

ومن هنا نلاحظ جيدا ان الاسلام اعتبر اهل الكتاب فى دولته كالمسلمين تماما يتقاسمون المسئولية ويتكافئون بالتمتع فى الحقوق ويتساوون فى الانتفاع بالمرافق العامة واذا فرضت عليهم الجزية فليس عليهم فريضة الجهاد والدفاع عن البلاد كما انه ليس فى مواشيهم من الابل والبقر وللغنم زكاة [2]

---

(١) الدعوة الى الاسلام (سيرتوماس و . أرنولد) صـ ٧٧

(٢) الاسلام نظام انسانى (الدكتور مصطفى الرفاعى) الكتاب الحادى عشر ١٤٣

ويمضي الدكتور مصطفى الرفعي مبينا بالدليل بان هذه الجزيه ليست اجبارا على اعتناق الاسلام فيقول :

ان هذا الادعاء يكون صحيحا لو ان الذمي اذا اسلم كان يتخلص باسلامه من الجزيه وبالتالى من واجبات السلم . وهذا غير حاصل لان الذمي اذا اسلم فانه يهرب من اداء الجزيه فى الحقيقه غير انه يقع فى نظام الزكاة والجهاد فى سبيل الله وتكاليفه الجديده فى الاسلام أقسى واشد واكثر من تكاليفه فى الذميه (١)

ولو كان هذا الادعاء ايضا صحيحا لحملهم المسلمون فوق ما يطيقون وبذلك يكون حملا لهم على الاسلام بطريق غير مباشر أما الثابت فان الجزية كانت من اليسر بمكان وعلى مقتضى التراضي الذى كان يقع بين المسلمين وغيرهم .

وما زالت الجزيه من غير تحديد الى اخر أيام ابى بكر فلما تولى عمر وكثرت الفتوح عين مقدارها فكتب الى امراء الاجناد يأمرهم ان يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى وان يجعلوها أهل الفضه كل رجل أربعين درهما وعلى أهل الذهب أربعة دانانير وعليهم ارزاق المسلمين من الحنطه والزيت مدان حنطة وثلاثة اقساط زيت لكل انسان فى الشام والجزيره (٢)

---

(١) المرجع السابق ١٤٤

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ١ / ١٧٩ تاريه التدن الاسلامى ج ١ / ١٨٨ (جرجى زيدان)

وقد فرض عمر على أهل الشام أكثر مما فرضه على اهل اليمن وذلك راجع الى اليسار (١)

وعلى ان هذه الجزيه ليست من محدثات الاسلام بل هى قديمه من أول عهد التمدن القديم •

وقد فرضها يونان اثينا على سكان اسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من هجمات الفينقين •

والرومان وضعوا الجزيه على الامم التى اخضعوها وكانت اكثر بكثير مما وضعه المسلمون بعد ذلك فان الرومان لما فتحوا غاليا (فرنسا) وضعوا على كل واحد من اهلها جزيه تختلف مقدارها ما بين ٩ جنيهات ، ١٥ جنيها فى السنه أو نحو سبعة اضعاف الجزيه المسلمين •

وكان الفرس ايضا يجبون الجزيه من رعاياهم ويؤيد ذلك مما أورده ابن الاثير فى كلامه عما فعله كسرى انو شروان فى الخراج والجند قال : والزموا الناس الجزيه ما خلا العظماء واهل البيوتات والجند والمرازبه والكتاب ومن فى خدمة الملك كل انسان على قدرة اثنى عشر درهما وثمانية دراهم واربعة دراهم (٢)

ولا تجب الا على الرجال الاحرار العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع وما عدا ذلك لا تؤخذ منه •

---

(١) تاريخ ابن عساكر / ١٩٠

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى جـ١ / ١٢٧ / ١٢٨ (جرجى زيدان)

فلا تؤخذ من المسكين الذى يتصدق عليه ولا ممن له قدره على العمل ولا من الأعمى أو المقعد او المجند وغيرهم من ذوى العاهات ولا من أحد من المترهبين فى الاديره واهل الصوامع الا ان كان غنيا (١) ولا من النساء والصبيان (٢)

ومن هنا يروى صاحب كتاب (الخراج)

عن هشام بن عروه عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بطريق الشام على قوم قد اقيموا فى الشمس يصب على رؤسهم الزيت فسأل عن ذلك فأخبر لانهم لم يؤدوا الجزيه ، فقال هل عندهم ما يعتمدون عليه فى المنع قالوا يقولون لا نجد وأمر باخلاء سبيلهم ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اوصى بهم فقال ((لا تعذبوا الناس فان الذين يعذبون الناس فى الدنيا يعذبهم الله يوم القيامه)) (٣)

وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر على باب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من اى اهل الكتاب انت ؟ثم أخذ عمر بيده وذهب الى منزله ثم ارسل الى خازن بيت المال فقال انظر هذا وضرباءه (اشباهه) فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم انما الصدقات للفقراء والمساكين وهذا من مساكين اهل الكتاب ، ووضع الجزية عنه وعن ضرائه) (٤)

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى جـ ١ / ٤٧ (دكتور حسن ابراهيم حسن)
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ١ / ٢٢٩ (جرجى زيدان)
(٣) الخراج (أبو يوسف/ ١٥٠ المرجع السابق صـ ٧٠
(٤) الاسلام والحضاره العربيه جـ ١ / ٤٠ (محمد كرد على)

وهذا التسامح الذى بلغ منتهاه هو الذى حدا بالمستشرق ارتولد أن يقول :

اما ولايات الدولة البيزنطيه التى سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم فقد وجدت انها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طول قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبيه فقد سمح لهم بان يؤدوا شعائر دينهم دون ان يتعرض لهم احد اللهم اذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعا لاثارة أى احتكاك بين اتباع الديانات المتنافسه او اشارة اى تعصب ينشأ عن اظهار الطقوس الدينيه فى مظهر الشعائر حتى لا يؤذى شعور الشعور الاسلامى (1)

وكان هذا التسامح له اثر كبير مع أهل الذمه مما جعلهم يؤثرون المسلمين على أهل ملتهم الدين أذاقوهم الظلم والويل والاضطهاد .

روى البلاذرى قال :

بلغنى انه جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردا على أهل حمص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج ، وقالوا شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم ، فقال اهل حمص ، لولا يتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولتدفعن جند هرقل عن المدينه مع عاملكم ، ونهض اليهود ، فقالوا لا يدخل عامل هرقل مدينه حمص الا ان تغلب ونجهد ، فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل اهل المدن التى صولحت من

---

(1) الدعوه الى الاسلام (أرتولد) / ١٢٩

النصارى واليهود ، وقالوا ان ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه والا فانا على امرنا ما بقى للمسلمين عدد ، فلما هزم الله الكفره واظهر المسلمين فتحوا مدائنهم واخرجوا المقلين فلعبوا وأدوا الخراج [1]

ودخل كثير منهم فى دين الله افواجا :

يقول غوستاف لوبون : هيبنا اثر التسامح الاسلامى .

وقد بالغ العرب فى الوفاء عند حد تلك الشروط والتقيد بها حتى احبهم المصريون الذين ذاقوا الامرين من ظلم قياصرة النصارى وأقبلوا على اعتناق دين العرب ولغتهم .

وللفتوح العربية طابع خاص لا نجد له مثيلا فى فتوح الامم الاخرى وذلك ان العرب انشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التى ظهرت قبلها وتمكنوا بحسن سياستهم من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وثقافتهم ولم يشذ عن ذلك اقدم الشعوب كالمصريين والهنود الذين رضوا ايضا بمعتقدات العرب وعاداتهم [2]

ويقول الاستاذ محمد كرد على عن الدافع الى انتشار الاسلام بين النصارى والمجوس :

---

(١) فتوح البلدان القسم الاول (البلاذرى) / ١٦٢

(٢) الاسلام والحضاره العربية جـ ١ / ٢٠٢ (محمد كرد على)

رأوهم لايعارضوهم فى اقامة شعائرهم وان سلطانهم عليهم ناعم الملمس كثير المحاسنه يوفون بعهودهم فلا يجورون ولا يخونون ولا يغدرون رأوا اباعبيده الجراح وهو امير على الشام يقول : ايها الناس انى امرؤ من قريش ومامنكم من احد من احمر ولا اسود الا وددت انى فى سلاطه .

وهذه قصة رجل من بنى تغلب من نصارى العرب جذبته سماحه الاسلام وانسانية عمر فاعتنق الاسلام .

روى ابو يوسف فى كتاب الخراج :

ان رجلا من بنى تغلب من نصارى العرب مر على الرجل الذى وكل اليه عمر مهمة اخذ العشور من المسلمين وغيرهم ، وكان مع التغلبى فرس فقوم بعشرين الفا فقال له زياد اعطنى الفرس وخذ منى تسعة عشر الفا او امسك الفرس وأعطنى الفا قال فاعطاه الفا وامسك الفرس ثم رجع ما رآبه فى نفس السنه فأراد ان يأخذ ألفا اخرى فرفع امره الى عمر رضى الله عنه فقال له عمر كفيت ولم يزد على ذلك ورجع التغلبى وفى نفسه ان يدفع الالف ، ولكن خطاب سيدنا عمر سبق الى زياد وفيه يقول :

من مر عليك فأخذت منه صدقه فلا تأخذ منه شيئا الى مثل ذلك اليوم من قابل الا ان تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبه ان اعطيك الفا وانى اشهد الله انى برىء من النصرانيه وانا على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب (١)

---

(١) كتاب الخراج (أبو يوسف) ١٦٢

(عثمان بن عفان) رضى الله عنه

طريقة استخلافه ومنهجه السياسى وادارته وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

الباب الثانى

الفصل الأول

طريقة استخلاف عثمان بن عفان رضى الله عنه ومنهجه السياسى وادارته وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية .

وهو يشتمل على النقاط التالية :

(١) استخلاف عثمان رضى الله عنه ثم فى دائرة الدعوة الاسلامية .

(٢) منهج عثمان السياسى كان تعميقا لمفاهيم الدعوة الاسلامية فى نفوس المسلمين .

(٣) طابع اللين فى غير ضعف كان طابع سياسة عثمان رضى الله عنه .

(٤) دفع شبه قد ترد نتيجة لسياسة اللين وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية .

عند ما طعن عمر رضى الله عنه بالخنجر ووجد أصحابه رضوان الله عنهم أن حالته ميئوس من الشفاء منها طلبوا منه أن يوصى بالخلافه ، فقال من استخلف ؟

لو كان أبو عبيده بن الجراح حيا استخلفته ،فان سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول : (أنه أمين هذه الامة)[1] ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته فان سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول (ان سالما شديد الحب لله) وطلب منهم أن يتركوا الامر بعض الوقت ريثما يفكر فيه فينظر فى جوانب الموضوع ومن هو أهل لتحمل تلك المسئولية الضخمة ولكن أما وأنه مقتدى بالرسول صلوات الله عليه وصاحبه الصديق رضى الله عنه فهو بالخيار أما أن يترك الامر وليختر المسلمون ما يرونه أهلا واما أن يعين كما فعل الصديق رضى الله عنه يقول عمر فان استخلفت فقد استخلف من هو خير منى وأن أترك فقد ترك من هو خير منى ولن يضيع الله دينه وبعد نظر قال لاصحابه عليكم هؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة وعين ستة ولم يدخل السابع وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهم على وعثمان ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير بن عبيد الله وطلب من صحابته اذا وقع اختيار أهل الشورى على واحد منهم[2] فعليهم عونه ومؤازرته .

وعقد اجتماعا مع خمسة من أهل الشورى وأخبرهم بالسبب الذى من أجله وقع عليهم الاختيار ، وذلك لانهم رؤساء الناس ولا يكون هذا الامر الا فيهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم مات وهو عنهم راض .

---

١) البخارى بشرح الكرمانى حـ ١٥ / ١٩ / ٢٠

٢) البخارى بشرح الكرمانى حـ ١٤ / ٢٤٨ / ٢٣٩ / ٢٤٠ باب كيفية استخلاف

وحذرهم من الاختلاف الذى يترتب عليه تفريق وحدة الجماعة الاسلامية على أن يعقدوا اجتماعا عاجلا فى بيت أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله ، لاختيار واحد منهم ولكنهم فى اثناء عرض وجهات النظر وبين الاخذ والرد والمناقشة ارتفعت أصواتهم ، فنهاهم رضى الله عنه عن الاجتماع حتى يلقى ربه عز وجل .

ونظر الى كل الاحتمالات التى قد توجد فى مثل هذا المؤتمر فأحاط المسألة بالضمانات الكافية وذلك حفاظا على سرعة الاختيار .

فأوصى بأن يصلى بالناس صهيب الرومى وأمر أن يقف خمسون وعلى رأسهم أبو طلحة حراسا على اجتماع رجال الشورى ، حتى يتم الامر ويختاروا خليفة للمسلمين . على أن الاختيار يكون بالاغلبية فى الاصوات ، والاقلية ان لم يرضوا بحكم الكثرة المتفق عليه فأمر عمر بأن تضرب اعناقهم .

فاذا تساوت الكفتان فيكون فيصل الحكم بينهم عبد الله بن عمر وهم ليسوا ملزمين باتباعه لان رأيه استشارى فقط . فان ضربوا صفحا عنه فتكون الكفة الراجحة التى فيها عبد الرحمن بن عوف ويكون من بينها الخليفة ، ولم يجعل باب الاجتماع مفتوحا من غير أجل وانما جعل له مدة موقوته بثلاثة أيام .

فلما مات عمر رضى الله عنه ودفن جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة .

ويقال فى بيت المال ، ويقال فى حجرة عائشة باذنها ويرجع ذلك الى كثرة تعدد المجالس والاجتماعات[1] .

وتنافس القوم فى الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة أنا كنت لان تدفعوها أخوف منى لان تنافسوها ، ثم ذكرهم بالمدة التى ضربها عمر لهم حتى ينتهى الامر ويفرغوا . وعدى الله سبحانه عبد الرحمن بن عوف الى حل يخرج اهل الشورى من هذا المأزق فقال لهم أيكم يخرج نفسها نفسه ويقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه احد فأعلن أنه قد خلع نفسه فقال عثمان أنا أول من رضى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " أمينان فى الارض أمينان فى السما[2] "وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال اعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوا الامة .

فقال أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم ثم أعطاهم ما طلبوا من الميثاق قال " على ميثاق الله الا أخصى ذا رحم لرحمة ولا آلوا المسلمين .

وأخذ يتحدث مع على على انفراد مبينا مزيته فى قرابته وسابقته فى الاسلام وحسن الاثر فى الدين وذلك شىء لا يمكن انكاره .

ثم توجه اليه بالسؤال ، أرأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط احق بالامر قال عثمان وخلا بعثمان وبين له فضيلة هوا لاخره وذلك أنه شيخ من بنى عبد مناف .

---

١) تاريخ العالم الاسلامى (دكتور محمود زيادة) (الخلفاء الراشدون) / ١١٩
٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة (ابن الاثير) حـ ٣ / ٤٨٢ .

وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه كما أن له سابقه في الاسلام وفضل • ثم توجه اليه بالسؤال الذى توجه به الى على رضى الله عنه فكانت اجابته على ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان فقال عثمان ثم خلا بسعد فكلمه فقال عثمان وادار عبد الرحمن يشير فى المدة المضروبه ، يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن وافى المدينة من أمراء الاجناد وأشراف الناس يشاورهم ولا يخلو برجل الا اشار عليه بعثمان حتى اذا كانت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن مخرمه ، وأمره أن يحضر اليه الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ الزبير فقال له خد ابن عبد ضاف وهذا الامر ، قال نصيبى لعلى وقال لسعد انا وانت كلالة فاجعل نصيبك لى فاختار فقال ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلى أحب الى •

فلما صلوا الصبح جمع الرهط ومعهم الى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار والى أمراء الاجناد فاجتمعوا حتى اذا دخل المسجد فقام عبد الرحمن بن عوف فقال " أيها الناس ان الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الامصار أمصارهم وقد علموا من أميرهم وهنا ظهر الانقسام بين اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بين أنصار على وعثمان •

قال عمار بن ياسر ان أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا ، فقال المقداد ابن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا •

ورد أنصار عثمان رضى الله عنه ، فقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ان أردت أن لا تختلف •

قريشا فبايع عثمان وأيده عبد الله بن أبي ربيعه في قوله فشتم عمار بن سعد بن أبي سرح وتكلم بنو هاشم وبنو أميه فقال عمار أيها الناس " ان الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فأنى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم .

وكادت الفتنه تطل برأسها على المسلمين ، وهنا نادى سعد بن أبي وقاص عبد الرحمن بن عوف مطالبا اياه أن يفرغ قبل أن يفتتن الناس .

فقال عبد الرحمن بن عوف انى قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط علي أنفسكم سبيلا ودعا عليا ، فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنه رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فبايعه[1] وبايعه المسلمون وأصبح عثمان رضي الله عنه بعد المبايعة العامة خليفة المسلمين فقال على وجهوته جهود هر ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك .

وكان طلحة غائبا فأتى في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له : بايع عثمان . فقال أكل قريش راضيه ؟ قال نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك أن ابيت رددتها قال أتردها ؟ قال نعم قال أكل الناس بايعوك ؟ قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما قد أجمعوا عليه وبايعه[2] .

---

١) صحيح البخاري بشرح الكرماني جـ ١٤ / ٢٣٨ / ٢٣٩ / ٢٤٠ .
٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) جـ ٤ / ٢٣٨ / ٢٣٩ .

وما الذى جعل عبد الرحمن بن عوف يسكت الى هذا الحد مع أنه علم مقدما آراء الصحابة ورغبتهم فى عثمان يقول الاستاذ عباس العقاد / بينما أن عبد الرحمن بن عوف كان ينهى الجو حتى يفرغوا من الاتفاق على من يكون خليفة فان كان قد تمهل فى المسجد عامدا فقد أحسن الرويه لانه سكت حتى أيقن الحاضرون بما رواوه وسمعوه أن الفتنه موشكة أن تكثر عن نابها ان لم ينته الناس من مبايعة خليفتهم تلك الساعة وأورد ما دار فى الاجتماع بصورة اجمالية ثم قال " كأن صوته يعنى صوت المسجد كله يتكلم بلسان واحد (١) .

ويذكر الرواة أن عليا تلكأ فى المبايعة حتى ذكره عبد الرحمن بالعهد الذى أخذه على نفسه قائلا له (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) (٢) فرجع على يشق الناس وهو يقول خدعه وأيما خدعة .

ويرجعون سبب قول على هذا الى أن عمرو بن العاص كان قد لقى عليا فى ليالى الشورى ، فقال له ان عبد الرحمن رجل مجتهد وانك متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك قال ثم لقى عثمان فقال ان عبد الرحمن رجل مجتهد وليس والله يبايعك الا بالعزيمة فاقبل فلذلك قال على (خدعة) (٣) .

والحقيقة أن هذا لا يتفق وايمان على رضى الله عنه فليس من المقبول أن يتأخر على عن المبايعة مع أخذه العهد على نفسه ومع علمه بقول الله عز وجل (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله فسيؤتيه أجرا عظيما (٤) .

---

١) ذو النورين عثمان بن عفان (المرحوم عباس العقاد) / ١٦٨ .
٢) الفتح آية ١٠
٣) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) حـ ٤ / ٢٣٩ .
٤) الفتح آية ١٠

وما كان يخفى عليه أيضا قول الله عز وجل (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)[1] .

وما كان على بالذى يعتقد أن عمرو بن العاص يتآمر عليه مع عبد الرحمن بن عوف وعثمان كما أنه لا يمكن أن يفشى عبد الرحمن رضى الله عنه بأسراره فى هذا الظرف الذى يتعلق بالامة الاسلامية الى عمرو بن العاص .

ويبرى للرد على هذا الزعم عباس العقاد فيقول :

وما تخطر هذه الخواطر الا على بال الذين يتعشقون بطولة الدهاء فيضعون عمرو بن العاص بحيث يعرف سر عبد الرحمن بن عوف ويعرف الشرط الذى يعرض به الخلافة على على وعثمان ويجعل هذا يقول نعم ويجعل ذاك يقول لا كما يشاء .

ويمضى الاستاذ العقاد فى قوله : والاشبه والامثل بهم جميعا أن يكون عبد الرحمن بن عوف وغيره يشترطون ذلك الشرط بعينه على من يقبل أمانة الخلافة فى تلك الاونة ، وأن عليا وعثمان يقولان ما قالاه فى جوابه ولا حاجة الى دهاء والا ايماء من النصحاء والوسطاء[2] .

وأن اختيار عمر لهؤلاء على هذا النحو وتخطيطه وهو فى تلك الحال التى تنزف فيها دماؤه الذكيه لترينا رجلا من طراز خاص يسمو على الالام الحسية والعضوية فيعمل حتى آخر لحظه فى حياته لرضا الله رب العالمين ، فيعمل على البقاء على وحدة الجماعة الاسلامية ليظل الجو الاسلامى بعيدا عن الفتن والمنازعات التى يتعشقها أصحاب النفوس الضعيفة .

---

١) الاسراء آية ٣٤ .
٢) ذو النورين عثمان بن عفان (عباس العقاد) / ١٧١ .

كما أنه يدفع بطريق عملي المسلمين الى تطبيق مبدأ اصيل من أسس الحكم الاسلامي وهو مبدأ الشورى . ثم ان عمل عمر والحالة على هذا النحو يدعو حكام المسلمين أن يتجردوا بأنفسهم لله رب العالمين فيظلوا طوال حياتهم يعملون في هذا الاطار ويبتعدوا عن كل شبهة تضعف الثقة بهم ، فلقد أشير عليه أن يولي ابنه عبد الله بن عمر وهو لا يقل عن الستة الذين اختارهم عمر فضلا وفقها وغير ذلك[1] ولكنه لم يقبل هذا الرأي وقال كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته كما علل ذلك بقوله : لا أرب لنا في أموركم ما حملتها فأرغب فيها لاحد من أهل بيتي ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فيحسب آل عمر ان يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمسه محمد وأخذ يبين أن الحكم مغرما وليس مغنما فقال :

أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي وهو بعد هذا كله يتمنى أن ينجو كفافا لا له ولا عليه وهذا غاية ما يتمناه[2] .

وأرى أنه كان يميل الى علي عليه الرضوان وذلك لقوله قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلا أموركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار الى علي ولكنه لا يريد أن يتحملها حيا وميتا[3] .

ان عمر رضي الله عنه كما جاء في رواية عمرو بن ميمون ، أمر أن يدعوا له أهل الشورى ثم أفرد عليا وعثمان بالحديث موجها لهما النصح لانه يرى أن الخلافة ستؤول الى احدهما ولم يوجه الامة الى عثمان كما وجهها الى علي رضي الله عنه[4] .

---

١) الاصابة في تمييز الصحابة حـ٤ حرف العين القسم الاول ص١٠٨-١٠٩ (ابن حجر)
٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) حـ٤ / ٢٢٨ .
٣) نفس المرجع السابق / ٢٢٨ .
٤) الطبقات الكبرى (ابن سعد) حـ٣ القسم الاول / ٢٤٦ / ٢٤٧ .

وهذا بخلاف ما قاله بعض الباحثين من أن عمر نظر فى شأن على الى أنه لا ينبغى أن يجمع بنو هاشم بين جاه النسب (البنوه) وجاه الخلافة ويستشهد على ذلك بما روى عن عبد الله بن عباس أنه قال ما شيت عمر بن الخطاب يوما فقال يا ابن عباس ما يمنع قومك منكم وأنتم أهل البيت خاصة ؟ فقلت لا أدرى فقال ولكنى أدرى أنت فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة لم يبقوا لنا شيئا وأن أفضل النصيبين بأيديكم وما اخالهما الا مجتمعه لكم وأن نزلت على رغم أنف قريش ثم يعقب على تلك الرواية بقوله : فربما كان هذا الاعتقاد بما صرف عمر عن استخلاف على مجاراة للرأى العام[1] .

فما كان لعمر رضى الله عنه وماضيه الطويل فى خدمة الدعوة الاسلامية من لحظة اسلامه الى آخر لحظة فى حياته وصراحته المتناهية النظير ، وما اشتهر به من العدالة كما أوضحنا ذلك فى فصلى الادارة والقضاء ، أن يصرف عليا ويبعده عن حق هو له وهو بعد المقبل على ربه ، وهل غاب عن ذهن عمر أن الله يسأله اذا هو ظلم انسانا وأبعده عن حق هوله ، ولا يشك أنسان أن رجلا من أهل الجنة يمكن أن يفعل هذا ولو كان الامر كما قيل ، ما حض عمر رضى الله عنه مجلس الشورى على استخلافه لعلى رضى الله عنه فى اسلوب جد ملف للنظر فى قوله " لو ولوها الاجلح لحملهم على الطريق[2] " ويعنى بذلك على بن أبى طالب .

---

١) تاريخ العالم الاسلامى (الخلفاء الراشدون) (دكتور محمود زيادة) / ٢٠٤
٢) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول / ١٤٧ حـ ٣ .

ويتهم بعض الباحثين المحدثين ما فعله سيدنا عمر رضى الله بالقصور والنقص ازاء قضية الاستخلاف وسنذكر أدلة الاتهام التى ساتدل بها ثم نأتى عليها بالتفنيد والبحث وسنجدها تنهار أمام قوة الادلة العلمية •

يقول الاستاذ محمد احمد جاد المولى عن نتيجة ما فعله عمر رضى الله عنه فى ترشيحه لستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك أن عمر أراد أن يسد ذرائع النفاق ويجنب الامة الخلاف ولكنها وقعت فيما أراد أن يجنبها آياه • ويستدل على ذلك بما روى أن معاويه قال للحصين وقد وفد عليه أنه لم يشتت أمر المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشورى التى جعلها عمر الى سته نفر فلم يكن منهم رجل الا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه •

ويعقب على هذا جاد المولى بما يدل على الرجحا : وهذا هو رأى الحصيف المجرب الذى خلب الدهر أشطره وغلب برأيه ودهائه صاحب الحق على حقه ، وأقام دولة الاسلام على تخوم دولة الروم موطدة الاكناف قوية الدعائم[1] •

كما يتهمه الدكتور طه حسين بالقصور هو الاخر ويعيب به عليه ما فعل وذلك راجع فى رأيه كما لخصنا عنه الى ثلاثة أمور ضيق مجلس الشورى ، تعصب عمر لقريش ، جعله مجلس الشورى موقتا[2] ونقول : اذا كان عمر رضى الله عنه قد أودع أمانة الامة فى ستة من أفرادها • ما ذلك الا لأنهم خلاصة المسلمين وممن توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأنهم من المبشرين بالجنة •

---

١) انصاف عثمان (الاستاذ محمد احمد جاد المولى بك) / ١٩ / ٢٠
٢) الفتنه الكبرى عثمان (الدكتور طه حسين) / ٦٠ / ٦١ / ٦٢ •

وأن انظار الامة المسلمة لا تعدوهم الى غيرهم .

وأن الخلاف الذى قام بين مجلس الشورى لم يكن منه ارادة الدنياء أنهم كانوا أبعد من هذا كانوا يعتقدون أن رعاية الامة والقيام على أمرها أمر واجب على كل منهم ؛ وفى ذلك فليتنا فى المتنافسون وانتهى الخلاف بانتهاء المدة المضروبة وأجمعوا على بيعة عثمان رضى الله عنه .

ولو كان الامر كما تصوره هذه الاقلام ، ما انتهى الامر وحصل الاتفاق بعد هذه المدة الوجيزة ومما يدلنا على أن هؤلاء ليسوا طلاب دنيا .

نقل صاحب كتاب حياة الصحابة عن أبى نعيم فى الحلية عن عبد الملك بن شداد قال : رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم الجمعه على المنبر عليه ازار عدنى غليظ والظاهر أن ثمنه أربعه دراهم أو خمسة دراهم ورمطه كوفيه ممشقة .

وعن الحسن وقد سئل عن القاتلين فى المسجد فقال رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه يقيل فى المسجد وهو يومئذ خليفة قال ويقوم وأثر الحصى بجنبه (١) .

وروى عن عبد الله الرومى قال "كان عثمان بن عفان يلى وضوء الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم فكفوك ، قال لا الليل لهم يستريحون فيه (٢) .

وروى عن زيد بن وهب قال "خرج علينا على رضى الله عنه وعليه رداء وازار قد وثقه بخرقه فقيل له ، فقال انما البس هذين الثوبين ليكون أبعد لى من الزهو .

---

١) حياة الصحابة (محمد يوسف الكاندهلوى) حـ٢ / ٣٠٨ نقلا عن حليه الاولياء حـ١ / ٦٠ .

٢) تاريخ الخلفاء (السيوطى) / ٦٤ .

وروى أن علي بن أبي طالب خرج بسيفه الى السوق فقال " من يشتري مني سيفي هذا ؟

فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها ازارا ما بعته[1] .

وروى أن عليا كان يكنس بيت المال " ثم يصلي فيه ركعتين أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين[2] "

ومن هذه النماذج في تواضع وزهد هذين الصحابيين الجليلين وهما خليفتان ، لا يمكن أن يقول قائل بعد ذلك أن الخلاف كان من أجل الدنيا والسلطة .

ثم اذا كان عمر ضيق دائرة المجلس وحصل ما حصل من خلاف في اجتماعاتهم وهم بعد ممن لهم سوابق عظيمة في الاسلام ويكفي أنهم من المبشرين بالجنة[3] .

فماذا يكون الامر اذا وضعت القضية وطرحت على مستوى أوسع على رأي هذين الباحثين مما لا شك فيه أنهم سيكونون أشد اختلافا ، وقد رأى عمر وعاين والاسلام ما يزال غضا طريا ما حصل في سقيفة بني ساعده بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

ولما يشأ عمر رضي الله عنه أن يجعل مجلس الشورى بصفة دائمة ليراقب الامام وليختار في الوقت المناسب اذا أرادت الامة اختيار امام .

لان عمر لو فعل يكون قد ضيق ما وسع فيه الاسلام ، فالاسلام أمر المسلمين جميعا بمراقبة الامام في الوقت الذي يحتاج الامام فيه للنصح ولم يخص بذلك فئة معينة .

---

١) حياة الصحابة (محمد يوسف الكاندهلوي) حـ٢/ ٣٠٩/ ٣١٠

٢) تاريخ الخلفاء (السيوطي) / ١٨٠ .

٣) المسند (احمد بن حنبل) حـ١/ ١٦٣ تحقيق الشيخ احمد شاكر .

٤) ينظر ابن جرير الطبري حـ ٣ ص ٢٠٤ الى ٢١٠

عن أبى رقيه تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " الدين النصيحه (ثلاثا) قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولائمة المسلمين وعامتهم[1]) وينقدون الامام كذلك اذا انحرف عن المنهج الاسلامى وكان هذا هو الفهم السائد لدى الامة حاكمين ومحكومين على حد سواء كما علمهم الاسلام .

فها هو الصديق رضى الله عنه يخاطب جماهير الامة المسلمة ولم يخص فئة بعينها عند ما تولى الخلافة قال لهم " انما أنا متبع ولست بمبتدع فان استقمت فتابعونى وأن زغت فقومونى[2]) ويقول سيدنا عمر كما سبق ان بينا " أعينونى على نفسى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم[3] .

وقد قام المسلمون فى عهده بما فهموه من ضرورة مراقبته ووجه اليه النقد من الافراد وقد تحدثنا عن ذلك فى فصل الحياة الاجتماعية فى عصر عمر .

وأما ما قيل من ان عمر استهدف من هذا تنحية الانصار لتعصبه لقريش فغير صحيح .

وهذا شىء بارز فى فهم عمر للدعوة وفى سلوكه فى حكمه كما أوردنا ذلك فى حكمه وادارته وقضائه ، ونزيد فنضرب بعض الامثلة على ذلك .

قال فى احدى خطبه " فانه ليس بينى وبين احد من الناس هوادة[4] " .

أرسل الى سعد بن مالك فأمره على العراق وأوصاه فقال " يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله لا يمحوا السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن .

---

١) جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلى) الطبعة الثالثة / ٦٧ .
٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) حـ ٣ / ٢٢٤ .
٣) اخبار عمر (الطنطاويان) / ٧٧ .
٤) السابق ص ٢٧٤ .

وأن الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فـــى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة[1] .

فهل يستشف من هذا أن عمر رضى الله عنه كان يتعصب لقريش ان هذه الصـــورة اختفت في الجو الاسلامي الصادق في الصدر الاول من الاسلام .

فهذا لك علم أن عمر رضى الله عنه عمل بكل طاقات على البقاء على الوحدة الاسلاميـــة وقد أبقى عثمان رضى الله عنه على الجهاز الادارى كل في مكانه والذين كانوا قد أقرهم عمـــر وذلك تنفيذا للوصية التي وصى بها عمر من يجيء خلفا له[2] .

ذلك لان عمر رضى الله عنه أشفق من أن يتعجل الامام بعده فيغير الجهـــــاز الادارى بالعزل والتولية فيضطرب بذلك أمر المسلمين في الامصار والثغور[3] .

وكان على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى وعلى الطائف سفيان بن عبدا للـــــه الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منبه حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وعلى الجند عبد اللـــه بن أبي ربيعه ، وعلى الكوفه المغيرة ابن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الاشعرى وعلى مصـــر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان وعلى الجزيـــرة وما ولاها عثمان بن أبي العاص الثقفي[4] .

وظل هؤلاء سنة في أعمالهم فلما تغير الحال واستدعى الامر تغيير الجهـــــاز الادارى أخذ سيدنا عثمان وقد أصبح المسئول الاول عن أمر الامة المسلمة ، فعزل مـــن رأى من الصالح العام .

---

١) البداية والنهاية (ابن كثير جـ ٧ / ٣٥ .
٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٤/ ٢٤٤ .
٣) الفتنة الكبرى عثمان (الدكتور طه حسين) / ٧٣ .
٤) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ ٤ / ٢٤١ .

عزله وولى من رآى من الخير توليته[1] .

وأخذ يرسل بالمنهج السياسى الذى يعتزم السير عليه ، فأرسل الى عماله على الخراج والى الولاة والى القادة العسكريين كما أرسل كتبا لتقرأ على عامة المسلمين .

روى ابن جرير الطبرى نصوص هذه الكتب فى تاريخ الرسل والملوك المتضمنة للمنهج السياسى يقول لعماله فان اللمأمر الائمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة ، وأن صدر هذه الامة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباه ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فاذا عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء الا وأن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة .

فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تتنابون ، فاستفتحو عليهم بالوفاء أما رسالة الى أمراء الجند فيقول فيها :

فانكم حماة الاسلام وزادتهم وقد وضع لكم عمر مالم يضع عنا ، بل كان عن ملأمنا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون فانى أنظر فيما الزمنى الله النظر فيه والقيام عليه .

والى القائمين على الشئون المالية : يقول لهم :

فان الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل الا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والامانة الامانة .

---

[1] الفتنة الكبرى عثمان (الدكتور طه حسين) / ٧٤ .

قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم .

واما رسالته الى عامة المسلمين .

فانكم انما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أموركم فان أمر هذه الامة صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم / تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الكفر في العجمة فاذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا[1]

ويلاحظ من هذه الكتب التي أرسلها سيدنا عثمان أنه اراد أن يحقق مفاهيم الدعوة الاسلامية في نفوس الامراء والقائمين على جمع المال وقادة الجيوش المسلمة وعامة المسلمين ، وذلك بأن أوضح :

١ــ للامراء بأن لا يستغلوا موضعهم الاجتماعي بين الناس فيأكلون أموال الناس بالباطل فانما يجب عليهم في سياستهم للناس أن يسوسوهم بالعدل فيعطوا كل ذي حق حقه ويوفوا بما التزموا به من عهود .

٢ــ وطلب من قادة الجيوش الاسلامية بأن يظلوا متمسكين بالقيم والمبادئ الاسلامية حتى يكونوا دائما وأبدا مثلا عليا لجنودهم وحذرهم من الخروج على هذا المنهج الاسلامي لانه بذلك سيضطر الى عزلهم ، لانه التزم بأن يسير على منهج القرآن والسنة وسيرة الشيخين وعمر قد رسم هذا لامراء الحرب وذلك بمحضر من الصحابة ، والمهاجرين والانصار ، وكان هو أحدهم وشارك في ذلك بالرأي والمشورة[2] .

٣ــ وبين للقائمين على جمع الاموال أن للسبحانه وتعالى لا يقبل الا من يجمع

---

١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) حـ ٤ / ٢٤٤ / ٢٤٥ .
٢) النهج الكبير لعثمان (د. محمد حميد) / ٧٢ .

بطريق مشروع وأن من أخص خصائص القائم على أمر المال أن يكون أمينا ، وأن عليهم المحافظ على اليتيم والوفاء بما التزموا به مع المعاهدين لان الله يدافع عن اليتيم والمعاهد اذا ظلما .

٤ـ وبين لعامة الامة أن السر الوحيد فى بلوغهم ما بلغوا هو التمسك والاقتداء بمنهج الكتاب والسنة واذا كان الامر كذلك فيجب عليهم البعد عن الابتداع وترك التكلف لان ذلك سيحول بينهم وبين ما صاروا اليه ومن دلائل ذلك تكامل النعم الذى يبطر النفوس ويدفعها الى الترف ويصدها عن الاجتهاد والعمل ، ويصرفها الى الفراغ والكسل فتفتر حيويتها وتخور عزائمها ويلوذ أولادهم من السبايا(١)

ومما يلفت النظر أن عثمان رضى الله عنه حرص فى خطابيه الى الولاة والى عمال الخراج على لفت النظر الى الحفاظ على أهل الذمة فى حدود ما رسم الله سبحانه بينهم قد ذاقوا الويلات من ملوك فارس وقياصرة الروم مما يشد انتباههم الى سماحة وانسانية هذه الدعوة الاسلامية ـ وكان عثمان رضى الله عنه يحكم الدولة على منهج الدعوة الاسلامية فى الحكم الاسلامى وذلك بما بينت أنه لابد أن يقوم على العدل والشورى كما بيناه فى حكومة عمر رضى الله عنه وقد توافر فى حكمه القاعدة الاولى وذلك بارز فى منهجه السياسى السابق الذى أرسله الولاة وعمال الخراج وكان مطبقا بالفعل وأما عن التهم التى وصلت الينا عنه فى فصل أسباب الفتنة فقد أوضحنا فيها أنها غير صحيحة وقتل رضى الله عنه ولم يظلم انسانا كائنا ما كان عن ابن عمر قال " ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة ، فمر رجل فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما قال فنظرت ، فاذا عثمان بن عفان(٢)

وثبت أنه لم يكن مستبدا بالحكم يضرب بآراء الناس عرض الحائط بل كان يضع الامر شورى بين المسلمين وينصاع للرأى اذا رأى فى ذلك صلاح له وللمسلمين .

---

١) عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ٢٠٦ الطبعة الاولى .
٢) المسند (الامام احمد بن حنبل) جـ ٨ حديث رقم ٥٩٥٣ (تحقيق الشيخ شاكر)

ونضرب مثالين لنكشف القناع عن هذا الجانب في الحكم •

فنسخ المصحف الشريف على لغة قريش حفاظا على الدعوة الاسلامية وعلى وحدة المسلمين جاء نتيجة لرأي احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وذلك أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ورأى منهم اختلافا وافتراقا فلما رجع الى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[1] •

ولما ظهرت بوادر الشر والفتنة في أثناء حكمه وبلغ ذلك سيدنا عثمان •

عقد اجتماعا حضره معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وعبد الله بن عامر ليشاورهم في أمره فلما اجتمعوا عنده قال لهم : ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم والبوا الى أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علي[2]

بهذا علم أن حكمه رضي الله عنه كان يظهر فيه القاعدتين الاسلاميتين •

---

١) تفسير القرآن العظيم) (ابن كثير الدمشقي) جـ ٤ في ذيله / ١١ •
٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) جـ٤ / ٣٣٣ •

وأخذ سيدنا عثمان يراقب الجهاز الاداري مراقبة تامة فاذا فعل فرد ما يستدعي عزله عزله وولى من هو أصلح منه في رعاية المسلمين .

وليس هذا فحسب وانما كان يعاقب المنحرف منهم ويقيم حدود الله عز وجل على من تثبت عليه التهمة والادانه ولو كان من أقربائه وخاصته وهذا يدل على نزاهته في الحكم .

وذكر ابن جرير الطبري ما وقع بين سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعزل سعد عن الولاية والسبب الذي من أجله كان العزل وتوليه الوليد بن عقبة بدلا من سعد

والروايات التي ذكرها في هذا الشأن منها ما يقبل ومنها مالا يمكن قبوله لبعده عن الحق والصواب وذلك لمنافاته وعدم اتفاقه مع أخلاق هذه الصحابيين الجليلين .

استعمل عثمان رضي الله عنه في صدر خلافته سعد بن أبي وقاص على الكوفة تحقيقا لوصية عمر رضي الله عنه في حديث الشورى وان تولوا سعدا فأهلها هو فليستعن به الوالي فاني لم أعزله عن خيانة ولا عن ضعف[1]

فاستقرض من عبد الله بن مسعود وكان خازنا على بيت المال وضربا لذلك اجلا فلما حان الاجل طلب من سعد ما عليه نحو بيت المال ولكنه لم يتيسر له فاحتدم بينهما النقاش والجدل واستعان كل منهما بالمؤيدين له فانقسمت الكوفة الى قسمين[2] .

غريب أن يقع هذا من هذيه الصحابيين فيستعين كل منهما على الاخر وكيف غاب عن ذهن عبد الله بن مسعود .

---

١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) جـ ٤ / ٢٢٦ .
٢) المرجع السابق / ٢٥١ .

وهو من هو في فقهه قول الله عز وجل (وأن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم أن كنتم تعلمون[1] .

ويذكر الطبري رواية أخرى ينتهي سندها الى قيس بن أبي حازم .

تتضمن أن ابن مسعود طلب من سعد سداد الدين واستعمل كل واحد منهما أسلوبا لا يمكن تصديقه فهذا يعيره بأمه وذاك يعيره بأنه كان عبدا من هزيل[2] .

وذلك لان سعد بن أبي وقاص هو صاحب السابقة المعروفة في الاسلام حتى أنه كان يقول " والله لقد كنت أراني ثلث الاسلام ، يريد أنه أسلم بعد أبي بكر فكان ثالث ثلاثة أولهم النبي صلى الله عليه وسلم وثانيهم أبو بكر أو أنه أسلم بعد ابي بكر وزيد بن حارثة فكان ثالث ثلاثة سبقوا بالاستجابة الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد فيما اتفق عليه الرواة والمحدثون أول من رمى بسهم في سبيل الله حين خرج في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الى بطن رابغ[3] .

وسعد هو الذي فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه يوم أحد ولم يجمع لاحد بين أبويه غيره وذلك حين ثبت مع الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل ينضح عنه بسهامه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له " ارم سعد فداك أبي وأمي[4] .

وأما عبد الله بن مسعود فكان من السابقين في الاسلام ومن الذين لهم فضل السبق في ميدان اقراء القرآن الكريم بمكة .

---

(١) البقرة آية ٢٨٠ . (٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) جـ٤/ ٢٥٢ .
(٣) الطبقات الكبرى (ابن سعد) القسم الاول حـ ٣/ ٩٩ ، صحيح البخاري بشرح الكرماني حـ ١٥ ص ٩/ ١٠ .
(٤) صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) حـ٤ / ١٨٧٦ ، الطبقات الكبرى (لابن سعد) القسم الاول حـ ٣/ ١٠٠ سيرة ابن هشام حـ٣/ ٦٠٠ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

عن القاسم بن عبد الرحمن قال " كان أول من أفشى القرآن بمكة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود[١] .

ومن الذين قاسوا العذاب في سبيل العقيدة ومن أجل هذا هاجر الهجرتين الى بلاد الحبشة كما هاجر من مكة الى المدينة ، وكان مجاهدا من الطراز الاول لم يتخلف عن غزوة واحدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " شهد بدرا وضرب عنق الطاغية أبي جهل وشهد احدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروى بأنه كان من أحسن الناس خلقا وأرفق تعليما وأحسن مجالسة وأشد ورعا .

ويصفة سيدنا علي بن أبي طالب بأنه قرأ القرآن فاحل حلاله وحرم حرامه ، فقيه في الدين ، عالم بالسنة[٢] .

فمن اتيح له أن يكون ثالث ثلاثة في الاسلام وأول رام بسهم في سبيل الله وأن يفديه الرسول صلى الله عليه وسلم بابيه وأمه ، وأن يرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله في العشرة الذين بشرهم بالجنة ، وأن يقسم دولة الفرس ، وينتصر يوم القادسية وأن يحضره عمر الشورى ويرشحه للخلافة[٣] ومن أتيح له أن يكون من السابقين في الاسلام وأول من أفشى القرآن فجاهد جهادا عظيما في سبيل نشر العقيدة ، وأن يكون أحسن الناس خلقا وأرفق تعليما ، وأحسن مجالسة وأشد ورعا ، وأن يكون من الذين قرأوا القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه عالما بالسنه .

فلا يمكن بعد أن بينا أن ينزل كل منهما الى درجة أن يستنقص كل منهما الاخر .

---

١) المسند (الامام احمد بن حنبل) حـ١/ ٣٧٩ .
٢) الطبقات الكبرى (ابن سعد) حـ ٣ القسم الاول ص ١٠٨/ ١١٠ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (ابن الاثير) حـ ٣ / ٣٨٥/ ٣٨٦ ، الاصابه في تمييز الصحابه (ابن حجر) حـ ٤ حرف العين القسم الاول / ١٣٩ .
٣) الفتنه الكبرى عثمان (دكتور طه حسين) / ٩٢ .

ولما رأى عثمان على ما ذهبنا اليه من صحة تصديق الرواية الاولى ما حصل من خلاف وما أدى اليه من تحزب داخل بنيان المجتمع الكوفى •

فرآى عثمان رضى الله عنه أن هذا لا يحسن الصلح وأن ينزع من الولاية من ظهر له أن نزعه أقرب الى السياسة الحكيمة واستقرار الامور ، فعزل سعدا وولى بدلا منه الوليد بن عقبة وليس فى هذا العزل ما يمس سعدا •

ويستدل الشيخ صادق عرجون على سداد هذا الفعل بمنهج النبى صلى الله عليه وسلم والصاحبين من بعده وهى السياسة المتفق على أنها أحكم سياسة فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رد أبا ذر رضى الله عنه ولم يرض أن يوليه اشتضعافا له عن تحمل أعباء الامارة •

روى عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملنى ؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامه خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها[1] •

والصديق رضى الله عنه لم يعزل خالد بن الوليد رغم الحاج سيدنا عمل فى ذلك وقد بنى رأيه على قوته على عمله ويقول فى ذلك " لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين) رغم وجود من هو أفضل منه من الصحابه رضوان الله عليهم[2] •

وعمر بن الخطاب يولى الرجل ويترك من هو أفضل منه كما سبق القول فى ذلك فى فصلى الحكومة والادارة فى عصر عمر •

---

١) رياض الصالحين (النووى) تعليق رضوان محمد رضوان / ٢٨٨ طبع بيروت نقلا عن صحيح مسلم •

٢) عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١١١ / ١١٢ •

وعثمان فى توليته الوليد بن عقبة ليس بدعا فى ذلك كما قد رأينا فقد كان عامـــلا لعمر بن الخطاب على ربيعة بالجزيرة وكانت سيرته أحسن السير فقد كان محبوبا لدى أهـل الكوفه رفيقا بهم وقد بقى على هذا النحو خمس سنين وليعلى داره باب ، وله ماضر ظيم فى خدمة الدولة الاسلامية فلقد أعطى الدروس العملية لمن نقضوا عهودهم ومواثيقهم مـــع المسلمين ، لتظل الدولة الاسلامية قوية الجانب ، ففى عهده انتقضت أزربيجان ، وكانت ولاية تابعة للكوفة فغزاها حتى استسلمت وصالحت على ما كانت صالحت عليه فى خلافـــة سيدنا عمر وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات حتى واضطدد دعائم سلطان الاسـلام عليهم ثم لوى عنانه الى أهل أمر مهنية فرماهم بقائده سلمان بن ربيعه الباهلى فى اثنى عشر الفا حتى شتت شملهم وكتب اليه عثمان أن يمد أهل الشام بجهز يقوده رجل ذو خبرة ومهارة فأمدهم بثمانية آلاف بقيادة سلمان الباهـى[1] .

ويعلق الشيخ صادق عرجون على سلوك الوليد هذا ، فيقول :

وهكذا ظل الوليد مدة ولايته على الكوفة غازيا مجاهدا يسوس الناس بحزم وحكمـــة وقوة الى أن شاعت عنه قالت السوء فى الخمر وزيادته بالناس فى صلاة الصبح وجاء الخـــبر الى عثمان فلما ثبت عنده بالطريق الشرعى عزله وأقام عليه الحد بمحضر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وهذا من أظدق الشواهد على أن عثمان رضى الله عنه لا تأخذه فى الحق لومـــة لائم ، يقيم شرع الله عز وجل بصرف النظر عن كل اعتبار يخالفه من قرابة أو الوضع الاجتماعى الخاص .

---

١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) حـ ٤ / ٢٤٦ / ٢٤٧ / ٢٤٨ .
٢) عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون / ١٠٩ ، البخارى بشرح الكرمانـى حـ ١٤ / ٢٣٢ .

كما أن تنفيذ الشريعة على هذا النمط لهو دعوة صادقة الى الله عز وجل •

وذلك لان المفكرين للدعوة الاسلامية اذا رأوا أميرا أقترف اثما وجره خليفة المسلمين الى ساحة القضاء كأى فرد عادى فى الدولة ثم لا تشفع له قرابته وخدماته السابقة من أجل اعلاء كلمة الحق ، فلا بد أن يملك منافذ الاعجاب فيهم وقد يدفعهم اذا نظروا الى هـذا وأمثاله من غير تعصب الى هذه الدعوة الاسلامية ، فيجذبهم الى الله رب العالمين •

وسنعود بالكلام والبيان فيما نسب الى الوليد بن عقبة من فهم ونبحثها بحثا مجردا عن الهوى معتمدين فى ذلك على الحقائق ، حتى يعلم أن اختيار عثمان رضى الله عنـه للجهاز الادارى كان على علم بالرجال الذين يصلحون للقيادة •

ومن حسن سياسته رضى الله عنه ، أنه كان يحمل ما وسعه العمل على ازالـة اسباب الخلاف والنزاع فى الولايات ، فاذا سأءت العلاقة بين المحكومين فليس أمام عثمـان من سبيل الا عزل الوالى ، وتوليه من ترضاه نفوسهم ، وذلك لتهدأ النفوس وتسكـن العواصف وتخمد الفتن ، وذلك فى فعله حينما طلب أهل العراق عزل سعيد بن العاصى الذى كان خلفا للوليد بن عقبة ، وتوليه من اختاروه لانفسهم وذلك هو أبو موسى الاشعرى[1]

كما أن المصريين لما طالبوا بعزل عبد الله بن سعد وكان قد ولاه حاكما علـى مصر بدلا من عمرو بن العاص وذلك لما بلغه عن عمرو من الخروج عن جادة الصواب وما كـان عليه عبد الله من رجاحة العقل •

---

(١) انصاف عثمان بن عفان (محمد احمد جاد المولى) / ٦٤ •

والشجاعة النادرة ظهرتا فى انتصاراته بأفريقيه وفى بلائه الحسن فى تكوين أسطول قوى للمسلمين[1] . وعثمان رضى الله عنه وأن كان له حق التغيير ، لم يستعمل هذا الحق الا تحت الظروف التى حتمت التغيير كما وجد رغبه والحاح أهل تلك الاقاليم[2] .

ومن دقته فى ادارة الحكم ، أن جعل رضى الله عنه اجتماعا سنويا للعمال ليسمع منهم اخبار الولايات ويبلغهم مضافهة ما يريد تبليغه من التعليمات ، وقد جعل للشكايات وقتا يفصل فيها وذلك عند الاجتماع السنوى وبذلك يستطيع أن يتحقق من صحة الدعوى وبناء عليه يعطى من سلب حقا هو له وطلب من المسلمين أن يحتفظوا بالعزة التى كتبها الله لعبادة المؤمنين .

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) لانه مع الضعيف على القوى ما دام مظلوما[3] .

ويختلف سيدنا عثمان عن عمر رضى الله عنهما فى بعض أساليب الادارة ولكل منهما وجهة نظر يقصد بذلك الخير للمسلمين .

فالصحابه رضوان عنهم تطلعوا الى خصب الاراضى فى العراق والشام وهفت نفوسهم الى الانسياح فيها والتمتع بخيراتها الكثيرة والانقطاع اليها ولكن عمر رضى الله عنه وقف دون تحقيق رغباتهم .

على أنه أجاز الخروج ولكن على شرط الحصول على اذن سابق ولاجل معين .

وهل عمر رضى الله عنه بحجره هذا يسلب الناس حريتهم ، وهى من طالب بها الاسلام ؟

لعل العلة فى ذلك وأن كانت هى الحقيقة : أن عمر رأى بثاقب فكره وبعد نظره .

---

(١) المرجع السابق / ٦٤ .
(٢) وداعا عثمان (الاستاذ خالد محمد خالد) / ١٣٢ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) حـ ٤ / ٣٩٧ .

ان هؤلاء لو سمح لهم أن ينطلقوا الى هذه الاماكن من غير قيد ولا شرط ، سيعيشون عيشة مترفة وينقطع اليهم الناس وهم حملة الدين وقد تتلمذوا مباشرة على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلهم مكانتهم ، وتتكون بذلك الجماعات والفرق ، وقد يكون عند هذه ما لم يكن عند الاخرى وتتعصب كل جماعة الى من يتلقون العلم عنه ، وبذلك تتفرق وحدة المسلمين فيضعف كيانهم فالحرية التي قد يترتب عليها هذا الضرر ولو ظنونا ليست حرية .

روى عن الشعبي قال : لم يمت عمر رضي الله عنه حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فاعتنم عليهم وقال أن أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد ، فان كان الرجل يستأذنه في الغزو ، وهو من حبس بالمدينة من المهاجرين ولم يفعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ويعلل ذلك رضي الله عنه بقوله : فيقول :

قد كان في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وغير لك من الغزو اليوم الا ترى الدنيا ولا تراك .

أما عثمان رضي الله عنه في سياسته معهم فقد خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكان أحب اليهم من عمر[1] .

وهذا اجتهاد من عثمان رضي الله عنه وهو حسن النية ولا شك ، فلعله رأى أن الاكثار من الصحابه والسماح لهم بالذهاب الى البلاد المفتوحه سيركز دعائم الخلافة ويقضي على الفتن .

---

١) المرجع السابق / ٣٩٧

لو أرادها مريد ، هذه ناحيـــــة .

ومن ناحية أخرى أراد بذلك أن هؤلاء سيكون كل واحد منهم مدرسة يعلـــــم الناس فيها أوامر دينهم ويجههم بالوجهة الصالحة التي يرتضيها الله ورسوله ، فعـــــن هذا الطريق يكون قد خدم الدعوة الاسلامية كدين ودولة .

وان كانت النتائج ليست على حسب ما رأى فليس الذنب ذنب عثمان فهو لا يعلـــم الغيب ولم يدخر وسعا في العمل على مصلحة المسلمين .

وكان أسلوب اللين هو الطابع العام في سياسة عثمان رضي الله عنه ، وهذا اللين لا يعاب عليه عثمان مادام لم يعطل حدا من حدود الله عز وجل أو يظلم انسانـــــا ويهضمه حقه ، أو وصلت اليه شكايه ولم يبت فيها بل ثبت أن عثمان رضي الله عنه مع لينـــه وطيبته كان يعطي أصحاب الحقوق حقوقهم ويقيم حدود الله عز وجل على من تثبت ضده الادانة والتهمة . وهذا يدعونا الى كشف القناع عن قضية ربما تولد عنها شبهة أن عثمـــان رضي الله عنه لم يقم شريعة الله عز وجل وبذلك تكون هناك تهمة قد الصقت به زورا وبهتانـــا وهي قضية قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب أبنة ابي لؤلؤة فيروز المجوس وجفينة النصرانـــي والهرمزان .

وكان هذا قبل أن يتولى سيدنا عثمان امارة المؤمنين ، فبعد أن تمت البيعـــــة له من جميع المسلمين أخذ على عاتقه التحقيق في تلك القضية .

فاستشار المسلمين في ذلك فاختلفوا في الامر وانقسموا الى فريقـــــــين ، ففريق منهم يرى قتل عبيد الله بن عمر قصاصا .

والفريق الاخر يرى وهو يمثل الاغلبية عدم قتل عبيد الله بن عمر .

واستندوا في ذلك استنادا لا أرتضيه ليكون دليلا على البراءة وذلك أنهم قالوا أن قتلة معناه أن يتبع الابن أباه في القتل ، وكان لعمرو بن العاص رأي لا أظن أنه يقوى على أن يكون دليلا على البراءة هو الاخر . قال :

يا أمير المؤمنين أن هذا الامر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان فأعرض عنهم[1] .

ولا أعتقد أن مثل هذا التحايل من عمرو يجعله دليلا على ما ذهب اليه ، والا كان معنى ذلك أن يتربص الافراد والجماعات للقتل غرمائهم عند موت أمام لانهم بذلك يأمنون من العقاب وامضاء القانون عليهم .

ولنضع هذه القضية على بساط التحقيق العلمي تبرأة للذمة ووضع الحق في نصابه فلننظر في تاريخ الاشخاص الذين وقع عليهم جريمة القتل لان له مدخلا في قتلهم فالهرمزان من احد البيوتات السبعة في فارس وكان شهد القادسية مع الفرس فانهزم بهزيمتهم وصالح المسلمين ولكنه نقض ذلك أكثر من مرة ، حيث وقع أخيرا أسيرا في أيدي المسلمين على شريطة أن ينزل على حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما أتي به الى عمر رضي الله عنه قال للهرمزان ما عذرك وما حجتك في نقض العهود والمواثيق مرارا فحتال الرجل وقال أخاف .

---

١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ ٣ القسم الاول / ٢٥٩ .

أن تقتلني قبل أن أخبرك فأعطاه الامان حتى يشرب فامتنع الرجل عن الشرب حين حضر اليه الشراب وقال لا حاجة لي في الماء انما أردت بذلك أن أستأمن به فقال له عمر انى قاتلك فقال قد آمنتني فقال كذبت وشهد له بذلك أنس وأسلم الهرمزان(١)

هذا هو ماضي الرجل والظرف الذي أسلم فيه ، فقد تبين أنه لا يعرف الوفاء في العهود والمواثيق ولا للكلمة وزنا ولا للشرف موضعا ، ينفض السلح مرة ومرة .

كما وضح أن الرجل كان يجيد فن التحايل واللف والدوران فلما رأى أنه أحيط به وأنه لن يفلت من يد العدالة نطق بالاسلام ليحفظ على نفسه الحياة ، وهذه الصورة التي رأيناها لا تدل الا على معنى واحد وهو أن اسلام الرجل ليس عن اقتناع .

وأما حقيقة فكان رجلا نصرانيا حقودا على الاسلام والمسلمين لما رأى من اتساع رقعة الدولة الاسلامية حتى شملت معظم بلاد فارس والروم ومصر .

وهذا لا يكفي في اثبات الجريمه ضدهما وانما هي عوامل مساعدة فقط ، وهناك شاهدي عدل لا يتطرق الشك في شهادتهما شهدا بما يدل دلالة قاطعة على تواطؤهما ضد الاسلام ودولة الاسلام في شخص سيدنا عمر .

روى ابن سعد بسنده الى سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر : قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي ، فلما بغتتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان .

---

١) أشهر مشاهير الاسلام (رفيق بك العظم) المجلد الاولى حـ ١ صـ ٣٢٣/ ٣٢٥/ ٣٢٧/ ٣٢٩.

ونصابه وسطه فانظروا ما الخنجر الذى قتل به عمر فوجدوه الخنجر الذى تحت عبد الرحمن بن أبى بكر[1] .

ثانيا : أن أبا هريره علم بهذا الائتمار والتدبير المبيت وأخبر سيدنا عمر بالامر ولكن عمر لم يلتفت الى قول أبى هريرة لانه يقوم بالعدل بين الناس مسلمين ومعاهدين .

ويقول الشيخ عرجون : مبينا أن الخلفاء لا يأخذون الناس بالظن وضرب الامثلة بعملهم : وكانت سنة الراشدين أن لا يأخذوا أحدا بشبهه أو ظن خصوصا فيما يتعلق بأشخاصهم ، وقد علمنا أن عثمان رضى الله عنه أبا قتل الثائرين بل قتالهم ودفعهم وأبا على قتل ابن ملجم ، وقد قيل فيه قبل أن يحدث ما أحدث[2] .

ومما يدلنا على أنهم كانوا يتناجون لارتكاب تلك الجريمة أن عبد الرحمن بن أبى بكر حينما مر عليهم سقط الخنجر من أيديهم ، فلو كانت وقفتهم للتناجى فى غير تلك القضية لما حصل ما حصل من الخوف والفزع وسقوط الخنجر .

ثم أنه لو كان هناك خناجر بهذه الصفة لما سكت الصحابة رضوان الله عنهم ولدفعوا تلك الشهادة وهم لا يسكتون على منكر ما يوضح على أن هذا الخنجر صنع للقيام بهذه المهمة .

كل هذه الادلة يعضد بعضها بعضا على أن هؤلاء اشتركوا فى جريمة قتل سيدنا عمر رضى الله عنه مما دفع بعبيد الله بن عمر بن الخطاب الى قتلهم .

على أنه قد يكون هناك مأخذ عليه حيث قتل من لا جريرة له ولا ذنب ذلك قتله ابنة أبى لؤلؤة والمعروف فى الاسلام أن الانسان لا يؤاخذ بذنب ارتكبه غيره مهما كانت صلته به على أنه يمكن أن ندفع هذا المأخذ .

---

١) الطبقات الكبرى (ابن سعد جـ ٣ القسم الاول / ٢٥٨ .

٢) [illegible]

حينما ننظر الى ظروف القاتل وحالته النفسية والفضلية وسبب وقوع الجريمة التي قتل فيها والده من غير مثقال ذرة من ذنب •

روى التاريخ حالة عبيد الله وقت أن طعن المجرم أباه •

عن محمود بن لبيد قال " ما كان عبيد الله يومئذ الا كهيئة السبع الجروب وجعل يعترض العجم بالسيف حتى حبس يومئذ في السجن •

مما يجعلنا بعد هذا التفضيل أن نقول أن عثمان رضي الله عنه لم يعطل حدا الله لا دينا ولا سياسة •

وروى عن سالم بن عبد الله أنه قال " لما ولي عثمان لان لهم ، فانتزع الحقوق انتزاعا ولم يعطل حقا ، فأحبوه على لينه فأسلمهم ذلك الى أمر الله عز وجل[1] •

ولين عثمان هذا ليس معناه أنه كان ضعيفا الشخصية جبانا ، ولكن بعد التحقيق العلمي يظهر لنا قوة الشخصية العثمانية جسديا ومعنويا ، وقد وضع تلك القوة في خدمة الدعوة الاسلامية وطاعة لله ورسوله •

يحدثنا التاريخ أن عثمان رضي الله عنه قد آمن بالدعوة الاسلامية مبكرا وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم بن أبي الارقم[2] ولم يبال بالنتائج رغم علمه بالنتائج التي ستترتب على اسلامه لو علم أهله وعشيرته ، ودخل فعلا محنه قاسية بسبب هذا فقد وصل بنأ اسلامه الى عمه الحكم بن ابي العاص بن أمية فأوثقه رباطا ، وقال أترغب عن ملة أبائك الى دين محدث؟

---

١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبري) حـ ٤/ ٤٠٠ •
٢) الطبقات الكبرى (ابن سعد) حـ ٣ القسم الاول / ٣٧ •

والله لا أحدك أبدا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين فلم تلن قناته ولم تضعف عزيمته بل ظل محتفظا بايمانه ويقينه ونطق بكل شجاعة بقوله " الله لا أعده أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[1] .

وكان بطلا لا يهاب ميادين القتال والحرب خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته ما عدا قليل جدا فكانت له مندوحة في التخلف ، كان في حاجة الله ورسوله ، ولم يكن ذلك منه فرارا من الميدان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرآى قوما جلوسا فقال من هؤلاء قال هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قيل عبد الله بن عمر فأخذ يسأله :

هل تعلم أن عثمان فر يوم احد قال نعم ، قال تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها قال نعم قال تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر وأخذ ابن عمر يبين العلة في ذلك : فقال أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ان لك أجر رجل من شهد بدرا وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه[2] .

فعلم أن تخلفه ليس تقصيرا منه أو أنه ضعف عن الجهاد في سبيل الله ، بل هو كما قلت في طاعته ورسوله .

---

١) المرجع السابق / ٣٨ .

٢) البخاري بشرح الكرماني حـ ١٤ / ٢٣٣/٢٣٤ ، المسند (الامام احمد بن حنبل) حـ ٨ / ٥٧٧٢ تحقيق احمد شاكر .

وظلت الشجاعة ملازمة له حتى آخر لحظة فى حياته .

لقد تجمع دعاة الفتنه والتفرقة من الامصار حول بيت سيدنا عثمان رضى الله عنه مزودين بالاسلحة ارادة قتله ليصلوا الى مخططهم وأهدافهم وسنعود الى تفصيل فى بيان ذلك المخطط . والصحابه رضوان عنهم لم يكن ليتركوا خليفتهم ازاء هذا الحصار فوقف كثير منهم ومعهم أبناؤهم من المهاجرين والانصار أمام بيته ليدافعوا عنه ويذودوا عن سلطان الله عز وجل ممثلا فى خلافته الراشدة ولكن عثمان رضى الله عنه نهاهم عن الاشتباك معهم وقتالهم وعزم عليهم بذلك يقول الشيخ صادق عرجون نقلا عن العقد الفريد :

أن عبد الله بن عامر بن ربيعه قال كنت مع عثمان فى الدار فقال أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمعا وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه فألقوا أسلحتهم :

وعن قتادة أن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار فقال " أن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار : فقال : ان هذه الانصار بالباب تقول " أن شئت كنا أنصار الله مرتين ؟ قال عثمان لا حاجة لى فى ذلك ، كفوا عن نافع أن عبد الله بن عمر ليس درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه عثمان أن يخرج ويضع سلاحه ويكف ففعل[1] .

فهذه شجاعة يندر وجودها الا فى القليل من الرجال على غرار عثمان رضى الله عنه ، ولو لم يكن بهذه الصفة التى تكاد تبلغ حدا لقمة لا تطلع من هول الموقف ، وكانت أمامه طرق شتى تبعد عنه شبح الموت لو أراد ، فعلى الاقل لاذن للرجال الذين أرادوا الدفاع عنه فى الدفاع ولكنه لم يقبل هذا ولا ذاك وظل ثابت الجأش قوى اليقين يجيل النظر فى كتاب الله ، وفاضت روحه الطاهرة وفى يده كتاب ربه فلقيه راضيا مرضيا ولبى دعوة نبيه فى الافطار عنده[2] .

---

١) عثمان بن عفان (صادق عرجون) / ٩٤ .
٢) المسند (الامام احمد بن حنبل) (شرح أحمد شاكر) حـ ١ / ٥٢٧ .

أسباب الفتنة فى عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه
وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية

وهو يشتمل على الآتى :

١ ـ الرد على اتهامات وجهت الى عثمان رضى الله عنه وبيان ان المقصود من هذا انما هو حرب الدعوة الاسلامية .

٢ ـ عظمة عثمان رضى الله عنه وتمسكه بالدعوة الاسلامية .

لقد أكثر المنحرفون الطعن على سيدنا عثمان رضى الله عنه كذبا وزورا وبهتانا ، مع انه سار سيرة طيبة متأسيا فى ذلك منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة — وسيرة سلفيه العظيمين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

اتهم رضى الله عنه بمحاباة بنى أمه أهله وعشيرته ، وأنه يسلك سلوكا غير صحيح ازاء الاموال العامة ، وأنه لم يكن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بل قسا عليهم وأنه عاملهم معاملة لا تليق بهم ، وأنه ابتدع فى الدين ما لايقره الدين فكل هذ ، المآخذ نريد ان نتعرض لها ونضعها على بساط البحث العلمى متجردين عن الهوى والعصبية تبرأة للذمة وانصافا للحقيقة خصوصا وانها موجهة الى صحابى جليل أمرت الامة الاسلامية على لسان رسولها صلوات الله عليه بتتبع منهجه والسير على خطاه هو وأصحابه الابرار والاطهار .

عن العرباض بن سارية أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له اعهد الينا بعهد فقال "عليكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان عبدا حبشيا ، وسترون من بعدى اختلافا شديدا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم والأمور المحدثات ، فان كل بدعة ضلالة (١)

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ١ صـ ١٦ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، كنز العمال جـ ١ / ١٥٤ .

فلننظر الى قضايا عزل كبار وتوليه اقاربه بدلا منهم .

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن الخلاف الذي نشأ بين الصحابيين الجليلين وهما سعد بن أبي وقاص والي الكوفة وعبد الله بن مسعود خازن بيت المال في الكوفة أيضا .

مما حدا بعثمان الى العمل على ازالة هذا الخلاف وحتى لا تتفرق الولاية شيعا وأحزابا ويقطع على دعاة الفتنه ما يريدونه . فرأى بثاقب فكرة أن ذلك لا يتأتى الا بعزل سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه وبقاء عبد الله بن مسعود خازنا على بيت المال وتوليه الوليد بن عقبة . ومن المفكرين المحدثين مثل الدكتور طه حسين من لا يرتضي هذا ، يرى أن سبب عزل عثمان سعدا عن ولاية الكوفة وتولية الوليد بن عقبه أن بني اميه وآل أبي معيط كانوا يتمجلون الولاية ويحتالون في سبيل الوصول اليها ويلحون على عثمان في أن يمهد لهم الطريق ، واستدل على ما ذهب اليه من فهم بدليلين :

أ ـ ان عثمان أعطى احد اقاربه مقدارا ضخما من بيت المال فلما اعترض على ذلك خازن بيت المال غضب عليه ونهره وأخبره انه لا حق له في الاعتراض ولكن الرجل لم يقبل ذلك واعتزل ولزم بيته فاذا كان عثمان فعل ذلك فهو على رأي طه حسين لا حق له فيما صنع مع سعد بن ابي وقاص وغريب أن ينكر عليه مع انه طلب النظره الى ميسره (١)

---

(١) الفتنه الكبرى عثمان (الدكتور طه حسين) ٩٣/٩٤

ولا اوافق الدكتور طه حسين فيما ذهب اليه : وسأرجى الرد على الدليل الاول من دليليه وذلك حتى تنتهى من بيان اسباب قضايا العزل وذلك لان الرد عليه يكون ردا على امور آخرى واكتفى الان بالرد على الدليل الثانى الذى أورده فى هذا الصدد فهو لا ينهض حجة له لانه نظرا الى قضية العزل هذه على أن سببها مفتعل وذلك ليصل الى ما ذهب اليه من أن عثمان كان يسير حسب مخطط أموى :

فقضية العزل وأسبابها رواها المؤرخون ، والحقيقة فى تلك القضية أن عثمان رضى الله عنه لم يعزل سعدا لانه طلب النظرة الى ميسرة لان ذلك بعض ما أوصى الله به الى رسوله يقول سبحانه وان كان ذا عسرة (فنظرة الى ميسره) (١) وانما عزله على ما أرجح خوفا على تفرق كلمة المجتمع الكوفى وتشقق بنيانه وعلى هذا المسرح تظهر الفرق والاحزاب بانضمام فريق الى سعد وفريق آخر يؤيد عبد الله بن مسعود ، وتولى بدلا منه الوليد بن عقبه وكان كما يقول التاريخ أحب الناس فى الناس رفيقا برعيته ومكث على هذا النحو مدة خمس سنين وليس على داره باب .

ولكن هل سلم هو الاخر من الوشاية مع هذا المسلك الطيب الذى روى عنه ؟ تدل الروايات على أن أهل الكوفة اختلقوا عليه كذبا واتهموه باتهامات تدل بعد بحثها على مجافاتها للحقيقه . وذلك راجح كما روى :

---

(١) البقره آيه ٢٨٠

أنه وقعت جريمة قتل فيها ابن الحسيمان الخزاعي واستطاع الناس أن يقضوا على الجناه وأقيمت عليهم الشهادة وأخبر عثمان رضى الله عنه بأمرهم فأمر بتمضية حد القتل عليهم فأقيم عليهم [1] :

وأخذ أبناء القتلة من هذه اللحظة فى محاولة الوقيعة والدس على الوليد بن عقبة فبعض الروايات تصور الوليد هذا فى سلوكه تصويرا بعيدا عن الرقعة تصوره على انه رجل بلغ به الاستهتار بأوامر الشرع الاسلامى الى حد بعيد .

اتهم بأنه يدخل الصلاة ولا يدرى ما يفعل حتى أنه صلى الفجر بالناس أربع ركعات ثم التفت اليهم قائلا : لو شئتم لزدتكم .

ويعلق على بطلان هذا الاتهام الشيخ صادق عرجون فيقول :

فهل بلغ الجهل والامتهان بجماعة المسلمين فى قطر من أعظم أقطار الاسلام ، وهم يصلون مع الامير فى المسجد الجامع ، وفيهم من علماء الصحابة وسادة التابعين من لا يرضى دون ذلك فى الدين ، أن يتابعوا فى صلاتهم سكران مخمور العقل حتى يصلى بهم الصبح أربعا ثم يقول ما قوله الخارجون المنحرفون ؟

هذا غريب جدا فى حياة المسلمين [2] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤ / ٢٧١ / ٢٧٢ .

(٢) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١١٣

ثم لماذا لم يذكر بشيء من هذا طول خمس سنين وليس على داره باب ؟ وهو في نفس الوقت كان اماما لهم : يدلنا على أن ذلك فتقول عليه وذلك بعد أن اقام حد الله عز وجل .

وأما أهل البصرة فقد أرسل أهلها وفدا منهم الى المدينة يطلبون من عثمان عزل واليهم أبو موسى الاشعري فعزله ، وكان ابو موسى واليا من قبل عمر بن الخطاب فلما استخلف عثمان أقره على عمله ، وأبو موسى أحد كبار الصحابة وفقهائهم وعلمائهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه يعجب منه ويستحسن قراءته ويقول كما روى :

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك " لقد أوتي أخوكم من مزامير آل داود "
ويحثه النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه " (١) .

ومع اتصافه بهذه الفضائل كلها فلقد اتوا الى عثمان رضي الله عنه فاستعفوه منه فولى بدلا منه عبد الله بن عامر (٢) .

وأما مصر فقد تكرر الحاج الوفود القادمة منها الى المدينة طالبة تنحيه (عمرو بن العاص) وتوليه آخر مكانه فعزله الخليفة عن الحرب والخراج وأبقاه على الصلاة وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج والحرب بيد أن الخلاف

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٣ القسم الاول / ٨٠
(٢) تاريخ الطبري جـ٤ / ٢٦٥

لم يلبث أن نشأ بينهما ، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص الى المدينة وتفرد ابن ابى سرح بولاية مصر كلها [1] .

فعلم أنه لم يعزل أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد أن طلب أهل الولاية عزله . وولى بدلا من هؤلاء الصحابة المعزولين من أقاربه وعشيرته وترك كبار الصحابه .

وليس فى هذا ما يعيب عثمان مطلقا ، وذلك أن له حق الاجتهاد فى أن يعين ما يراه أنه الاصلح للولاية وللمسلمين ولا يمكن ان يحجر على تصرفاته بصفته اماما للمسلمين ملقى عليه تبعه الحكم واذا كان عثمان رضى الله قد عين أقاربه فى المناصب القيادية فهناك سوابق فى ذلك .

من عمل النبى صلى الله عليه وسلم ويلم وعمر رضوان عنه ؟

يقول المرحوم الشيخ الخضرى بك فى تعيينه لاقاربه :

وليس فى هذا أولى عيب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى علينا وهو ابن عمه ، واذا كان توليه القريب عيبا لنهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها ، ومع ذلك فالاسلام سوى بين الناس لا قريب منه ولا بعيد فالامر موكول لرأى الامام الذى القيت عليه مقاليد الامة . [2]

---

(١) وداعا عثمان (خالد محمد خالد) / ١٣٣

(٢) اتمام الوفاء (الشيخ محمد الخضرى بك) / ١٦٦ .

ويدافع عثمان عن سلوكه هذا فيقول لعلى رضى الله عنه :

أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا وواليت شبيها بمن كان عمر يولى [1] ولينظر الى بعض الرجال الذين تولوا فى عصر عثمان لكثرة ما قيل فى حقهم .

فعبد الله بن سعد الذى ولاه عثمان على مصر كان من الذين أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمهم حتى ولو كان معلقا تحت استار الكعبة وذلك لارتداده عن الاسلام وأخذ له عثمان رضى الله عنه أمانا بعد ذلك وجدد له اسلامه وقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم وعفا عنه . [2]

فعفوا النبى صلى الله عليه وسلم دليل على رضاه لان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم فى الظاهر يدل على تسليمه الباطنى والاسلام يجب ما قبله :

وصحيح أن الوليد بن عقبه فسقه الاسلام ، وذلك لانه كذب على النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤ / ٣٣٨

(٢) سيرة ابن هشام جـ٤ / ٨٦٧ .

وذلك لما ذكره ابن كثير عن مسند الامام احمد بن حنبل بسنده الذى ينتهى الى أبى الحارث ابن أبى ضرار الخزاعى رضى الله عنه قوله : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به ، ودعانى الى الزكاة فأقررت بها ، وقلت يارسول الله ارجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل الى يارسول الله ابان كذا وكذا .

ليأتك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة من استجاب له وبلغ الابان الذى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس عليه الرسول ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أى خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يارسول الله ان الحارث قد منعنى الزكاة واراد قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث البعث الى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بالصابة حتى استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم ؟ قالوا اليك قال ولم ؟ قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبه فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله ، قال رضى الله عنه لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته بته ولا اتانى وقال هذا القول أمام النبى صلى الله عليه وسلم [1] ونزل فى ذلك قول الله عز وجل (ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهاله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [2]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) جـ٤ / ٢٠٩ .

(٢) الحجرات آيه ٦ .

فالوليد نزل القرآن الكريم يعلن فسقه على رءوس الاشهاد ولكن لم يذكر القرآن الكريم فى شأن هذا الرجل وأمثاله أن باب التوبه بالنسبة له أنه قد أغلق بل أعلن القرآن أن باب التوبة مفتوح لمن أراد الرجوع والاناب اليه سبحانه مهما ارتكب من اخطاء ومن معاصى يقول الله سبحانه (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) [1] ويقول سبحانه فمن تاب من بعد فى ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم [2] .

فالوليد تاب ورجع الى الله وحسن اسلامه فليس هناك مانع من توليته مادام تتوافر فيه شروط الولاية وقد ثبت هذا فعلا ، لقد مكث خمس سنين وهو حسن السيره ، والرجل كان أهلا للولاية .

وليس من الانصاف ولا من شرعة المساواة فى شىء أن يعمل عثمان لمجرد أنه أصبح خليفة للمسلمين على أبعاد أقاربه عن مراكز القيادة ، ولكن من العدل الذى يقره الله ورسوله أن يغسح لهم ليكفروا عن خطاياهم بخدمة الاسلام والمسلمين .

وليس هناك مانع مطلقا فى تولية سيدنا عثمان صغار السن من بنى أمية ، لان الولاية لا تتعلق مطلقا بالصغر أو الكبر وانما المسألة لمن يستطيع تسيير دفة الحكم وقد رأى سيدنا عثمان أنهم تتوافر فيهم الشروط اللازمة لذلك .

---

(١) الزمر آيه ٥٣

(٢) المائدة ٣٩ .

واذا كان عثمان رضى الله عنه فعل ذلك فان له الاسوة الحسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر الصديق والفاروق عمر رضى الله عنهما وهو ما بايع المسلمون عليه ولم يقل انسان ما ان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه كان فيه من النقص والخلل ما يجب تلافيه فى عصر عثمان .

فالرسول صلوات الله عليه ولى عمرو بن العاص قيادة الجيش الاسلامى فى سرية ذات السلاسل وكان تحت امرته وقيادته كبار الصحابة والمشهود لهم بالجنة ، وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيده عامر بن الجراح : (١)

ويروى التاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولى أسامة بن زيد بن حارثة القيادة الحربية لغزو الروم وهو بعد لم يبلغ سن العشرين وكان فى جيشه هذا كبار المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيده بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وقتاده بن النعمان (٢) .

وحين ولى الصديق رضا الله عنه الخلافة لم يعزل اسامة بن زيد عن قيادة الجيش وانما سار على نفس المنهج النبوى الشريف ، فأنفذ بعث أسامه كما كان مقررا له فطلب من الصديق رضى الله عنه أن يستبدل له بأسن منه وكان الواسطة فى ذلك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد القسم الاول جـ٢ صـ٩٥ ، سيرة ابن هشام جـ٤ / ١٠٤٠ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

(٢) المرجع السابق / ١٠٥٦ ، الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٢ القسم الاول / ١٣٦ طبع دار التحرير .

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن الصديق بدا عليه الغضب وأخذ يلحيه عمر وقال له ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله وسلم وتأمرنى أن انزعه . (١)

ويروى أن الصديق رضى الله عنه مازال يستعمل خالدا فى حرب أهل الردة ، وفى فتوح العراق والشام وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها ، بل عتبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة فى بقائه وأن غيره لم يكن يقوم مكانة (٢) .

وعمر رضى الله عنه كان هو الاخر يولى الصالح مع وجود الاصلح منه وذلك لمصلحة يراها تتحقق على يديه فكان يترك شيوخ الصحابة أمثال عثمان وطلحة والزبير بن العوام وليس الامر كذلك فحسب بل حدد اقامتهم حتى جعلهم لا يغادرون المدينة الا باذن وأجل عن الحسن البصرى قال "كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام الصحابه من المهاجرين الخروج فى البلدان الا باذن وأجل " (٣) .

---

(١) المرجع السابق / ١٣٦ ، بتاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٢٢٦ .
(٢) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية (ابن تيمية) / ٣٠ تحقيق الدكتور محمد البنا ومحمد عاشور .
(٣) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٣٩٦ .

يقول الشيخ صادق عرجون نقلا عن الاستاذ كرد على الذى نقل عن تاريخ الطبرى ان ثلاثة أرباع عمال النبى صلى الله عليه وسلم من بنى أمية لانه انما طلب للاعمال أهل الجزاء من المسلمين ولم يطلب أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها [1] واذا كان الامر كذلك فلا يلام عثمان رضى الله عنه لانه افتدى بما أمر باقتداء به .

وكان من الممكن أن يؤخذ على عثمان رضى الله عنه لو أنه بلغه عن أحد اقاربه أنه ظلم أحد أفراد الرعيه فى ماله أونفسه أو عرضه ولم ينتصف له .

فقد كان حريصا على تطبيق منهجه السياسى المبنى على العدل ، لذا لما بلغه عن ولاته أنهم يظلمون الناس .

اختار لجنه لتتقضى له حقائق وسيرة هؤلاء الولاة حتى يتبين حقيقة الامر دعا محمد بن مسلمة فأرسله الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصره وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا لاسواهم [2] .

ولننظر الى هؤلاء الذين ذكرت أسمائهم حتى نعلم الى أى مدى هؤلاء الرجال يشهدون بالحق الذى لا مراء فيه :

فمحمد بن مسلمة من السابقين الى الاسلام ومن المجاهدين فى سبيل الله

---

(١) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١٠٦

(٢) تاريخ الطبرى جـ٤/ ٣٤١ .

وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان محل ثقة النبى صلى الله عليه وسلم .

ولذا نراه استخلفه على المدينة حين خرج الى تبوك

واستأمنه عمر رضى الله عنه واستعمله على صدقات جهينة كما أن عمر كان يعشه لمحاسبة عماله والتفتيش عليهم وذلك لثقته به (١)

وأسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان موضع رضا النبى صلى الله عليه وسلم لما يروى عن أسامة نفسه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن ويقول :

اللهم انى احبهما فأحبهما ويطلب من الله سبحانه الرحمة لهما وكان عمر رضى الله عنه يفضله على أقرانه واعترض على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب على أبيه فقال : يا أمير المؤمنين فضلت على من ليس يقدم منى سنا ولا أفضل منى هجرة ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد فساله عمر من تعنى ؟ فقال أسامة بن زيد ، فاخبره بانه يكرم من كان موضع تكريم النبى صلى الله عليه وسلم وقال أن اسامة كان أحب الى رسول الله منك وأبوه كان أحب الى رسول الله منه "وهذا هو السر فى تفضيله عليه (٢) .

وعبد الله بن عمر بن الخطاب كان من السابقين فى الاسلام أسلم مع أبيه وهاجر معه الى المدينة ومن الذين مرنوا على التضحية والفداء خرج مجاهدا وهو فى سن الخامسة عشر وكان متتبعا لخطا النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٣ القسم الثانى / ١٩ ، اسد الغابه فى معرفة الصحابة (ابن الاثير) جـ٥/ ١١٢ .

(٢) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٤ القسم الاول / ٤٣ / ٤٤ اسد الغابه فى معرفة الصحابه (ابن الاثير) جـ١/ ٨٠

عن عائشة رضى الله عنها قالت " وما كان أحد يتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم فى منازلة كما كان يتبعه ابن عمر .

وكان يصرف آثار الكلمة ولذى كان يحذر القضاء بين الناس ورفضه حينما طلب منه عثمان ذلك ومنى رفضه على قوله :

بلغنى أن القضاء ثلاثة ، رجل قضى بجهله فهو فى النار ، ورجل خاف ومال به الهوى فهو فى النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو كفاف لا أجر له ولا وزر عليه ومدحه النبى صلى الله عليه وسلم فقال (نعم الرجل لو كان يصلى من الليل [1] .

وعمار بن ياسر كان من السابقين الى الاسلام يروى أنه أسلم بعد بضع وثلاثين رجلا وكان قوى العقيدة الى حد كبير جعلته يستعرب كل شىء فى سبيلها .

عن عروة بين الزبير قال " كان عمار بن ياسر من المستضعفين الذين يعذبون بمكه ليرجع عن دينه وكان يبلغ به العذاب الى حد أنه لا يدرى ما يقول والقى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وآله البشارة بالجنة فقال " أبشروا آل عمار فان موعدكم الجنة ، ومن شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] .

هذا هو ماضى الرجال فى خدمة الاسلام فاذا كان الامر كذلك فلا يطرق الشك فى شهادتهم كلفهم عثمان رضى الله عنه بالذهاب الى الولايات لمعرفة أخبار الولاة ودراسة

---

(١) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٤ القسم الاول / ١٠٥ / ١٠٧ / ١٠٨

(٢) الطبقات الكبرى (ابن سعد) جـ٣ القسم الاول ١٧٧٩ / ١٧٨ / ١٧٩

الامور عن قرب لقد عاد هؤلاء الصحابة ما عدا عمار بن ياسر الى عثمان رضى الله عنه ورضوا تقريرهم تحت سمع المسلمين وبصرهم قالوا /أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره اعلام المسلمين ولا عوانهم (١) .

وأخذوا يصورنه أيضا على أنه يظلم الناس فيأخذ من أموالهم ويعطيه لاقاربه وخير ما يرد على هذا الاتهام قول عثمان نفسه وهو فى معرض لنفى التهمة واما اعطاؤهم فانى أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى فى أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأنا يومئذ شحيح حريص.

ثم يقال والله ما حملت على مصر من الامصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله فرددته عليهم وما قدم على الا الاخماس ولا يحل لى منها شىء قولى المسلمون وضعتها فى أهلها دونى ثم أخذ يقول ما آكل الا من مالى (٢) .

لا ندرى ماذا يريدون من عثمان ازاء هذا ، فقد أكتفى بماله ولم تمتد يده الى الاموال العامة مع أنه له حق فيه حيث أنه تفرغ لخدمة المسلمين وترك هذا الحق للمسلمين ولكنه مع هذا اتهمته العصابة المناوئة للحق بالظلم والموالاة والمحاباة لاهله وعشيرته ولم يسأل هؤلاء أنفسهم فمن يعدل اذا جار خليفة راشد كعثمان بن عفان رضى الله عنه وأحد الذين أمرنا الرسول صلوات الله عليه بالسير على هداهم .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٣٩١.

(٢) التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (أبو بكر الاشعرى) / ١٧٨ مخطوط بدار الكتب.

فهل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم عن الخطأ يقرر بالامة ويأخذ بيدها الى طريق الانحراف والبعد عن الصواب بمطالبتها بتتبع الخلفاء الراشدين وقد أجمعت الامة على أنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

وان كان عثمان رضى الله عنه أعطاهم من مال الصدقه فهو يرى كما خولت له سلطة الحكم أن فى ذلك صلاح لحالهم :

وان طعنهم فى تصرف عثمان حيث يرى أن هذا هو الخير ، يكون طعنا فى بعض أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم اذ صنع ما رآه صوابا ، وعلى هذا الاساس فتصرف عثمان على هذه النحو له فى ذلك الاسوة الحسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويستدل على ذلك أبو بكر الاشمرى فى كتابه المخطوط فيقول :

فرسول الله صلى الله عليه وسلم فرق غنائم خيبر فى المؤلفه قلوبهم والله وزع الغنائم بنفسه حيث جعل أربعة أخماسها على المحاربين ومع ذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعطى بعض من اشتركوا فى القتال لمصلحة رآها النبى صلى عليه وسلم وأعطاها للمؤلفة قلوبهم [1] .

وهذا الاستدلال غير صحيح ، روى عمر بن شهاب : أن الرسول صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، وكانت

---

(١) التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (مخطوط) (ابو بكر الاشمرى) ١٧٨/ .

عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الف سهم وثمان مائة سهم برجالهم وخيالهم [1]

فأما ما يؤيد ما ذهبنا اليه من صحة تصرف سيدنا عثمان رضى الله عنه فتقول : لقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ما اعطى من غنائم حنين .

ليتألفهم بها ولم يعط الانصار شيئا ولما وجد الانصار خطب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم العلة فى ذلك فقال :

أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا بألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم [2] .

ونقول ان عثمان رضى الله عنه رجل جدير بالاجتهاد فقد كان موضع استشارة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فكان رايه له وزنه فى نظرهم ، فليس من العدل فى شىء بعد هذا أن يحجر على تصرفاته رضى الله عنه .

وأشاعوا قوله السوء حول علاقة عثمان بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه أنزل بهم كل صنوف الاضهاد والايلام متنكرا فى ذلك للصحبة ولكن بعد البحث واعمال الفكر فى تلك الروايات سيتضح لنا منها ان ما نسب اليه ان هوالا افتراء المصابة الظالمة المتنكرة لكل القيم الانسانية .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣/ ٨١٠/ ٨١٦

(٢) سيرة ابن هشام جـ٤/ ٩٣٣/ ٩٣٤/ ٩٣٥.

فالروايات التاريخية تروى ما كان بين عثمان وأبى ذر من الاختلاف فى وجهات النظر وتصور مواقف عثمان منه على أنها مواقف نبيلة ولكن رواية أخرى تذكر عثمان رضى الله عنه على أنه أهان وبالغ فى الاهانة أباذر وسنذكر كلا هاتين الروايتين ثم نضعهما تحت مجهر البحث وسيتبين لنا شناعة الكذب والافتراء والتضليل والبعد عن الصواب ، فى سنة ثلاثين جرى بين معاوية وأبى ذر مناظرة [1] فى قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فزوقوا ماكنتم تكذبون [2] فكان رأى معاويه أنها خاصة بأهل الكتاب أما ابو ذر فيرى انها عامة فتشمل أهل الكتاب والمسلمين .

وكتب معاوية بخبره الى عثمان رضى الله عنه فكتب له عثمان رضى الله عنه أن جهزه وأبعث به الى ففعل فكلمه عثمان فى ذلك فقال ائذن لى فى الخروج من المدينة فأذن له فخرج الى الربذه وبنى مسجدا وأقطعه حوله من الابل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه جراية ثم بعث معاوية بأهله اليه الى الربذه .

ويروى الطبرى باسناده عن يزيد الفقعسى : قال لما ورد ابن السوداء الى الشام لقى أباذر فأخبره برأى معاويه فى نظرته الى الاموال وهى أنه يقول المال مال الله الان كل شىء لله .

ويستنتج من هذا المذهب الاقتصادى أنه يريد أن يحتجن المال دون المسلمين فذهب اليه أبو ذر وسأله عن الدافع الى هذا الذهب الجديد ، فعلل معاويه ذلك بقوله : السنا

---

(١) التمهيد والبيان فى قصل الشهيد عثمان بن عفان (أبو بكر الاشعرى) (مصور) / ٦٨ .
(٢) التوبة آية ٣٤ ، ٣٥ .

عباد الله ، والمال مال الله والخلق خلقه والامر امره فنهاه أبو ذر عن ذلك وأعلمه بأنه يشيع فى الناس أن المال مال المسلمين وأخذ أبو ذر فى الدعوة الى مذهبه مستندا الى الايتين سالفتا الذكر [1] فوجد هذا المذهب صدى لدى جماهير الفقراء وأوجبوا ذلك على الاغنياء وشكى الاغنياء ما يلقون منهم وكتب فى شأنه معاوية الى عثمان ليطلعه على الامر فطلب منه أن يبعثه ومعه الدليل والزاد ويستعمل معه أسلوب الرفق فنفذ معاوية الامر وأطاع فلما قدم أبو ذر المدينة ورآى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ، وعندما دخل على الخليفة قال يا اياد رمالاهل الشام يشكون ذربك فأجاب بأنه لا ينبغى أن يقال مال الله ، ولا ينبغى أن يقال مال الله ، ولا ينبغى للاغنياء أن يقتنوا مالا .

فرد عليه عثمان بعدم صحة ما ذهب اليه بقوله على أن أقضى ما على ، وآخذ ما على الرعيه ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد .

واستأذن أبو ذر فى أن يخرج الى الربذه لامر سابق من الرسول صلى الله عليه وسلم اذا تحقق شاهد معين ، وأعطاه سيدنا عثمان ما يحتاج اليه فى غربته من مال وخدم وطلب منه أن يتردد على المدينة فاستجاب لقوله [2] .

---

(١) التوبة آية ٣٤ ، ٣٥

(٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٢٨٣ / ٢٨٤ .

ويمكن أن نستخلص من الروايتين :

١) أن معاوية بن ابى سفيان كان يعمل على أن يكون مطلق اليد فى الامـــول من غير اعتراض احد فخرج بمذهبه ، وهو أن المال مال الله .

٢) أبو ذر الغفارى رضى الله عنه كان له هو الاخر مذهبا مغايرا تماما لمذهـــب معاويه وأن الاموال فى نظره هى أموال المسلمين واستند فى ذلك الى قـول الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل اللـــه الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون) (١)

وهذا المذهب انبثق من الحالة التى كان عليها فى زهده رضى الله عنه .

٣) معاويه فى فهمه للاية على هذا النحو مجاف للصواب اذ أنه ليس فى الايتين الشريفتين السابقتين ما يدل على أنهما مخصوصتين بأهل الكتاب فكيـــف يخصص من غير مخصص ؟ .

و وأما فهم سيدنا أبو ذر على أنهما مطلقتان فتشمل أهل الكتاب والمسلمـــين صحيح لان ذلك هو المتبادر الى الذهن عند النظر فيهما .

ولكنى لا أوافقه على أن كل ما زاد عن الحاجة من نفقة اليوم والليله واجب اخراجه وكان عليه أن لايفهم هاتين الايتين من غير ان يستحضر الايات التى تتحدث عـن الصدقة .

---

(١) التوبة آية ٣٤ ، ٣٥ .

ذلك لان الله سبحانه وتعالى قد أوجب على الاموال جزءا معينا من المال اذا بلغ مقدار معينا وبشروط معينه كما هو مبين فى الفقه الاسلامى .

ولم يأمر الله سبحانه عباده بان يخرجوا جميع ما يملكون مما فضل عن حاجة اليوم والليلة يقول الله سبحانه (خذ من أموالهم صدقة تطورهم وتزكيهم بها وصل عليهم [1] .

ويقول الله سبحانه (والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) [2] .

ويقول سبحانه (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) [3] .

فالواضح فى هذه الايات الشريفة أن الله سبحانه وتعالى أمر باخراج جزء من الاموال كلها اللهم الا فى حالة استثنائية كحاجة الدولة الى تلك الاموال وليس أمامها الا هذا الطريق وما ذهبنا اليه من فهم هو الذى قرره سيدنا عثمان أثناء النقاش مع أبى ذر وهو قوله :

على أن اقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الذهد وان أدعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد :

فعثمان رضى الله عنه بنى رايه على منهج القرآن ونظرته الى الاموال ، كما كان له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القدوة فى ذلك .

فقد كان بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد كثرت أموالهم وزكت الى حد كبير فما طالبهم الا بحقها الذى فرضه الله سبحانه ، وما وراء ذلك تطوع واحسان وما على المحسنين من سبيل [4] .

---

(١) التوبة آية ١٠٣ .
(٢) المعارج آية ٢٥ .
(٣) الذاريات آية ١٩ .
(٤) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١٤٧ .

وكذلك كان موقف الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما لم يثبت انهما جرّدا الناس من أموالهم بل ثبت أن الصديق حارب من أجل جزء من المال واجب اخراجه وهو الزكاة .

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكـــــاة فاذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله " (١)

ان أباذرّ أخذ يدعوا الى مذهبه الجديد فاحتضن هذا المذهب الفقراء ولو تـــرك أبو ذرّ وشأنه لزلزل بنيان المجتمع الشامى ولأوجد الصراع الدامى بين الفقراء الذيـــن جذبهم هذا المذهب الجديد وبين الأغنياء .

كما وضح أن عثمان رضى الله عنه كان يكنّ لأباذرّ مهما كان كان هناك اختلاف فـــى وجهات النظر ، وطلب من معاوية أن يتخذ معه كل الوسائل التى يـرآها كفيلة بتكريمـــه ولكن هناك رواية تاريخية ذكرها المسعودى .

فى مروج الذهب تصور موقف عثمان من أبى ذرّ تصويرا عجيبا لا أرى صحتها :
أن عثمان كتب الى معاوية أن يحمل اليه أبو ذر فحمله على بعير عليه قتب يابس فقدم المدينـــه وقد تسلخت بواطن فخذيـــه وأن عثمان نفاه الى الربذه وأمر أن يتجافاه الناس(٢) ويعلق على كذب هذه الرواية صاحب كتاب التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان فيقول : وأما ما ذكر فى سبب اخراجه من الامور الشنيعة ، وسب معاوية أياه وتهديده بالقتل وحمله من الشام الى المدينة بغير وطاء ونفيه فلا يصح النقل به بل هو من أكاذيب الرافضه ويفترض الشيخ الاشعرى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ صـــ ١٧٩

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر (المسعودى) حـ ٢/ ٢٣٠ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

صحة هذا فلا يكون أيضا طعنا فى عثمان رضى الله عنه يقول :
بأنه لو فرض جدلا بأن هذا صح لكان ينبغى أن يعتذر عن عثمان رضى الله عنه بأن للامام أن يؤدب رعيته لسوء أدبه أو افتيات عليه (١) .

ويستنتج الشيخ عرجون من موقف عثمان ازاء أبى ذر بأن هذا يدل على السياسة الحكيمة التى كانت تمارسها الامة فى هذه الخلافة الرشيدة (٢) .

وأن سياسة تأديب الرعية ليس جديدا فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستعمل أسلوب التأديب لمن يرى أنه جاوز الحد ولم يوجد من المسلمين من أنكر عليه ذلك وما يدل على أن عمر كان يستعمل هذا الاسلوب مع الرعية .

روى التاريخ أن ابى بن كعب كان يمشى خلف قوم فعلاه عمر بالدرة .

وبين له العلة فى ذلك بقوله / ان هذه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع ، ولم يتغير عليه أبى بن كعب ولم يعد هذا منقصة فى قدره .(٣)

وهذا هو موقفه مع سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضى ومع ذلك ضربه عمر بالدرة تأديبا له .

عن راشد بن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فاوعد حموا عليه فأقبل سعد بن أبى وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه ، فعلاه

---

(١) التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (أبو بكر الاشعرى) (مصور) /٦٨ .
(٢) عثمان بن عفان (صادق عرجون) /١٤٨ .
(٣) المرجع السابق /١٤٨ .

عمر بالدّره وقال أنك اقبلت لاتهاب سلطان الله فى الارض فاحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك [1] .

وذكر المنحرفون رجلا آخر من رجالات الاسلام هو سيدنا عمار بن ياسر وحاكوا بن حول موقف عثمان ازاءه الاكاذيب ليتخذوا ذلك ذريعة للطعن فى عثمان رضى الله عنه والتشهير به وهو منها برىء .

روى أبو بكر بن أبى شيبه عن الاعمش قال : أن اصحاب عثمان كتبوا نقائض فى وثيقة وأوصلها عمار اليه فلما قرأها عثمان كان لها رد فعل كبير فى نفسه ، بالقول والفعل وذلك أن قال أرغم الله انفك ثم قام الى عمار فوطئه حتى غشى عليه ثم ندم عثمان .

وان طلحه والزبير أرسلا الى عمار يخيرونه بين ثلاثة امور اما أن يعفو وأما أن يأخذ الأرش واما أن يقتض ، فأعلن عدم قبوله لهذه الامور ويروى : أنه اجتمع جماعة من المهاجرين والانصار فكتبوا ما أخذوا به على عثمان وأرسلوا بالكتاب مع عمار ، فلما قرأ عثمان الكتاب رمى به فقال له عمار لا تتم الكتاب وهو له ناصح وحذره ولكن عثمان كذبه وعيره بامه وقال يا ابن سميه وأعطى أوامره لغلمانه بضربه وايذائه فنفذوا الامر وظلوا يضربونه حتى وقع على جنبه وأغمى عليه واشترك عثمان بنفسه بأن وطئه فى بطنه وظل عمار فى حاله الاغماء مدة طويلة من الزمن [2] وهاتان الروايتان من نسيج الخيال واكاذيب الضلال والمنحرفين . ذلك أنه ليس من المستساغ أن يرمى انسان عاقل عقده فضله من الاخلاق رسالة أتته ولا سيما ممن

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) حـ٤/ ٢١٢ .

(٢) الامام المفترى عليه (عثمان بن عفان) / ١٤٩/ ١٠٥ .

ينصحونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن عثمان رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ولو كان ما قيل أنه أحضرت لم النصيحه لكان على عثمان وهـــو جدير أن يفعل أن يناقشهم بالحجة .

١) كما أن عثمان لا يمكن أن ينزل الى هذا الحد فيأمر العبيد أن يضربوا رجلا من أصحاب رسو ل الله صلى الله عليه وسلم له سابقته وفضله فى عبد ان الدعوة وتكريم النبى صلى الله عليه وسلم : كما قدمنا نبذه عنه .

٢) وأن سياسة عثمان طوال فترة خلافته لم تكن مبنيه على العنف والقهر ولكنهـا كانت مبنية على اللين فى غير ضعف وسترى كيف كان موقفه مع المنحرفـــين فضلا عن عمار بن ياسر .

٣) ليس من المعقول فى شىء أن يعبر عثمان انسانا ما بأمه او ابيه أو بـــشىء يعيبه لان هذا بعيد عن اخـلاق المسلمين الفضلاء كما أن عثمان كان مـن أكثر الناس قراءة للقرآن الكريم عن عطاء بن أبى رباح "أن عثمان بن عفان صلى بالناس ثم قام خلف المقام فجمع كتاب الله فى ركعه كانت وتره فسميت بالبتيراء " وقالت أمراة عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وأنه ليحيى الليل كله بالقـرآن فى ركعـه " (١)

---

(١) عثمان بن عفان (محمد رضا) /٢١ .

وفى القرآن النهى عن استعمال أسلوب السخرية مع الناس أفرادا وجماعات يقـــول رب العزة (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســـاء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعـــد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون [1] .

فضلا عن سمية التى قدمت نفسها قربانا لله عز وجل وكانت أول شهيدة فى الاسلام ويكفى عمار شرفا تكريم النبى له ولابويه بالشارة بالجنة [2] :

تبين من هذا كذب ما اتهم به عثمان رضى الله عنه .

والحقيقة كما نقلها الشيخ صادق عرجون فى روايته عن عثمان نفسه .
أنه قال جاء عمار وسعد الى المسجد وأرسلا الى : أن ائتنا فانا نريد أن نذكرك أشيـــاء فعلتها فأرسل اليهما : انى عنكما اليوم مشغول فانصرفا ، وموعد كما يوم كذا فأطاع سعد الامر وأبى عمار أن ينصرف ، فأعدت اليه رسولى فأبى ثم أعدته اليه فأبى فتناوله رسولـــى بغيرى أمرى ، والله ما أمرته ولا رضيت بضربه وهذه يدى لعمار فليقتص منى أن شاء [3] .

ويبرز لنا من هذه الرواية أمـــور :

١) أن عمار بن ياسر وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما وصل الى مسامعهمـــا ما اختلقه المنحرفون فأرادا أن يذكرا هذا لعثمان ليتحققا مما نسب اليـــه وبالتالى يعرف التيارات الفكرية من حوله .

---

(١) الحجرات آية ١١ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٢١١ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .
(٣) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١٥١ / ١٥٢ .

٢) ان عثمان رضى الله عنه لثقل المسئولية الملقاة على عاتقه لم يكن عنده من الوقت أن يقابل أفراد الامة فى الوقت الذى يريدونه لأن ربما تعارض مع أهم منه وقدم رضى الله عنه العذر فى ذلك ولكن عمار لم يقبل عذر الخليفة فكرر له عذره ولكن عمار أصر على ذهابه اليه .

٣) اعتداء رسول عثمان على عمار من غير أن يأمره عثمان بهذا وعدم رضاه اذ بلغه الخبر وكان الاجدر بعمار أن يقبل العذر ويقبل من عثمان رضى الله عنه الموعد المسبق الذى ضربه له .

والوقت متسع لبحث ما يريده ولا على عثمان فى فعله هذا بل أنه صنع خير ما يصنعه راشد مثله :

وتبقى بهذا هيبة الخليفة فلا يصبح العبوة فى أيدى الافراد والجماعات يحددون له الزمان والمكان كما أرادوا . ولا يمكن أن يفعل حاكم بفرد من أفراد المسلمين مثل ما فعل عثمان رضى الله عنه .

فلقد قدم آية براءته فى اشتراكه فى ايذاء عمار ومع ذلك قدم نفسه فى قضية هو منها برىء ليفعل فيه عمار ما أراد يقول عثمان هذه يدى لعمار فليقتص منى .

فماذا يريد المنحرفون والمنافقون من عثمان أن يفعله أكثر من هذا .

ولم يترك هؤلاء المنافقون شيئا يظنون أنه يسىء سمعة عثمان الا وقالوه فحتى الصلاة حاولوا أن يظهروه على أنه لا يعرف الواجب من الجائز فيها :

روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه قال : أن أول ما تكلم به الناس فى عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى فى ولايته ركعتين حتى اذا كانت السنه السادسة أتمها فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه على فيمن جاءه ، فقال والله ماحدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت بنبيك صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين ثم أبا بكر ثم عمر وأنت صدرا من ولايته فما أدرى ما ترجع اليه فقال رأى رأيته ؟ .

كما ناقشه فيما فعل سيدنا عبد الرحمن بن عوف مستدلا بما استدل به على رضى الله عنهما ، وأخذ سيدنا عثمان يدافع عن وجهة نظره فيما فعل مع الناس بما يدل على الحذر والحيطه من تفكير جديد طارىء مخالف لما فهمه الناس وأجمعوا عليه .

يقول عثمان فى ذلك : أنى أخبرت أن بعضهم حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا فى عامنا الماضى ، ان الصلاة للمقيم ركعتان ، هذا امامكم عثمان يصلى ركعتين ، وقد اتخذت بمكه أهلا فرأيت أن أصلى أربعا لخوف ما أخشاه على الناس وأخرى اتخذت بها زوجه ولى بالطائف مال .

ولكن هذا الاستدلال أخذ يرده ، عبد الرحمن بن عوف على عثمان رضى الله عنه .

ولكن عثمان رضى الله عنه أصر على تمسكه باجتهاده وقال هذا رأى رأيته .

وأقره على اجتهاده اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ووافقوه عليه .

قال عبد الرحمن بن عوف لعبد الله بن مسعود / قد بلغني أنه صلى أربعا فصليت بأصحابي ركعتين واما الان فسوف الذى تقول ـ يعنى تصلى أربعا [1] .

ياترى لو لم يكن عثمان مصيبا ، هل يتابعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذهب اليه مع أن الصحابه رضوان الله عنهم كانوا أحرص الناس على انكار ما أنكره الشرع مهما تكلفوا فى سبيله من الصعاب والمشقات .

ويوافقنا فيما ذهبنا اليه الشيخ ابو بكر الاشعرى فى كتابه التمهيد والبيان فيقول : لو كان فعله خلاف الحق لما تبعاه ووافقاه ويعنى بذلك سيدنا عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، وقد روى جماعة من الصحابة اتمام الصلاة فى السفر[2] .

وعابو عليه أبسط مظاهر الاجتهاد :

وذلك أنهم قالوا لماذا يحمى الحمى واستدلوا على تحريم ذلك يقول الله عز وجل (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله آذن لكم أم على الله تفترون [3] بعد أن قراها عثمان عليهم :

ولكنه رضى الله عنه دافع عن نفسه لأنه قد سار فى هذا حسب منهج سلفه عمر ولم يغب على عمر ما فعله فلما زادت ابل الصدقة فى عصره ولم يتسع المكان لهذه الثروة الحيوانية المتزايده لم يكن بد من أن يزيد فى الحمى مراعيا بهذا الظروف المتغيره والطارئة ، واقتنعوا بهذا ورجعو راضين [4]

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٢٦٧/ ٢٦٨ .

(٢) التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (ابو بكر الاشعرى) (مصور) ٢٧

(٣) يونس آية ٥٩

(٤) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (ابو بكر الاشعرى) (مصور) صـ ١٨٣ .

والغريب أنهم طعنوا فى أجـل الاعمال التى قام بها عثمان رضى الله عنه وعدوهـا نقيصه يطعن بها قالوا كما روى ابن جرير الطبرى " كان القرآن كتبا فتركتها الا واحدا [1] .

وهذا يدعونا الى البيان والتوضيح فيما صنعه سيدنا عثمان من توحيد الصحـف والفرق بين فعله وفعل الصديق رضى الله عنه باشارة الفاروق عمر بن الخطاب وموقف الصحابه رضوان عنهم من هذا الفعل وموقفه من الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وبذلك يظهر مقدار العمل العظيم فى خدمة الدعوة الاسلامية ولو لم يكن له الا هذا العمل لكفاه زادا فى آخـراه .

ما الذى دفع عثمان الى كتابة ونسخ المصاحف .

عن أنس بن مالك : أن حذيفة قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهمـا :

وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفـة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يامير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحـف فننسخها ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان .

فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحـارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف .

وأعطاهم المنهج الذى يسيرون عليه : قال للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفـتم فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى اذا نسخـوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ، أو مصحف أن يحرق [2] .

---

(١) المرجع السابق / ٣٤٧ .
(٢) تذييل تفسير القرآن العظيم (الامام ابن كثير) جـ ٤ / ١٠ .

ويفهم من هذا الحديث الشريف : أن الدافع لعثمان رضى الله عنه على كتابة المصاحف انما هو اختلاف قراء المسلمين فى القراءة اختلافا أوشك أن يؤدى بهم الى أخطر فتنة فى كتاب الله عز وجل كما عبر عن ذلك عثمان رضى الله عنه فيما رواه عنه على بن أبى طالب .

قال عثمان ماترون فى المصاحف فان الناس قد اختلفوا فى القراءة حتى أن الرجل ليقول أن قراءتى خير من قراءتك وقراءتى أفضل من قراءتك (١)

ثانيا : يفهم من هذا الحديث الشريف بأن القرآن الكريم كان مجموعا فى صحف وقد اتفقت الامة اتفاقا كاملا على أن ما فى تلك الصحف هو القرآن كما تلقته عن النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر عرضة على أمين الوحى جبريل عليه السلام وأن تلك الصحف ظلت فى رعاية الخليفة أبى بكر ثم انتقلت الى عمر رضى الله عنه ثم الى حفصه بنت عمر أم المؤمنين .

والفرق بين عمل الصديق وعمر رضى الله عنه وعثمان بن عفان يتضح من رواية البخارى عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال أرسل الى بكر مقتل أهل اليمامة وقد اتفقا على جمع القرآن خوفا من غياب بعضه بموت الحفاظ وعرضا على المسألة فقبلتها مع ثقلها ، وتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال .

ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خذيمة الانصارى لم أجدها من غيره (٢) وهى قوله عز وجل .

---

(١) تفسير القرطبى جـ١/ ٤٥.
(٢) تذييل ابن كثير جـ٤/ ٨

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) [1] .

ويبين الشيخ صادق عرجون السبب فى رجوع الصحف الى حفصة وأن ذلك راجع فى رأية الى ناحيتين :

١ـ لانها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك

٢ـ ان عثمان لم يحتفظ بالصحف عنده حتى لا يتسرب الى أوهام من عسى أن يقع عليها من الولاة الوافدين من الاقطار وغيرهم على دار الخلافة ، أن لها صفة المصحف الرسمى الذى انتهى اليه اجماع الامة [2] .

ولم يكن هذا الرأى مما انفرد به عثمان رضى الله عنه وانما كان بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم واجماعهم على صحة رأية فى توحيد المصحف.

يقول الامام القرطبى فى هذا الصدد :

وكان هذا من عثمان رضى الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والانصار وجلة أهل الاسلام .

وشاورهم فى ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت من القراءات المشهورة واطراح ما سواها واستصوبوا رأيه وكان رأيا سديدا موفقا [3]

---

(١) التوبة آية ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١٧٧

(٣) تفسير القرطبى جـ١ / ٤٥ .

ولم يكن اختيار الصديق لزيد بن ثابت جزافا وانما كان يراه أنه أصلح من يقوم بهذا الامر لما اجتمع فيه من الصفات التى تؤهله للقيام بهذا العمل وعبر الصديق بقوله : انك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكيف غاب عن ذهن عبد الله بن مسعود وهو من هو مكانته وفقهه :

أنه لا يشين زيد بن ثابت أنه أسلم وزيد فى صلب رجل كافر فكثير من الصحابه رضو ان الله عنهم أسلموا وكان آباؤهم على كفرهم وهذا هو شيخ الصحابه الصديق رضى الله عنه أسلم وظل أباه كافرا مدة من الزمن بعد اسلامه ولم يسلم الا فى فتح مكة [1] .

هل عابه أن يكون مقدما فى كل شىء على أصحابه كما أخرج البخارى عن محمد بن على بن أبى طالب قال قلت لابى : أى الناس خير بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر [2] " بل وهل عاب نبى الله ابراهيم عليه السلام كفر أبيه ووثنيته كما حكى القرآن الكريم (اذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين " [3]

وهل غاب عن ابن مسعود نفسه أنه كان هو الاخر من صلب رجل كافر .

ثم ان كان ابن مسعود أخذ من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٨٦٤ .

(٢) تاريخ الخفاء (السيوطى) صـ ٤٥

(٣) الانعام آية ٧٤ .

سورة وزيد صبى . فهو لم يكمل حفظ القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت من الثابت أنه حفظ القرآن كله فى حياة النبى صلى الله وسلم فهو أولى بهذا العمل الجليل من ابن مسعود وهو الذى جمعه فى خلافة الصديق رضى الله عنه .

وهل هذا الاختيار ينقص من فضيلة عبد الله بن مسعود ويجعله أقل قدرا من زيد بن ثابت ؟ ويجيب على هذا أبو بكر الانبارى فيقول :

ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبى بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود فى جمع القرآن وعبد الله أفضل من زيد وأقدم فى الاسلام ، وأكثر سوابق ، وأعظم فضائل .

ثم يبين العلة فى ذلك فيقول :

الا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله اذ وعاه كله ورسول الله عليه وسلم حى والذى حفظ منه عبد الله فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة ثم تعلم الباقى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالذى ختم القرآن وحفظه ورسول الله حى أولى بجمع القرآن وأحق بالايثار والاختيار .

ثم أخذ يدلل على أن هذا ليس طعنا فى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال : ولا ينبغى أن يظن جاهل أن فى هذا طعنا على عبد الله بن مسعود لان زيدا اذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمه لان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كان زيد أحفظ للقرآن منهما مع أنهما أفضل منه بل لا يساويهما فى فضائلهما .

وبقى نقطة تتصل بانكار عبد الله بن مسعود على عثمان رضى الله عنه أن يعزله عن نسخ المصاحف ويتولى ذلك زيد بن ثابت واستدل بأدلة على أفضليته على زيد بن ثابت وسنبحثها وسيتبين لنا منها أنها لا تقوى دليلا عن ماذهب اليه من تلك الافضلية :

١ـ روى ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصحف وقال يامعشر المسلمين أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل ، والله لقد أسلمت وانه لفى صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت[1] .

وأخرج ابن أبى داود عن ابن مسعود : (لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وان زيد بن ثابت لصبى من الصبيان [2] .

فاين كان ابن مسعود أيام الجمع فى زمن الصديق رضى اللهعنه ولم يظهر أنه أنكر هذا على زيد بن ثابت فى خلافة الصديق حينما كلفه بجمع القرآن .

ولو أنكر ابن مسعود لشاع واستفاض وتناقلته الالسنة وتلقته الاجيال عن جيل لاهمية ذلك ولكن الثابت أن ابن مسعود لم ينكر هذا على زيد بن ثابت أيام الجمع الاول :

كما أن الصحابه رضى الله عنهم قد أجمعوا على صحة اختيار الصديق الموفق لزيد بن ثابت مع أن مسعود كان بين ظهرانيهم وهم أعرف الناس به ولم نجد واحدا أشار على الصديق باختيار ابن مسعود مع أن الامر دائما كان شورى بين المسلمين .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ / ٤٧ .

(٢) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (صادق عرجون) / ١٨٨ .

ويحمد هذا العمل الجليل الذى قام به عثمان رضى الله عنه على بن أبـــى طالب كرم الله وجهه فيقول كما رواه عنه سويد بن غفلة : يامعشر الناس اتقوا اللـــه واياكم والغلو فى عثمان ، وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها الا عن ملأ منـــا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما حفظ عنه قوله ،

لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان (١)

" علاقة هذا بالدعوة الاسلامية "

وقد أتينا على تهم وماخذ وجهت الى عثمان رضى الله عنه وفندناها وتبين لنـــا منها صحة مقصده وأنه ليس هناك أصلح مما فعل وقد أطلنا فى بيانها ورد ها ليتبين لنا منها أن المنافقين الذين قاموا بها كانوا يقصدون من ورائها أهدافا بعيدة تللك هى محاربة الدعوة الاسلامية ،

وذلك بالعمل على اظهار عثمان رضى الله عنه على أنه رجل انحرف عن منهـــج أسلافه ولم يتبع خطاهم وأنه ضرب بالقيم الاسلامية عرض الحائط فظلم وجار وحابى ووالى أقاربه دون الناس بغير حق مع أن القرآن الكريم يأمر باقامة موازين العدالة بين الرعيه ،

يقول رب العزة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان(٢) ويقول سبحانه (اعدلـــوا هو أقرب للتقوى(٣)) كما يريدون أن يظهروه على أنه غير عدل فى دين الله عز وجـــل كما قالوا فى اتمامة للصلاة ونسخه للمصحف الشريف ،

---

(١) تفسير القرطبى جـ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ ،
(٢) النحل آية ٩٠ ،
(٣) المائدة آية ٨ ،

وبذلك يعملون على نزع الثقة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وصل الاسلام الى الناس من طريقهم وخصوصا عثمان رضى الله عنه الذى قام بأكبر دور اسلامى بمحافظته على مصدر الدعوة الاسلامية وعلى وحدة المسلمين وذلك بنسخة للقرآن الكريم على لغة قريش وليس هذا فحسب وانما يكون طعنا فى ذلك الوقت فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم الذى قاله عن الخلفاء الراشدين كما سبق .

عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان عبدا حبشيا ، وسترون من بعدى اختلافا شديدا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين والمهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم والامور المحدثات ، فان كل بدعة ضلالة (١)

وفى هذا الجو المختلق من الشائعات حول سيدنا عثمان رضى الله عنه تكونت العصابات فى مختلف الامصار لتعمل على تفتيت وحدة المسلمين وتزلزل كيان الدولة الاسلامية .

وبالتالى يظهرون شيخ المسلمين لذلك الوقت وهو سيدنا عثمان أمام من لم يدخل الاسلام على أنه مجرد من القيم الانسانية والاخلاقية وهو من أكبر صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم للاسلام الكثير ، فاذا دخل فى روعهم هذه الصورة الكاذبة أحجموا عن الاسلام أو على الاقل تريثوا كثيرا عن الدخول فيه .

---

(١) كنز العمال جـ١/ ١٥٤ ، سنن ابن ماجه جـ١/ ١٦ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين

ووجه هذه الشرذمة وذكاها رجل خبيث يسمى بعبد الله بن سبا (١)

يحكى التاريخ بأنه كان يهوديا من أهل صنعاء وظل الرجل على يهوديته طوال حياة النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة الصاحبين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأسلم فى خلافة عثمان بن عفان ثم أخذ ينتقل فى بلدان المسلمين يدعوهم الى ضلاله فذهب الى الحجاز وانتقل الى البصرة والكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر ونشط فى دعوته فيها .

ما الذى كان يدعو اليه هذا الخبيث ؟

كانت مبادئه مناهضة للدعوى الاسلامية تماما اذ دعا الى ما أسماه بمذهب الرجعة وأخذ يستدل بالقرآن الكريم يقول الله عز وجل (ان الذى فرض عليكم القرآن لرادك الى معاد (٢)) استدلالا على غير ما تعارف عليه المسلمون وخصوصا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل واحد منهم ان الرسول صلوات الله عليه بعد موته سيرجع الى الدار الدنيا ثانية ولو قيل هذا على لسان صحابى لتناقلته الالسنة وشاع بين الناس وكان المسلمون أحرص على انتشاره من أى شىء آخر ثم ان القرآن الكريم نفسه يرد على هذا الفهم الكاذب .

يقول الله سبحانه مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم (انك ميت وانهم ميتون (٣)) ولم يفرد النبى صلى الله عليه وسلم بعد الموت بالبعث ثانية فى الدنيا وانما اختص بالمزة يتحدث عن يوم القيامة بعد الاية السابقة مباشرة يقول سبحانه (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (٤) على أن كتب التفسير لو رجعنا اليها هى الاخرى

---

(١) راجع ابن جرير الطبرى جـ٤/ ٣٤٠ / ٣٤١ (٢) القصص آية ٨٥
(٣) الزمر آية ٣٠
(٤) الزمر آية ٣١

لنستنبطها لم نجدها وافقت هذا المذهب المختلق لا تصريحا و اشارة .

فالامام ابن كثير يقول عن تفسير الاية التى استدل بها ابن سبأ المنافق :

يقول تعالى آمرا رسول صلوات الله عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على النـاس ومخبرا له بأنه سيرده الى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة[1] .

ويقول الامام القرطبى فى تفسيره الجامع لاحكام القرآن فى تفسير هذه الايـــة الشريفة ختم السورة ببشارة نبيه محمد صلوات الله عليه وسلم برده الى مكة قاهرا لاعدائه وقيل هو بشارة له بالجنة وعن ابن عباس (الى معاد) الى الموت .

وعن مجاهد وعكرمه والزهرى والحسن : أن المعنى لرادك الى يوم القيامة[2] .

فليس فى المعانى التى فسرت بها الاية الشريفة ما يدل على زعم الرجل المنافـق وحاول الرجل بكل الوسائل وشتى الطرق أن يدفع المسلمين الى تصديقه فى كذبـه وافترائه فقال لهم العجب من يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع .

وادعى الرجل التشيع لعلى رضى الله عنه وأن خلافة الثلاثة من قبله ابو بكـر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان غير صحيحة وأنهم قد ظلموا عليا وهـذا أيضا ـ ظاهر البطلان :

---

(١) تفسير القرآن العظيم (الامام ابن كثير) جـ٣/ ٤٠٢ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن (الامام القرطبى) جـ٥٧/ ٥٠٣٧

فلقد أجمعت الصحابة على بيعتهم وهو لا يجتمعون على ضلالة كما سبق أن بينا وأخذ الرجل يخطط للمنافقين من حوله فطلب منهم أن يستتروا تحت اظهار الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك ليثق الناس من كلامهم .

وتحت هذه الشعارات الكاذبة بث دعاته للدعاية والاذاعة ضد الدعوة ورجالها وأخذ يكاتب من هم على شاكلته فى فساده ونفاقه فى الامصار فى البصرة والكوفة ومصر .

قصدنا منهم لمواجهة بأخطائه المزعومه التى سبق أن علموا على ذاعتها بين الناس وقد كشفنا القناع .

عن بطلانها . ولا يهام الناس أنه اعترض بها ولكنه أصر عليها ولم يرجع .

ثم يرجعون بعد هذا متسترين وراء قصد حج بيت الله الحرام ولكنهم فى حقيقة أمرهم يريدون خلعه فان لم يروا فليس أمامهم من وسيلة سوى قتله (١) .

ولم يقر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم المبشرين بالجنة هذه الفئة الباغية على موقفهم العدائى و اشاعاتهم الكاذبة ضد سيدنا عثمان .

يقول ابن جرير الطبرى : وأتى المصريون عليا فسلم عليه المصريون وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا لاصحبكم الله .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) جـ٤/ ٣٤٦ .

وقال طلحة والزبير لاهل البصرة والكوفة كذلك ، وأظهروا للناس رجوعهم ولكنهم بفتوهم فى المدينة وكانت حجتهم داحضة وذلك أنهم زعموا وكم زعموا انهم أخذوا مع بريد كتابا يأمرهم فيه عثمان عبد الله بن سعد بقتلهم أو صلبهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وكان مع أهل مصر الكوفيون والبصريون .

وهنا انبرى على رضوان الله عنه باسقاط ما عتمدوا واظهار كذب دعواهم فناقشهم بالحجة العقلية ويقال ان الذى كشف أمرهم محمد بن أبى سلمة كما جاء ذلك فى الرواية التى أوردها الشيخ الخضرى [1] .

قال لهم كيف علمتم ياأهل الكوفة ويا أهل البصره بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟

هذا والله أمر أبرم بالمدينة فالزمهم بقوله ولم يستطيعوا أمام وضوح الدليل وقوته ولكنهم قالوا فى صفاقة فضحوه حيث عثتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل لمتزلنا .

وليس هذا هو موقف كبار الصحابة فحسب بل أرسل كل منهم من يدافع عن عثمان رضى الله عنه وعلى الحسن وطلحه ابنية والزبير عبد الله [2] .

وهذا الكتاب المزعوم ابراء للذمة نريد أن نضعه على بساط البحث لنعلم أنه مختلق جمله وتفصيلا وهذه هى قصة الكتاب كما رواها ابن جرير الطبرى .

---

(١) اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء (الشيخ محمد الخضرى) / ١٥٧ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك (ابن جرير الطبرى) يتصرف جـ٤ / ٣٤٦ / ٣٥٠ / ٣٥١

لما رجع الوفد المصريون راضين فبينما هم فى الطريق اذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع اليهم ، ثم يفارقهم وبينهم قالوا له مالك ان لك لامرا ما شأنك ؟

قال فقال أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر ففتشوه ، فاذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمة الى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[1] .

١ــ اذا كان عثمان أرضاهم ورضواهم الاخرون فلماذا يبعث فى أمرهم الى أميره بمصر يطلب فيه كما روت القصة .

٢ــ واذا كان عثمان رضى الله عنه أراد بهم هذا الذى قيل أما كان الاجدر به أن ينتظر حتى يرجع الوفد الى مصر حتى لا ينكشف الامر اذا التقوا بغلامه فى الطريق ، أو على الاقل لا يوجد لديهم شك فيما اتفقوا عليه معه فأقل الناس راد راكا كان ينتظر منه ذلك فضلا عن عثمان رضى الله عنه الذى كان موضع استشاره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

٣ــ ثم اذا كان كتب ما فى الكتاب المزعوم ولا همية فى ذلك الوقت كان سيتخير من يحمله فيكون على مستوى كبير من الحيلة والذكاء حتى لا ينكشف أمره .

٤ــ ليس من المعقول فى شئ أن يحمل رجل رسالة من أمير المؤمنين ثم يفعل ما يثير الشكوك من حوله من التعرض تارة ومفارقتهم أخرى وهكذا حتى أثار شكوكهم ، فسألوه ثم فتشوه فعثروا على الكتاب ، واذا كان الرجل بفعله يريد

---

(١) المرجع السابق / ٣٥٥

أن يبين لهم حقيقة أمره فهو ليس في حاجة الى هذا التلاعب الذى قالته هذه الرواية المصطنعة .

ويقول الدكتور محمود زيادة مبينا اختلاق الكتاب :

ان الرواه لم يتفقوا على تحقيقه ، فطورا هو كتاب لابن أبى سرح بقتل المصريين الوافدين على المدينة وحدهم دون سواهم من البصريين والكوفيين ، ولو صح قصد الغدر من دار الخلافة لكان الكتاب الى أمراء الامصار الثلاثة للتخلص من جميع الوافدين .

وطورا آخر يقولون أن الثوار طلبوا من الخليفة عزل ابن أبى سرح وتعيين محمد بن أبى بكر فأجابهم ، وفى الطريق ضبطوا البريد بكتاب فيه أمر ابن أبى سرح بقتل ابن أبى بكر ومن معه ولم يثبت أن الخلفة عين ابن أبى بكر (١) .

ودافع عثمان رضى الله عنه عن نفسه فقال ردا على هذه التهمة :

انما هى اثنتان ، أما احضار البينه وذلك بشهادة رجلين من المسلمين فلم يجدوا الى ذلك سبيلا فحلف أنه لم يكتب ولا أملى ولا علم ، ثم قال لهم رضى الله عنه " وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم .

فلم يقتنعوا بهذا وقالوا فقد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق (٢) .

---

(١) تاريخ العالم الاسلامى (دكتور محمود زيادة) جـ ٢ / ٢٤٤ / ٢٤٥ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٤ / ٣٥٥ / ٣٥٦ .

ويبين الشيخ عرجون أنه من الممكن أن يفترى على لسانه من غير علـــــم بذلك واستدل على ذلك بسوابق فى هذا الصدد .

وذلك أن محمد بن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على لسان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم . وزور معن بن زائدة كتابا على عمر بن الخطاب ونقش عليه خاتم كخاتم عمر بن الخطاب ومقتضاه أخذ مالا من بيت مـــال المسلمين بالكوفة وضربه عمر ضربا شديدا وحبسه (١) .

وينقض الدكتور محمود زيادة صحة نسبة الكتاب الى مروان وانه لم فيه دخل مطلقا فيقول فى ذلك :

القصة تحمل آيـة وضعها وبطلانها فكيف يعقل أن يول عثمان بن أبى بكر بفرض صحة توليته على مصر ويكتب له بعهد ، عليها ويبعث معه جماعة من المهاجرين والانصار ثم يأتى انسان لـه ذرة من العقل مروان أو غيره يريد نقـــض ما أبرق الخليفة ، بل ويريد قتـل صاحب العهد ومن معه فى احـــدى الروايات أو قتـل جماعة من المسلمين فى الرواية الاخرى فيرسل فى الطريـــق الـتى سلكها ابـن أبـى بكـر أو غيره ، بغـلام الخليفة علـى بعيـــره ويختم بخاتمه كتابـا بأمره فيه بقتلهم (٢) .

موقف عثمان رضى الله عنه أثناء الحصار وعلاقة ذلك بالدعـوة ؟

١ـ لقد اجتمع المنافقون وحاصروا سيدنا عثمان رضى الله عنه وكان عثمان رضى الله عنه يستطيع أن يسلك سبيل النجاه فيأمر من جاءوا لنصرتـه

---

(١) الامام المفترى عليه عثمان بن عفان (الشيخ صادق عرجون) / ١٣٣ / ١٣٤ .
(٢) تاريخ العالم الاسلامى (دكتور محمود زيادة) جـ٢ / ٢٤٥ / ٢٤٦

أن يقاتلوا دونه وكانوا يلحون في أنّ يأذن لهم في ذلك ولكنه أبـــــى أن يقتتل المسلمون من أجله وقدم نفسه دون الامة حفاظا على وحدتهـــا .

عن المغيرة بن شعبة : لما حصر عثمان اثنين وعشرين يوما ثم أحرقوا البـــاب وفي الدار أناس كثيرون فيهم عبد الله ابن الزبير ومروان فقالوا ائذن لنا ، فقـــال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا فأنا صابـر عليه ثم قال فأحـــج على رجل يستقتل ويقاتل (١) .

١ ـ وأن عثمان بصبره الرائع وشجاعته النفسية المنقطعة النظير لترينا عظمة الرجـــل وحافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بالحفاظ عليه ومـــات دون التفريط فيه .

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ياعثمـــان ان ولاك الله هذا الامر يوما ، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الـــذي قمصك فلا تخلعه بقول ذلك ثلاث مرات فقلت لعائشة ما يمنعك أن تعلمـــي الناس بهذا ؟ فقالت أنسيته (٢) .

٣ ـ وأن هذه المثالية العظيمة التي تتمثل في عثمان رضي الله عنه تعطي الصورة الحية الرائعة وتلفت نظر الاعداء قبل الاتباع الى عظمة حكام المسلمين الذين لا يبغون من الدنيا سوى الحفاظ على كلمة الحق والجهاد من أجلها مهمـــا كلفهم ذلك من تضحيات حتى ولو كان في ذلك نهايتهم .

---

(١) ينظر الطبري جـ ٤/٣٩٢ .

(٢) سنن بن ماجه جـ ١ حديث ١١٢ باب المقدمة صـ ٤١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقـي .

خاتمة وشكر

وبعد فانه ما سعدت الانسانية وما انتشرت الدعوة الاسلامية بين الناس لجذبت الى رياضها الكثير من أهل الأديان والنحل المختلفة الا بفضل السياسة الحكيمة الرشيدة التى رسمتها الدعوة الاسلامية للمسلمين والتى كانت مجسدة فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليها عمر وعثمان رضى الله عنهما .

فكانا بحق فى سياستهما أضواء ومشاعل على طريق الهداية أعطى كل منهما القدوة الحسنة من نفسه بأفكاره وسلوكه وتوجيهاته ومعاملاته وآدابه .

كانا فى الواقع صورة حية رائعة للدعوة الاسلامية فهى التى أعطتهما النعمة الطيبة المباركة ترسماها فى كل عمل من الأعمال .

استطاعا بها أن يقودا البشر ويحرراه من الخرافات والأوهام والأساطير واستبداد الملوك وظلم القياصرة والأكاسرة ، ويطهرا رقعة كبيرة من الأرض من الكفر والفساد .

فهى التى مكنت لهما من الفتح والظفر واقامة الحضارة التى شع نورها وعم خيرها شارق الأرض ومغاربها .

فاذا أراد المسلمون التقدم والحضارة والحياة الطيبة والسعادة فى الدنيا والآخرة فعليهم أن يسلكوا مسلك سياسة الدعوة الاسلامية.

يقول رب العزة (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)[1] وأخيرا أحمد الله عز وجل الذى وفقنى للقيام بهذا البحث فى اطار الدعوة الاسلامية .

وأقدم خالص شكرى لاستاذى الجليل الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار الذى بذل قصارى جهده حتى وصلت هذه الرسالة الى ما وصلت اليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

١) الانفال آيه ٢٤ .

المراجـــــــع

		المؤلـــف
(١) القرآن الكريـــــم		
(٢) صحيح البخارى بشرح الكرمانـى		الامام محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.
(٣) صحيح البخـــــارى		الامام محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى	تحقيق عبد الله أحمد أبو زينه .	الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم المتوفى فى سنة ٢٦١ هـ
(٥) صحيح مســـــلم		الامام مسلم بن الحاج بن مسلم المتوفى فى سنة ٢٦١ هـ
(٦) صحيح الترمـــــزى		الامام محمد بن عيسى الترمزى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ
(٧) صحيح ابن ماجـــه		الامام محمد بن يزيد القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ
(٨) ســـنن النســـائى		الامام احمد بن شعيب الخراسانى النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ
(٩) سنن ابـــى داود		الامام سليمان بن الاشعـــث الأزدى المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ
(١٠) المســـــند	تحقيق الشيخ (أحمد شاكر)	الامام احمد بن حنبـــل
(١١) الجامع لاحكام القرآن	طبع دار الشعب	محمد بن احمد الانصارى القرطبى
(١٢) تفسير القرآن العظيم	طبع احياء دار الكتب العربية	ابن كثير القـــرشى .

(١٣) الأم		محمد بن أدريس الشافعى
(١٤) أحكام القرآن		الجصاص
(١٥) الخراج		يحيى بن آدم القرشى
(١٦) الاحكام السلطانية	الطبعة الثانية	البصرى الماوردى
(١٧) شرح فتح القدير		ابن الهمام
(١٨) فقه السيرة		محمد سعيد رمضان
(١٩) الخراج		أبو يوسف
(٢٠) المبسوط		السرخسى
(٢١) نيل الأوطار		الشوكانى
(٢٢) الاعتصام		الشاطبى الغرناطى
(٢٣) بداية المجتهد ونهاية المقصد		ابن رشد
(٢٤) أعلام الموقعين	مراجعه طه عبد الرؤوف سعد فى ابريل ١٩٦٨م	ابن قيم الجوزيه
(٢٥) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية .		ابن القيم الجوزيه
(٢٦) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع		الكاسانى
(٢٧) الموطأ	تعليق محمد فؤاد عبد الباقى	مالك بن أنس
(٢٨) سماحة الاسلام	من سلسلة التعريف بالاسلام	الدكتور أحمد الحوفى
(٢٩) من الفقه الجنائى المقارن بين الشريعة والقانون	الكتاب الثانى من سلسلة التعريف بالاسلام .	المستشار أحمد موافى

(٣٠) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى		الثعالبى
(٣١) الخراج فى الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجرى		الدكتور محمد ضياء الدين الريس •
(٣٢) الدعوة الى الاسلام	الطبعة الاولى	الامام محمد أبو زهره
(٣٣) رسالة التوحيد		الامام محمد عبده
(٣٤) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	الطبعة الاولى	الاستاذ عباس العقاد
(٣٥) الاسلام فى غزوة جديدة للفكر الانسانى	من سلسلة بحوث المجلس الاعلى للشئون الاسلامية •	الاستاذ أنور الجندى
(٣٦) الجهاد طريق النظر	من سلسلة مجمع البحوث الاسلامية •	الاستاذ عبد الله غوشه
(٣٧) مجلة الازهر العدد الثانى سنة ١٣٧٧ هـ		الاستاذ الدكتور محمد احمد الغمراوى •
(٣٨) منهج القرآن فى بناء المجتمع		الامام الاكبر محمود شلتوت
(٣٩) الاسلام عقيده وشريعه	الطبعة الرابعة	" " " "
(٤٠) نبذة من السيرة النبوية		أبو النصر بشر الطرازى الحسينى •
(٤١) الاموال	(تحقيق الدكتور محمد الهراس الطبعة الثامنه)	أبو عبيد
(٤٢) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية •		الامام محمد عبده
(٤٣) الاسلام نظام انسانى		الدكتور مصطفى الرافعى
(٤٤) الاسلام والحضارة العربية		الاستاذ محمد كرد على
(٤٥) مقارنة الاديان (الديانة القديمة)		الامام محمد أبو زهرة
(٤٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	تحرير العراقى وابن حجر	الهيثمى

(٤٧) الفلسفة الحديثة في الميزان	الطبعة الاولى	الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
(٤٨) الرياض النضرة في مناقب العشرة	(مخطوط)	محب الدين الطبري
(٤٩) القضايا الكبرى في الاسلام		الشيخ عبد المتعال الصعيدي
(٥٠) جامع العلوم والحكم	الطبعة الثالثة	ابن رجب الحنبلي
(٥١) المصحف الشريف أبحاث في تاريخه وأحكامه .		الشيخ عبد الفتاح القاضي
(٥٢) مقارنة الأديان اليهودية	الطبعة الثانية	الدكتور أحمد شلبي
(٥٣) محاضرات في مقارنة الاديان القسم الثاني (النصرانية)		الامام محمد أبو زهرة
(٥٤) فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته ونسخه		ابن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .
(٥٥) النظم الاسلامية حـ٢		الدكتور محمد عبد اللطيف العمري
(٥٦) السياسة الشرعية		الاستاذ عبد الوهاب خلاف
(٥٧) الدولة الاسلامية في فقهها وتشريعها .		الاستاذ عبد الله حسين
(٥٨) تفسير المنار		الامام محمد رشيد رضا
(٥٩) نظم الحكم في الاسلام		الدكتور محمد يوسف موسى
(٦٠) رياض الصالحين	دار الكتاب العربي طبع بيروت	الامام يحيى بن شرف النووي
(٦١) حياة الصحابة		الاستاذ محمد يوسف الكاندهلوي
(٦٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية .		الامام أبو العباس احمد بن تيمية .
(٦٣) السياسة الشرعية في حقوق الراعي والرعية .		الاستاذ السيد عبد الله جمال الدين .

(٦٤) الاسلام انطلاق لا جمود		الدكتور مصطفى الرافعى
(٦٥) من الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية		الاستاذ أحمد زيتى دحلان
(٦٦) فتوح الشـــــام	الطبعة الرابعة	أبو عبد اللهمحمد بن عمر الواقدى •
(٦٧) عبقرية خالـــــد		الاستاذ عباس محمود العقاد
(٦٨) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية	الطبعة الثالثة	الشيخ محمد الخضرى (بك)
(٦٩) المســـــتدرك		النيسابورى
(٧٠) فقة السـنـــــه	الطبعة الثانية	الشيخ سيد سابق
(٧١) احياء علوم الديـــن	(تحقيق زين الدين العراقى)	الامام ابو حامد الغزالى
(٧٢) مع اللـــــــه	الطبعة الثانية	الشيخ محمد الغزالـــى
(٧٣) الاسلام ورسولـــه بلغة العصر •	من مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية	الاستاذ أحمد حســين الاستاذ اتيين دينيـــه
(٧٤) محمد رسول اللهصلى اللهعليهوسلم	ترجمة الدكتور عبد الحليم	سليمان بن ابراهيم
(٧٥) سماحة الاســـــلام	المجلس الاعلـــى للشئون الاسلاميـــة	الدكتور احمد الحوفـــى
(٧٦) مقارنة الاديان (الاسلام)	الطبعة الثالثـــة	الدكتور احمد شلـبى
(٧٧) الملل والنحـــــل	الطبعة الثانية تخريج المرحوم الدكتور بدران	الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى •
(٧٨) الدين الحالمى ومنهج الدعوة اليه	(من سلسلة مجمع البحوث الاسلامية)	الشيخ عطية صقـــــر
(٧٩) الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم	(الطبعة الثانية)	الاستاذ حامد عبد القادر
(٨٠) الدعوة الى الاسلام	ترجمة الدكتور حسـن ابراهيم حسن	السير توماس ه أرنولـــد (مستشرق)

(٨١) الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام .		المستشار على على منصور
(٨٢) القضاء فى عصر الخلفاء		الدكتور محمد سلام مدكور
(٨٣) القضاء فى الاسلام		الدكتور محمد سلام مدكور
(٨٤) القضاء فى الاسلام	الطبعة الثانية	الدكتور عطية مشرفة
(٨٥) القضاء الاسلامى وتاريخه	(طبع الموصل)	الاستاذ اسماعيل حقى فرج
(٨٦) تبصرة الحكام فى أصول الاقضية ومناهج الاحكام		ابن فرحون المالكى
(٨٧) العظات البينات		الشيخ عبد الله المراغى
(٨٨) المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام		الامام محمد ابو زهرة
(٨٩) المرأة فى القرآن الكريم	(طبع دار الهلال)	الاستاذ عباس العقاد
(٩٠) أسد الغابة فى معرفة الصحابة	تحقيق الدكتور محمد البنا وزميله .	الامام عز الدين بن الاثير
(٩١) تاريخ الخلفاء	تحقيق العلامة محى الدين عبد الحميد) .	الامام جلال الدين السيوطى
(٩٢) الطبقات الكبرى	(طبع دار التحرير)	محمد بن سعد
(٩٣) تاريخ الرسل والملوك	(تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم)	الامام محمد بن جرير الطبرى
(٩٤) الفاروق عمر	طبعة مصر	الدكتور محمد حسين هيكل (باشا)
(٩٥) سيرة النبى صلى الله عليه وسلم	(تحقيق العلامة محى الدين عبد الحميد)	ابن هشام الحميرى
(٩٦) الشيخان	الطبعة الرابعة	الدكتور طه حسين
(٩٧) أشهر مشاهير الاسلام	الطبعة الثانية	الاستاذ رفيق العظم (بك)
(٩٨) العقد الفريد		ابن عبد ربه

(٩٩) الاصابة فى تمييز الصحابة		الامام بن حجر العقلانى
(١٠٠) عبقرية عمر		الاستاذ عباس العقاد
(١٠١) الكامل فى التاريخ		ابن الاثير
(١٠٢) اخبار عمر	الطبعة الاولى طبع دار الفكر بدمشق	الاستاذ ان على الطنطاوى وناجى الطنطاوى .
(١٠٣) سمط النجوم العوالى فى أنباء الاوائل والتوالى		عبد الملك المكى
(١٠٤) فجر الاسلام	(الطبعة العاشرة)	الدكتور احمد أمين
(١٠٥) البداية والنهاية		الامام ابن كثير القرشى
(١٠٦) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب		الامام محمود الالوس
(١٠٧) عبد الله بن سبأ	(الطبعة الثانية) بالقاهرة	الاستاذ مرتضى العسكرى
(١٠٨) المجددون فى الاسلام		الشيخ عبد المتعال الصعيدى
(١٠٩) زعماء الاسلام		الدكتور حسن ابراهيم حسن
(١١٠) عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة .		الدكتور سليمان الطماوى
(١١١) بين يدى عمر	(الطبعة الثانية)	الاستاذ خالد محمد خالد
(١١٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر		المسعودى
(١١٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر	(تهذيب ابن بدران)	ابن عساكر
(١١٤) تاريخ التمدن الاسلامى	(طبع دار الهلال)	جرجى زيدان
(١١٥) صفوة الصفوة		عبد الرحمن ابن الجوزى
(١١٦) خلاصة تاريخ العرب	(الطبعة الاولى)	سيديو
(١١٧) فتوح البلدان		احمد بن يحيى المعروف (بالبلاذرى) .

(١١٨) تاريخ مدينة دمشق		ابن عساكر
(١١٩) الفتنة الكبرى	الطبعة السابعة	الدكتور طه حسين
(١٢٠) عصر الخلفاء الراشدين		الشيخ محمود على فياض
(١٢١) الاخبار الطوال		الدينوري
(١٢٢) تاريخ العالم الاسلامى	(الخلفاء الراشدين)	الدكتور محمود زيادة
(١٢٣) الحضارة الاسلامية		الدكتور أحمد زكى
(١٢٤) حضارة العرب	ترجمة عادل زعيتر	غوستاف لوبون
(١٢٥) الخطط		المقريزى
(١٢٦) حضارة الاسلام		جوستاف أ. فجوميام
(١٢٧) تاريخ سوريا ولبنان		الدكتور فليب حتى
(١٢٨) عبقرية الصديق		الاستاذ عباس العقاد
(١٢٩) تاريخ الاسلام السياسى		الدكتور حسن ابراهيم حسن
(١٣٠) تاريخ العرب		الدكتور فليب حتى
(١٣١) التاريخ السياسى للدولة العربية	(الطبعة الرابعة)	الدكتور عبد المنعم ماجد
(١٣٢) العلاقة بين الدعوة والدولة		الدكتور عبد الغفار عزيز
(١٣٣) فتوح مصر وأخبارها	مطبعة بريل سنة ١٩٢٠م	ابن عبد الحكم
(١٣٤) دائرة المعارف فى القرن الرابع عشر	(الطبعة الثانية)	الاستاذ محمد فريد وجدى
(١٣٥) مقدمة ابن خلدون	طبع دار الشعب	عبد الرحمن بن محمد
(١٣٦) المساواة فى الاسلام		الدكتور على عبد الواحد وافى
(١٣٧) ذو النورين عثمان بن عفان		الاستاذ عباس العقاد

(١٣٨) انصاف عثمان		الاستاذ محمد احمد جاد المولى (بك) .
(١٣٩) عثمان بن عفان		الشيخ محمد الصادق عرجون
(١٤٠) وداعا عثمان	الطبعة الاولى	الاستاذ خالد محمد خالد
(١٤١) اتمام الوفاء		الشيخ محمد الخضرى (بك)
(١٤٢) التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان بن عفان (مخطوط)		محمد أبو بكر الاشعرى
(١٤٣) عثمان بن عفان		الاستاذ محمد رضا
(١٤٤) أسباب النزول	الطبعة الثانية	ابو الحسن النيسابورى
(١٤٥) كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال		علاء الدين على المتقى الهندى

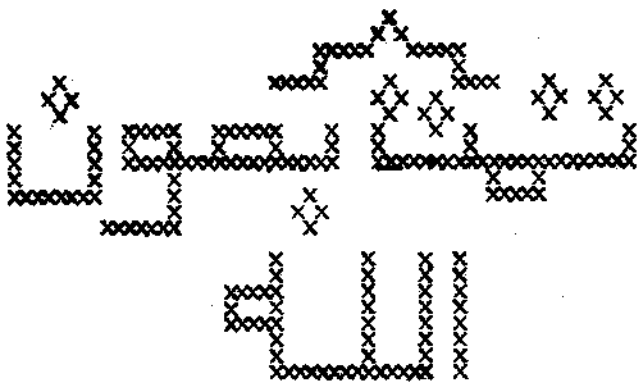

الفهرس

المقدمة	١
الباب الأول	
الفصل الأول	
التعريف بعمر بن الخطاب من جهة النسب	١٨
صفات عمر بن الخطاب النفسية	٢٠
مكانة بني عدى في المجتمع القرشي	٢٣
سبب اسلامه رضى الله عنه	٢٤
حرص عمر على اذاعة اسلامه	٢٩
أثر اسلام عمر على الدعوة الاسلامية	٣٠
أثر الاسلام على صفات سيدنا عمر	٣٢
موضوعات الفصل الثاني على وجه الاجمال	٣٩
سياسة سيدنا عمر مع الكفار	٤١
سياسته مع المنافقين	٤٥
سياسته مع المسلمين الذين ضلوا الطريق	٤٨
مواقف كريمه لعمر في الحرص على النبي صلى الله عليه وسلم	٥١
تحذير عمر رضى الله عنه نساء الرسول صلى الله عليه وسلم	
من غضبه صلوات الله عليه	٥٦
جهاد عمر رضى الله عنه للحفاظ على الدعوة الاسلامية	٥٧
الرسول صلى الله عليه وسلم يكرم في عمر طابع الشدة	٦٠
نماذج من آرائه يبرز فيها هذا الطابع	٦٣
الرد على ما اتهم به عمر من عدم تمسكه بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم	٦٩
عمر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وتشويه ما ظهر منه على أنه	
أسلوب خداع	٧٦
عمر عمل على مضى الدعوة الاسلامية كدين ودولة	٨٣

كذب مانسب الى عمر رضى الله عنه فى موقفه من آل النبى صلى الله عليه وسلم	٩٢
الردّ على ما قيل بأن عمر رضى الله عنه كان قد جهل ركنا من أركـــــان	
الدين وتفسير طابع الشدة فيه مع المنحرفين	٩٦
الدكتور طه حسين يردّ على مانسب الى عمر من جهل بركن من أركان الدين	٩٨
عمر أول من فكر فى الحفاظ على مصدر الدعوة الاسلاميـــة	١٠٠
موضوعات الفصل الثالث على وجه الاجمال	١٠٣
الزام الدعوة الاسلامية المسلمين من وجود هيئة تتولى التنظيم السياسى	١٠٤
أمرت الدعوة الاسلامية المسلمين من طاعة الحكام فى دائرة الدعوة الاسلامية	١٠٥
بيان الأسس التى تقوم عليها حكومة اسلامية	١٠٥
من هـم أهل الشورى فى نظر الاسلام	١٠٨
خلافة عمر رضى الله تمت فى دائرة الدعوة الاسلاميـة	١٠٩
عمر كان ملتزما بمبادىء الدعوة فى الحكومة الاسلاميـة	١١٢
مقارنة هذا بما كان شائعا فى امبراطورية فـــارس	١١٤
تحذير عمر من الخروج على هذا المنهج الاسلامـــى	١١٥
منهج عمر فى اختيـــار الـــــولاة	١١٧
عمر يحدد السلوك الذاتى للوالى فى اطار الدعوة الاسلامية	١٢٣
عمر يبين للولاة أن مهمتهم الدعوة الى الله عز وجل	١٢٤
عمر يراقب الولاة ويتقصى أخبارهم وسياستهـــم	١٢٩
ماذا يفعل عمر فى شكاوى الشعـــــب	١٣١
عمر وقضايا المـــــــــزل	١٣٤
عمر استعمل أسلوب المشاطرة مع ولاتـــــه	١٤٨
درس عمرى فى التربية الاسلاميـــــة	١٥٠
عمر والسلطـــــــــة	١٥٢
موضوعات الفصل الرابع على وجه الاجمال	١٥٤
وقف امبراطوريتى فارس والروم من الدعوة الاسلاميـة	١٥٥
حالة امبراطوريتى فارس والروم قبل الفتح الاسلامـى	١٥٨

دعوة الاسلام دعوة عالمية	١٦٨
رأى الدكتور محمد حسين هيكل فى سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم	١٧٠
والخلفاء الراشدين ازاء هذه البلاد المفتوحة	١٧٠
الرسول صلى الله عليه وسلم أرسى دعائم الفتح الاسلامى	١٧١
امتحان دعوة الاسلام فى عهد الصديق رضى الله عنه وسياسة الفتح	١٧٥
مضى سياسة الفتح فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما	١٧٨
السير توماس أرنولد ورأيه فى الغرض من الفتح الاسلامى	١٧٩
الدكتوران قليب حتى وعبد المنعم ماجد فى الغرض من الفتح الاسلامى	١٨١
الرد على هذا الافتراء	١٨١
موضوعات الفصل الخامس على وجه الاجمال	١٨٧
موقف الدعوة الاسلامية من أهل الأديان الأخرى	١٨٧
رد الامام محمد عبده على فرية انتشار الدعوة الاسلامية بحد السيف	١٩٥
رد الأستاذ المرحوم عباس العقاد	١٩٦
نفى هذه التهمة السير توماس أرنولد	١٩٧
رد هذه الفرية مما نقل الدكتور أحمد شلبى والأستاذ أنور الجندى	٢٠٠
حرب المسلمين كانت ضرورية	٢٠١
ليس صحيحا بأن السيف من طرق الدعوة الى الاسلام ورد الاستدلال فى ذلك	٢٠٦
الأسباب الحقيقية فى نشر الدعوة الاسلامية	٢١٢
رأى المستشرقين وبعض علماء المسلمين فى أسباب انتشار الدعوة الاسلامية	٢٢٠
موضوعات الفصل السادس على وجه الاجمال	٢٢٤
عمر كان حارسا أمينا على بث الفضيلة فى المجتمع الاسلامى	٢٢٥
عمر كان يحمل مساوىء العمل على شيوع مبدأ المساواة فى الدولة	
وكان يعطى فى ذلك المثل من نفسه	٢٢٦
عمر لم يفرق بين المسلم والذمى فى المعاملات العامة	٢٢٨
نقد هذا المبدأ من المجتمعات المعاصرة	٢٢٨

حرص عمر على شيوع مبدأ الحرية	٢٣١
نماذج من تطبيق هذا المبدأ	٢٣٣
خلو اليهودية والمسيحية وغيرهما من هذا المبدأ الفطرى	٢٣٤
موضوعات الفصل السابع على وجه الاجمال	٢٣٧
نظرة الى اجتهاد عمر وضرورته بوجه عام	٢٣٨
معنى الغنيمة والفيء	٢٣٩
سياسة الرسول صلوات الله عليه ازاء أموال بنى النضير وبنى قريظة وأهل خيبر	٢٤١
كيف فتحت مكة وكيف فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيها	٢٤٤
سياسة عمر المالية وعلاقة هذا بالدعوة الاسلامية	٢٤٦
موقف عثمان رضى الله عنه من هذه السياسة العمرية فى شئون المال	٢٥٦
موقف الدعوة الاسلامية من الخمر	٢٥٦
سياسة عمر ازاء شاربى الخمر	٢٥٩
رأى عثمان رضى الله عنه فى ذلك	٢٦٢
نظرة الاسلام الى الطلاق الثلاث بلفظ واحد	٢٦٤
سياسة عمر ازاء المطلق ثلاثا بلفظ واحد	٢٦٧
رأى الدكتور محمد حسين هيكل فى الأسباب التى أدت بعمر الى استعمال هذه السياسة	٢٦٨
رأى الأستاذ أحمد حسين والردّ عليه	٢٦٩
سياسة النبى صلى الله عليه وسلم ازاء المؤلفة قلوبهم	٢٧٢
سياسة الصديق رضى الله عنه مع المؤلفة قلوبهم	٢٧٥
سياسة عمر رضى الله عنه مع المؤلفة قلوبهم	٢٧٦
السرقة وموقف الدعوة الاسلامية منها	٢٧٧
سياسة سيدنا عمر ازاء السرقة	٢٧٨
عمر يضع فى اعتباره الباعث على ارتكاب هذه الجريمة	٢٧٩
نظرة عمر الانسانية فى اجتهاده نحو السارق	٢٨١

موضوعات الفصل الثامن على وجه الاجمال	٢٨٤
عمر يعطى القدوة من سلوكه فى العبادة	٢٨٥
سلوك سيدنا عمر فى حياته الخاصة	٢٨٨
سياسة عمر مع أهله ازاء أوامره ونواهيه	٢٩٧
سياسة سيدنا عمر مع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٩
سياسة عمر مع أصحاب الحاجيات	٣٠١
سياسة سيدنا عمر مع النساء المسلمات	٣٠٧
سلوك عمر ازاء أموال المسلمين وصلة ذلك بالدعوة الاسلامية	٣١٢
سلوك عمر ازاء الكوارث والأزمات	٣١٣
سلوك عمر ازاء المنحرفين عن جادة الصواب	٣٢٢
موضوعات الفصل التاسع على وجه الاجمال	٣٢٧
المنهج الالهى يعصم من الزلل	٣٢٨
القضاء ضد الهرب	٣٣٠
بيان مقومات سياسة القضاء فى الاسلام	٣٣٠
الرسول صلوات الله عليه لم يقبل الوساطة فى تمضية الحد	٣٣٣
الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم فى القضاء بالظاهر	٣٣٣
الصديق رضى الله عنه سار مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى القضاء	٣٣٣
الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من يتولى منصب القضاء	٣٣٤
شرف القضاء بين الناس	٣٣٥
القضاء فى عهد سيدنا عمر رضى الله عنه	٣٣٦
عمر شخصية قضائية ممتازة	٣٣٦
الجهاز القضائى فى عهد عمر رضى الله عنه	٣٤٠
منهج عمر فى رسائله الى القضاة	٣٤١
تعليق الأستاذ عباس العقاد على دستور عمر فى القضاء	٣٤٣
نماذج عملية من تطبيق عمر لهذه السياسة الاسلامية فى القضاء	٣٤٤

الحسبة وعلاقتها بالدعوة الاسلامية فى عصر عمر رضى الله عنه	٣٥٠
موضوعات الفصل العاشر على وجه الاجمال	٣٥٦
نظرة الدعوة الاسلامية الى المعاهدات	٣٥٦
التزام عمر بهذه النظرة الاسلامية فى جميع المعاهدات	٣٥٩
نموذج من طابع التسامح العمرى فى معاهداته	٣٦٢
خلو المسيحية واليهودية من هذا الطابع	٣٦٣
نماذج من هذا الطابع من تطبيق عمر له	٣٦٦
اعتراف بعض المستشرقين والباحثين بأثر هذا الطابع فى نفوس المخالفين فى جذبهم الى الدعوة الاسلامية	٣٧٢
الباب الثانى	
موضوعات الفصل الأول على وجه الاجمال	٣٧٦
استخلاف عثمان رضى الله عنه تسلم فى دائرة الدعوة الاسلامية	٣٧٧
الرد على ماقيل ان هناك تآمر على علىّ رضى الله عنه	٣٨٣
عمر كان يميل فى أن تكون الخلافة من بعده لعلىّ رضى الله عنه	٣٨٤
الرد على الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد جاد المولى فيما نسبا الى عمر من القصور	٣٨٦
منهج عثمان السياسى	٣٩١
حكومة عثمان	٣٩٤
ما كان بين سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما من خلاف	٣٩٥
كذب ما نسب اليهما مما لايتفق وصحبتهما	٣٩٦
عثمان ليس مبتدعا فى توليته الوليد بن عقبه	٣٩٨
من حسن سياسته	٤٠٠
دقته فى ادارة الحكم واختلافه مع عمر فى بعض أساليب الادارة	٤٠١

طابعه فى سياسته وقضية عبيد الله بن عمر	٤٠٣
عثمان كان رجلا شجاعا	٤٠٧
موضوعات الفصل الثانى	
وجوب طاعة عثمان رضى الله عنه	٤١١
الرد على الدكتور طه حسين فيما نسبه الى عثمان رضى الله عنه	٤١٢
عدم صحة اتهام الوليد بن عقبه بدخوله الصلاة وهو سكران	٤١٤
عثمان لم يعزل واليا الا بعد طلب أهل ولايته ذلك	٤١٥
دفاع عثمان عن توليته الولاة الجدد	٤١٧
موقف الاسلام من الوليد بن عقبه	٤١٧
نظرة الدعوة الاسلامية الى من ولاهم عثمان رضى الله عنه	٤٢٠
حرص عثمان رضى الله عنه على اقامة العدل بين الناس	٤٢٢
كذب ما اتهم به عثمان رضى الله عنه من ظلمه للناس	٤٢٥
كذب ما نسب الى عثمان من استعمال سياسة العنف مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم	٤٢٧
اجتهاد عثمان رضى الله عنه فى خدمة الدعوة الاسلامية	٤٣٨
تخطيط المنافقين لحرب الدعوة الاسلامية	٤٤٦
موقف عثمان رضى الله عنه أثناء الحصار وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية	٤٥٤
خاتمة وشكر	٤٥٦